جامعة اليرموك- معهد الآثار والأنثروبولوجيا
قسم الأنثروبولوجيا

بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لفلاحة البساتين في وادي جديتا

دراسة أنثروبولوجية ميدانية

Some Economic and Social Aspects of Grooves Peasantry in Judiatta Valley 'Anthropological Study'

إعداد

عمر محمد صالح الزيوت

بكالوريوس علم اجتماع- الجامعة الاردنية ١٩٩٥م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في الانثروبولوجيا من جامعة اليرموك

لجنة المناقشة

د. محمد فايز الطراونه	.....	مشرفا ورئيساً
أ.د. قيس النوري	.....	عضواً
د. عبد العزيز الخزاعله	.....	عضواً

١٩٩٩م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
– الفهرس	أ
– الملاحق	هـ
– الإهداء	و
– شكر وتقدير	ز
– ملخص باللغة العربية	ح
– المقدمة	ط
– مشكلة البحث	ي
– مجتمع البحث وأسباب اختياره	ك
– أهمية الدراسة	ك
– منهج البحث والتحليل	ك
– صعوبات البحث	ك
* الفصل الأول: الإطار النظري	١–١٤
* الفصل الثاني: ملكية وسائل الانتاج	١٤–٤٧
– مقدمة	١٤
– التوزيع الجغرافي للبساتين وعلاقته بالانتاج	١٤
– ملكية أراضي البساتين ومصادرها	١٥
– وضع اليد	١٥
– التعاقد (المغارسة)	١٦
– مهور النساء	١٧
– الملكية من خلال الرهن والعلاقات الربوية	١٨
– الوراثة كمصدر للملكية	١٩
– ملكية الأشجار	٢٠
– أنواع الأشجار وتغيرها	٢٠
– ملكية الأشجار دون ملكية الأرض	٢٣
– توزيع البساتين حسب ملكية العشائر	٢٤
– ملكية المرأة وتغيرها	٢٧
– الملكية المشتركة وأثرها على الإنتاج	٢٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموضوع	الصفحة
- ملكية المياه	٣١
- عيون المياه ومواقعها	٣١
- نظام الري قديماً وتغيره	٣٢
- استراتيجية ري البساتين	٣٤
- آثار سحب مياه الينابيع	٣٥
- سرقة المياه	٣٦
- تقليل استعارة الأدوات	٣٧
- آثار سحب المياه على جودة الانتاج	٣٨
- تراجع اقتناء الحيوانات	٣٩
- تأثير سحب المياه على توجهات الفلاحين	٤٠
- التعويضات النقدية وآثارها الاقتصادية	٤٠
- استراتيجة مواجهة سحب المياه	٤٢
- تقسيم البستان الى قسمين	٤٢
- بناء آبار المياه (الحواويز)	٤٣
- استبدال الأشجار القديمة بأنواع جديدة	٤٣
- ملكية الطواحين المائية وبعض جوانب التاريخ الاجتماعي لها	٤٣
* الفصل الثالث: علاقات الانتاج الاجتماعية	٤٧-٨٢
- مقدمة	٤٧
- التعزيب في البساتين	٤٧
- عمل المالك في بستانه	٤٩
- علاقات الانتاج الاجتماعية	٥٠
- المحاصصة	٥٠
- اسس المحاصصة ومعاييرها	٥٠
- الخبرة والمهارة	٥١
- مدى المحافظة على سلامة الاشجار والحرص على الثمار	٥٢
- تراجع دور القرابة كأساس في علاقات الانتاج	٥٣
- علاقة الجوار في البساتين	٥٤
- الاستئجار	٥٥
- التعدد في علاقات الانتاج الاجتماعية	٥٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموضوع	الصفحة
– المشاركة بين وحدتين انتاجيتين	٥٧
اشكال العمل وتقسيمه	٥٩
المرأة ودورها الانتاجي ومكانتها الاجتماعية	٦٣
– العمل التعاوني وتغيره	٦٥
– المصاهرة كأثر للتعاون والجوار	٦٩
– بروز العمل المأجور ومجالاته	٧٠
– استغلال العمالة الرخيصة	٧٢
– الرش وعلاقته بالانتاج	٧٤
– التكاليف المتحركة للانتاج	٧٥
– اساليب زيادة الانتاج والقيمة المضافة	٧٨
– التزييت	٧٨
– كيفية التزييت	٧٩
– التزييت ومقداره النقدي في حساب الفرق في الارباح	٨١
– اخفاء الثمار الرديئة أثناء تعبئتها	٨١
– العمليات التحويلية للانتاج	٨٢
* الفصل الرابع:النشاطات الاقتصادية الأخرى والتسويق	٨٤–١٠٥
– مقدمة	٨٤
– الانتقال من اقتصاد الكفاف إلى اقتصاد السوق	٨٤
– جمع والتقاط النباتات	٨٦
– "البعارة" شكل آخر من الجمع والالتقاط	٨٨
– زراعة الفول: دراسة حالة	٨٩
– صيد الخنازير	٩١
– بعض أشكال الحرف	٩٢
– صناعة السّلال	٩٢
– صناعة السلالم الخشبية	٩٣
– صناعة الحبال	٩٣
– تسويق منتجات البساتين من خلال التجار	٩٤
– المضاربات بين التجار	٩٦
– البيع بالمفرّق قديماً وحديثاً	٩٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الموضوع	الصفحة
- استراتيجية تقليل النفقات	١٠٢
- الفرن (الطابون) ووظائفه الاجتماعية	١٠٣
- الموقدة	١٠٥
* الفصل الخامس: التفاعل الاجتماعي	١٠٦-١٢٥
- التمايز الاقتصادي والاجتماعي بين الفلاحين والتجار	١٠٦
- الدور الاقتصادي والاجتماعي للحرامي وتغيره	١١٠
- استراتيجية حراسة البساتين	١١٣
- الصراع على ملكية وسائل الانتاج	١١٣
- الآثار الاجتماعية والاقتصادية للصراع على ملكية وسائل الانتاج	١١٧
- دراسة حالة: الصراع على الملكية وآثاره الاجتماعية والاقتصادية	١٢٠
- العلاقات الاجتماعية بين الجيران	١٢٤
- بناء القوة في نسق الاسرة كوحدة انتاجية	١٢٥
- المراجع العربية	١٢٨
- المراجع الأجنبية	١٣١
- الملخص باللغة الإنجليزية	١٣٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الملاحق

- جدول رقم(١): يوضح توزيع ملكيات العشائر ومقارنتها عند التسوية مع الزمن الحالي.
- جدول رقم (٢): يوضح توزيع ملكيات العشائر حسب الأحواض.
- ملحق الصور
- صورة عن سند تسجيل أحد البساتين لإحدى النساء.
- صورة عن جدول الحقوق المتعلقة بأراضي البساتين والماء في الوادي.
- صورة عن قرار المحكمة حول خلاف بين فلاحين على زراعة الأشجارفي الطريق.
- صورة عن شكوى تقطيع أشجار في البساتين.
- صور لوحات تسوية توضح توزيع ملكية البساتين وقنوات المياه في وادي جديتا.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى روح أخي عبدالكريم.... الذي قضى نحبه قبيل انجاز هذه الرسالة.... وكم كان مشتاقاً لرؤية هذا الانجاز الذي اشغلني عنه، فلم أهنأ بقضاء ساعات طوال إلى جانبه.... قبل رحيله....

فأصبحت الآن أدرك معنى الحسرة....

والكآبة

وإلى..... أمي

الحنونة.... التي كانت

لي أنساً في غربتي

بين الجموع....

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى فلاحي البساتين في وادي جديتا، على حسن تعاونهم، وتقديمهم لي كل ما بحوزتهم من بيانات حول موضوع البحث. وكم كانوا أوفياء لي عندما أطلعوني على الكثير مما يعتبرونه من أسرارهم الخاصة....

كما سأبقى مديناً لأستاذي الدكتور : محمد فايز الطراونه، الذي رافقني إلى الميدان في الزيارات الاستطلاعية لمجتمع البحث، وكانت توجيهاته نوراً مضيئاً ... فهوّنت علي وعوث الطريق.

وأتقدم بجزيل الشكر الى الأستاذ الدكتور قيس النوري والدكتور عبدالعزيز الخزاعله، لتفضلهما بقبول المناقشة، فلهما مني كل الاكبار.

ولا أنسى زملائي في قسم الانثروبولوجيا الذين كان اللقاء بهم يخفف من عناء البحث والدراسة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ملخص

جاءت هذه الدراسة لواقع فلاحة البساتين في وادي جديتا، باعتبارها قطاعاً ديناميكاً، وخاصة خلال السنوات التسع الاخيرة بعد سحب المياه التي كانت مخصصة لري البساتين، وما أدى إليه ذلك من تغير في نمط الانتاج ما قبل الرأسمالي، والتركيز على تمفصله مع النمط الرأسمالي، ومناقشة ذلك في ضوء النظرية ومدى ملاءمتها للتطبيق في مجتمع البحث، حيث استخدمت التمفصل articulation ونمط الانتاج mode of production كأداتي تحليل لما تم جمعه من بيانات.

وقد توصلت الدراسة الى نتائج رئيسة منها:

١- تُشكّل فلاحة البساتين نمط انتاج، وهي في الوقت نفسه طريقة في الحياة و ليس مجرد مهنة، إذ أنها ببنائها الاقتصادي تُشكّل بقية عناصر التشكيلة الاجتماعية social formationالقائمة في مجتمع البحث.

٢- إن التغير في فلاحة البساتين يتأثر بعوامل خارجية بدرجة تفوق أثر العوامل الداخلية، وأبرزها إقتصاد السوق. وإن أهم العوامل الخارجية التي تُحدِثُ التغيير هي تغلغل الرأسمالية في مجتمع البحث، و انخراط الفلاحين في اقتصاد السوق.

٣- لقد لعبت العلاقات الربوية ولاتزال دوراً مهماً في استيلاء اصحاب رؤوس الأموال على فائض إنتاج الفلاحين، بالاضافة إلى وسائل الانتاج التي يملكها الفلاحون؛ بسبب استدانة الفلاحين مبالغ نقدية من هؤلاء المرابين الذين جاء وجودهم امتداداً لوجود التجار المرابين في مجتمع البحث منذ الثلاثينات من هذا القرن، فتاريخ مجتمع البحث هو تاريخ العلاقات الربوية.

٤- هنالك تمايز اقتصادي واضح ما بين الفلاحين والتجار في مجتمع البحث، حيث يعاني الفلاحون من تدني أوضاعهم الاقتصادية بشكل عام، في حين يتمتع التجار بأوضاع اقتصادية متميزة.

٥- يشكّل الصراع بين الفلاحين على ملكية وسائل الانتاج شكلاً مهماً من أشكال التفاعل الاجتماعي، ويتجاوز هذا الصراع كل اشكال القرابة الدموية kinshipوالمصاهرة والجوار.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦- إن سحب مياه الينابيع التي كانت مخصصة لري البساتين قد أدى إلى ارتفاع أثمان البساتين بدلاً من أن يؤدي إلى إنخفاضها في حال بيعها، وذلك بفضل التعويضات التي تقدمها الحكومة لمن يرفع دعوى ومطالبة بالتعويض عما لحقه من ضرر بسبب سحب المياه.

٧- تتراجع الفلاحة كطريقة في الحياة بتأثيرات البيروقراطية التي أدت إلى هجرة الكثيرين من أبناء الفلاحين إلى العمل والتعليم وما تتطلبه هذه الظروف من التخلي عن العمل في فلاحة البساتين الى حد كبير.

٨- يستند تقسيم العمل في مجتمع فلاحي البساتين الى القدرات الجسدية والمهارات اللازمة للعمل دونما اعتبار للجنس في تقسيم العمل.

٩- إن العمل في انتاج البساتين هو عمل عائلي في المقام الأول، بالاضافة إلى بروز أشكال أخرى للعمل مثل: العمل المأجور والعمل التعاوني.

١٠- تمتاز مكانة المرأة بانخفاضها النسبي في مجتمع البحث، وعدم ملاءمتها لما تقوم به من دور مهم في مختلف مراحل العملية الانتاجية.

١١- إن كثرة حالات المصاهرة ما بين الوحدات الانتاجية المتجاورة هي من الظواهر المهمة في مجتمع البحث، والتي ترتبط بالعملية الانتاجية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

تأتي هذه الدراسة لفلاحة البساتين في وادي جديتا نظرا لكون الفلاحة تمثل طريقة في الحياة لدى فلاحي البساتين، فتؤثر في علاقاتهم وسلوكهم في مختلف المواقف الحياتية التي يعيشونها. كما أن الفلاحة هي الأساس في إنتاج البساتين، إذ أن ممارستها تُشكّل مصدرا أساسيا للدخل.

لقد شهدت الفلاحة تراجعا بفعل عدة عوامل أبرزها ظروف البيروقراطية التي أدت الى تخلي الكثيرين من أبناء الفلاحين عن تبني الفلاحة كطريقة في الحياة. و إن تغلغل الرأسمالية في مجتمع البحث قد ساهم في وجود قيم ومعايير وسلوكات ذات صبغة رأسمالية تتعايش الى جانب قيم ومعايير ما قبل الرأسمالية، وتتدهور الثانية لصالح الأولى.

وتهتم هذه الدراسة بإلقاء الضوء على الآثار السلبية التي لحقت بإنتاج البساتين كماً ونوعاً من جرّاء قيام السلطات الحكومية بسحب المياه المخصصة لري البساتين، وما تبع ذلك من بروز الخلافات بين الفلاحين حول تقاسم المياه وسرقتها، كما أدى ذلك الى توجه بعض الفلاحين الى استبدال الأشجار المغروسة بأنواع أخرى من الأشجار التي تتكيف مع شحّة المياه، مما يكسب هذه الدراسة أهميةً توثيقية لمختلف جوانب حياة الفلاحين التي باتت مهددةً بالزوال.

مشكلة البحث

تتحدد مشكلة البحث في دراسة بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لفلاحة البساتين في وادي جديتا، إذ لا انفصال بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وهي تتضمن دراسة الفلاحة peasantry كطريقة في الحياة يعيشها المبحوثون، بما تتضمنه من عمليات تعاون وتنافس وصراع مرتبطة بالعملية الانتاجية، ويتم ذلك من خلال دراسة نمط الانتاج الفلاحي بما يتضمنه من علاقات إنتاج اجتماعية social relations of production، وقوى منتجة productive forces، بالاضافة الى علاقات ملكية وسائل الانتاج Property relations التي هي الارض والاشجار والمياه. والاهتمام بالتاريخ الاجتماعي لملكية وسائل الانتاج وتوزيعها، وملكية المرأة والتغيرات التي حصلت لهذه الملكية، ودور العلاقات الربوية في انتقال الملكية، وما أدت إليه من نتائج مؤثرة في علاقات الفلاحين، وتلقي الضوء على نظم الري القديمة وتغيرها.

وتهتم هذه الدراسة بتمفصل نمط الانتاج ما قبل الرأسمالي precapitalist مع نمط الانتاج الرأسمالي capitalist، وتوضّح كيف يتراجع الأول لصالح الثاني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مجتمع البحث وأسباب اختياره

يقع مجتمع البحث في المنطقة الجنوبية الواقعة جنوب بلدة جديتا في لواء الكوره، ويُعتبر امتداداً لوادي عرجان الواقع ضمن محافظة عجلون، وتحيط بوادي جديتا الجبال العالية المكسوة بأشجار البلوط والسنديان والخروب، وكان هذا الوادي عند تأسيس إمارة شرق الاردن يُعرف بوادي اليابس، ثم انتقلت تسميته لتصبح وادي الريّان، لكن فلاحي مجتمع البحث يطلقون عليه "وادي جديتا" نسبة إلى بلدة جديتا التي يقع ضمن أراضيها. وينتمي إليها جميع مالكي البساتين. ولقد تم اختيار هذا الوادي وحدة للتحليل المكاني؛ وذلك لأهمية النشاط الاقتصادي فيه، والذي يؤثر في مختلف نواحي معيشة السكان المحليين.

وتتجسد خصوصية اختياره لدراسته في أنه يتكون من حوالي (٥٠٢,٢٣٤) دونماً من الاراضي المزروعة بالاشجار المثمرة، والمروية بالماء، وأهمها الرمان والتين والزيتون.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من أنها ستزود المكتبة بدراسة أنثروبولوجية عن مجتمع لم يدرس من قبل، بالاضافة إلى أن أشجار البساتين في هذا المجتمع أصبحت مهددة بالزوال، بسبب قيام السلطات الحكومية بسحب المياه التي كانت مخصصة لري هذه الأشجار. ومن هنا تتجسد أهمية هذه الدراسة في توثيق هذا الإرث الحضاري الكبير المتمثل في حياة فلاحي البساتين في منطقة شمال غرب الاردن.

منهج البحث والتحليل:-

اعتمدت هذه الدراسة على الأساليب الملائمة في جمع البيانات لهذه الدراسة الميدانية وتحليلها، فاعتمدت على الملاحظة بالمشاركة Participant observation والاستعانة بإخباري من مجتمع البحث لتسهيل عملية الدخول إلى المبحوثين ومقابلتهم، إذ أن المقابلات بأنواعها كانت من أهم أدوات جمع البيانات، فقد قابلت مبحوثين من مختلف الفئات العمرية ومن الجنسين بما يتطلبه البحث، كما قمت بعمل دراسة حالة case study لزراعة الفول في الوادي نظراً لتميز هذه الحالة، والتي جاءت تجسيداً لارتباط الفلاحين بالسوق، وتوجيه نشاطهم بما يتلاءم مع هذا الارتباط، بالاضافة إلى حالة أخرى تمثل الصراع على ملكية وسائل الانتاج وقمت بجمع تفاصيل دقيقة حول هاتين الحالتين. وكان لابد من الرجوع الى سجلات دائرة الاراضي والمساحة المتعلقة بأراضي مجتمع البحث لجمع الكثير من البيانات الهامة حول ملكية الاراضي والمياه وتوزيعها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولقد استغرقت فترة جمع البيانات من الميدان ستة أشهر، هي الفترة الممتدة من شهر حزيران من عام ١٩٩٨م إلى شهر كانون أول من العام نفسه. ثم انتقلت إلى مرحلة الكتابة والتحليل، وقد استخدمت نمط الانتاج mode of production والتمفصل Articulation كأداتي تحليل.

صعوبات البحث:-

لقد تمثلت أبرز الصعوبات التي واجهتها هي عدم تعاون دائرة الاراضي والمساحة في لواء الكوره، وإصرار مديرها على إعاقة سير البحث، واسناد ذلك لحجج واهية، فكان ذلك يجعلني أشعر بالضيق والتوتر، وما لذلك من انعكاسات سلبية على انجاز هذه الرسالة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الإطار النظري

ينطلق الباحث في دراسته هذه من الأهمية العلمية لدراسة المجتمعات الفلاحية، ومن بينها مجتمع فلاحي البساتين في **وادي جديتا** الذي قام الباحث بدراسته، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن واحداً من اثنين من سكان الكرة الأرضية اليوم هو ريفي حسبما يشير توما (١٩٨١: ١٧)، **وهذا يعني أن نصف سكان العالم يعيشون خارج القطاعين المتطورين الخدمي والصناعي.**

وتشير المقدم (١٩٩٥: ٩) إلى أن أغلبية السكان في الدول النامية لاتزال تنتمي إلى الريف، بمعنى أن النسبة ليست متشابهة على مستوى العالم، ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذه المجتمعات الريفية والوقوف على الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها، وخاصة في ظل عدم التجانس في العالم الفلاحي أو الريفي الذي أشار إليه Bunce (1982: 13-14)، حيث ذكر بأن هنالك تعدد واختلاف في أشكال الثقافات السائدة في المناطق الريفية، مشيراً إلى أن الاستيطان أو الاستقرار الريفي يزيد على نصف سكان العالم، فقد كان يُشكّل حوالي ٥٣٪ من سكان العالم عام ١٩٦٠م، و في عام ١٩٧٠م حوالي ٦٠٪ من مجموع سكان العالم معتمداً في هذه النسب على الكتاب الديموغرافي السنوي الصادر عن الأمم المتحدة. وبالمقابل فإن فالرشتاين (١٩٩٨: ٤٦) يشير إلى أن نسبة الريفين آخذة في الانخفاض، وأنهم باتوا يشكلون ما نسبته أقل من ٥٠٪ من سكان هذه المعمورة، مبدياً توقعاته بانخفاض هذه النسبة خلال الخمسة وعشرين عاماً المقبلة إلى أقل من ٢٥٪. ولعل هذه الفكرة تُعبّر عن واقع مجتمع البحث، حيث باتت الفلاحة مهددة بالزوال؛ بسبب سحب المياه التي تعتمد عليها فلاحة البساتين، وهذا يزيد من أهمية هذه الدراسة في توثيق مختلف جوانب حياة فلاحي البساتين المعبّرة عن الإرث الثقافي الكبير في منطقة شمال غرب الاردن، خاصة في ظل التحولات الاقتصادية التي جعلت الفلاح يتحول إلى مواطن بتأثير من العولمة، حيث كتب برناردو وويلكنسون (١٩٩٠) مقالاً في هذا السياق بعنوان "**الفلاح يتحول إلى مواطن: التغيرات التكنولوجيا والتحولات الاجتماعية في البلدان النامية**".

ولقد أشارت المقدم (١٩٩٥: ٧) إلى أن المجتمعات القروية والتي تضم الفلاحين هي أكثر مظاهر الاستقرار البشري انتشاراً على سطح الأرض، وهكذا عرفت جميع الشعوب البشرية النظام القروي وعاشت في ظله، بيد أن المجتمعات الريفية خضعت لعوامل التغير واعترتها الكثير من التحولات في أنماط حياتها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولكن ما المقصود بالفلاح؟

يرى ماركس بأن الفلاح Peasant هو: إما مالك لوسائل الانتاج، وهو هنا بمثابة الرأسمالي، أو هو عامل Labour يقوم بتأجير جهده أو بيعه (Duggett: 1975: 160)، وهذا ما ينطبق على واقع مجتمع البحث، إذ أن الفلاحين فيه إما مالكين أو عمال، والعمال هنا تشمل من يعملون ضمن علاقة أو أكثر من علاقات الإنتاج الاجتماعية السائدة. ويطلق توما (١٩٨١: ١٨) مصطلح الريفي على كل من يعمل في الإنتاج النباتي أو الحيواني، سواء أنتج الفواكه أو الأرز أو القمح، وهو بهذا التعريف لم يُفرّق بين الريفي والمزارع، إذ لم يشر إلى آلية عمل هذا الريفي، فقد يكون المزارع رجل أعمال، ويعيش حياة لاتَمُتُّ إلى الريفية بصلة، وإنما يدير مزارعه عن بُعد، أو يستخدم موظفين لإدارتها والعمل فيها، كما أن Duggett لم يشر إلى منظومة القيم التي ترتبط بالريفي أو الفلاح والتي تميزه عن غيره.

ولقد تحدث ماركس حسبما أورد Duggett (1975: 162) عن المجتمع ريفي rural society الذي يضم فلاحين في مجتمعات ما قبل الرأسمالية، وهذه المجتمعات ارتبطت بالعشيرة clan كوحدة بناء اجتماعية، وارتبطت كذلك بالملكية الخاصة أو الفردية، وعلى الرغم من اختلاف مستوى تطور هذه المجتمعات، فقد كانت الفلاحة مرتبطة بالأرض من حيث ملكيتها أو العمل فيها وشكّلت أساساً للنظام الاقتصادي والبناء الاجتماعي.

أما Bernstein (1973:61 -62) فيرى بأن الفلاح هو: من يعمل ضمن انتاج الوحدة المنزلية household production، وعدم خضوعه لقانون فائض القيمة، ولتراكم رأس المال، وبالتالي فهو اقتصاد الكفاف Subsistence Economy، وهو يغفل أهمية الزراعة في اقتصاد الفلاحين ويشير كذلك إلىأن الفلاحين يعيدون انتاج أنفسهم بأنفسهم. ولكني أعتقد بأن تحولات قد طرأت على هذه السمات؛ فبعد دخول الرأسمالية واندماج مجتمع البحث فيها، بات الانتاج موجهاً للسوق، وانخرط الفلاحون في اقتصاد السوق، ولم يعد بالامكان أن نطلق على إقتصادهم اقتصاد الكفاف، كما تراكمت رؤوس الأموال لدى بعض الفلاحين من جرّاء ممارسة الفلاحة وسعيهم لتنمية رؤوس أموالهم الثابتة، كما أن مجتمع البحث لايعيد انتاج نفسه، وإنما هنالك من الأبناء – وأقصد أبناء فلاحي البسايتن– من يتخلى عن الفلاحة بسبب العمل وظروف البيروقراطية، والهجرة إلى المدينة أحياناً، وبالتالي فمن الخطأ إطلاق تعميم مفاده أن فلاحي البساتين يعيدون انتاج أنفسهم من خلال رغبتهم أو جهودهم الذاتية، وإنما نجد أنه كما أشار Firth(1981:87) فإن مسألة التغير الاجتماعي في مجتمع الفلاحين يأتي استجابة لظروف من الخارج، وبتأثير العامل الاقتصادي وليس استجابة لظروف داخلية. وقد وجدت أن فلاحة البساتين تستراجع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

باستمرار؛ إذ تخلى الكثيرون من أبناء الفلاحين عن تبني الفلاحة كطريقة في الحياة، كما برز العمل الفردي في فلاحة البساتين خارج إطار الأسرة كوحدة انتاجية.

ولقد عرف krober الفلاحين، واشتمل تعريفه على عدة خصائص منها: أنهم يعتمدون على فلاحة الأرض، وأنهم لايعيشوا منعزلين عن المدن، وإنما يرتبطون إلى حد ما بأسواقها، وينقصهم الاستقلال السياسي والاكتفاء الذاتي، ويرتبطون بالأرض بشدة، وتسود بينهم علاقات اجتماعية مباشرة. (أحمد، ١٩٨٩: ٧-١٠) وإن ما أورده كروبر يصرف النظر عن مكان السكن، إذ قد يكون في الحضر، وإنما المهم عنده هو تبني الفلاحة كطريقة في الحياة. ويرى Firth (1981: 87) بأن مجتمع الفلاحين ينطبق على كل مجتمع يتكون من عدد من المنتجين الصغار بغرض الاكتفاء الذاتي باستخدام تكنولوجيا بسيطة، والأساس في ذلك هو اشتغالهم بالزارعة، وهو يشير إلى الارتباط بالأرض، كذلك فإن Redfield (1960: 20) يرى بأن المجتمع القروي يشكل نموذجاً يمثل طريقة معينة في الحياة تعتمد اساساً على الزراعة، بينما يحاول Firth أن يُدخل ضمن فئة الفلاحين صنّاع الحرف اليدوية والصيادين وكل من يزوال مهنة ذات انتاجية محدودة في القرية أو الريف ممن يعيشوا ضمن تنظيم اجتماعي بسيط. أما wolf (1966: 2) فيميل إلى استخدام مصطلح **المجتمع الريفي ليشير إلى طريقة في الحياة قوامها الاشتغال بالزراعة بقصد الاكتفاء الذاتي، وليس بهدف الانتاج للسوق.**

وبتقديري فإن الانتاج للسوق لايعني أن هذا المجتمع ليس مجتمعاً فلاحياً؛ لأن الفلاحة تتغير، وخاصة في ظل تغلغل الرأسمالية وتوسعها. ويشير Tarawneh (1989: 3) إلى أهمية التوجه نحو دراسة الفلاحة ميدانياً، في المجتمعات التي باتت الفلاحة تمثل فيها طريقة الحياة، **بدلاً من النظر إليها على أنها مجتمعات منعزلة، والاختلاف في تصنيفها بين قبائل بدائية وسكان قرى كما فعل Wolf (1966) وكذلك Redfield (1956).**

ولقد أكد Chayanov حسبما جاء في Hirst, Enew and Tribe (1977: 307) على أهمية الاسرة في العمل الفلاحي كوحدة انتاج، وأن الهدف من الانتاج هو بقصد الكفاف، دون اشارة إلى أن الاسرة تعمل وتنتج ليتقاسم اعضاؤها المردود النقدي أو العيني في النهاية بشكل فردي، أم تسودها روح الجماعة ووحدتها الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما أوليته عناية واهتماماً في دراستي، كما أن هنالك وحدات انتاجية تتألف خارج نطاق الوحدة الانتاجية العائلية، مثل شراكة مجموعة من الشباب حسبما وجدت في مجتمع البحث، وممارستهم فلاحة البساتين ضمن الاستئجار كعلاقة انتاج اجتماعية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويشير Grossman (1984: 13) إلى أن الفلاحين في غينيا الجديدة يتصفون بأن الوحدة الاساسية في الانتاج لديهم هي الأسرة، وأن هنالك مساعدة متبادلة بين هذه الوحدات، وأحياناً يتم الحصول على المساعدة مقابل الأجرة، وبأن التكنولوجيا لديهم بسيطة، وللفلاحين حق التصرف في الأرض التي يعملوا فيها، وأن جزءاً من الإنتاج مخصص للدولة على شكل ضرائب أو على شكل سداد للديون وفوائدها، وبذلك يبدو كلام Grossman أكثر صلة بمجتمع البحث، إذ شكّلت العلاقات الربوية usurious relations أساساً هاماً في مسألة الملكية في مجتمع البحث، وذلك منذ الثلاثينات من هذا القرن؛ فقد أشار بعض كبار السن من المبحوثين إلى أن رهن الأراضي- بما في ذلك أراضي البساتين- قد ساد في الماضي في مجتمع البحث ولايزال، لكنه كان في الماضي من خلال رهن البساتين لأصحاب الدكاكين أو التجار، مقابل الحصول على بعض الحاجيات والسلع الأساسية من هؤلاء التجار الذين امتازوا بالطمع وحب الاستيلاء على الأراضي. فقد استولى أحد التجار على بستانين تبلغ مساحتهما حوالي ست دونمات مقابل "شوالين" من القمح عجز المستدين (مالك البستانين) عن سداد ثمن القمح الذي استدانه، وبقي الثمن يزداد كل عام من جرّاء تراكم الفوائد، وهو ما كان يطلق عليه عملية (المدايره) حتى وصل إلى ما يعادل ثمن البستانين فكان أن استولى عليهما لقاء ذلك الدّين. كما أن تاجراً آخر استولى على بستان تبلغ مساحته أربع دونمات ونصف مقابل (سطلية عجوة)، عجز صاحب البستان عن سداد ثمنها، فاستولى التاجر (صاحب الدكان) على البستان بالطريقة السالفة الذكر. ولقد استمرت هذه العلاقات الربوية حتى اليوم لكنها تطورت في ظل الرأسمالية المعولمة من خلال استدانة القروض النقدية من المؤسسات المالية والتجارية ومن خلال بعض أصحاب رووس الأموال من المجتمع المحلي، إذ يقوم بعض هؤلاء بمنح الفلاحين قروضاً نقدية مقابل فوائد، وهذا يتطلب ضمانات لحق الدائن والذي يكون عادة من خلال رهن هذه البساتين، وقد استولى بعض الدائنين حديثاً على بعض البساتين بسبب عجز المستدين عن السداد، كما أن دائناً آخر استولى على منزل أحد المدينين من فلاحي البساتين. وجدير بالذكر أن هذه القروض لا تُخصص للعمل في البساتين لشراء البذار أو المواد الكيماوية؛ أو أجوراً للعمال لأن فلاحة البساتين في مجتمع البحث لا تتطلب رأس مال متحرك ضخم، وإنما هي اشجار مثمرة لاتحتاج إلا إلى العناية بالرش والتقليم والري، لكن هذه الديون لأهداف غير استثمارية مثل الزواج وبناء المنازل. وقد وجد الباحث من خلال السجلات الرسمية وجود ٣٤ حالة رهن للبساتين للبنوك التجارية ومؤسسات مالية أخرى، وبذلك فإن البساتين تُشكّل وسائل للرهن مقابل الحصول على القروض النقدية (**سجلات الأموال غير المنقولة لبلدة جديتا الخاصة بالاحواض رقم ١٤، ١٦، ١٨، ١٩**).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ونجد أن العلاقات الربوية ذات انتشار واسع في مجتمعات الفلاحين، فقد أشار Pathak إلى سيطرة مقرضي الأموال على الفلاحين في قرية Alirajpur وقرية Mathwad في الهند، وخاصة في الفترات التي تقل فيها الأمطار، حيث تُشكّل تلك الفترات أكثر الظروف صعوبة للفلاحين مثل فترة الثمانينات من هذا القرن، مما يؤدي إلى تحوّل الفلاحين إلى البحث عن العمل بالأجرة لسداد الديون ذات الفوائد المرتفعة والتي يحدد نسبتها بأنها تتراوح ما بين ٢٥٪-٣٥٪ لثلاثة أشهر، وتصل إلى ١٠٠٪ لتسعة أشهر، ليصبح هدف الفلاح هو تسديد القروض.

ولقد أدت هذه العلاقات الربوية في وادي جديتا إلى سيطرة أصحاب رأس المال النقدي على الثروة، وتراكمت رؤوس أموالهم وعوائدهم النقدية، وشكل ذلك نوعاً من التمايز الذي يبدو واضحاً في مختلف مناحي حياتهم، كما ساهمت في تشكيل العلاقات الاجتماعية وتحديدها، ويروى في هذا السياق أن أحد المرابين استولى على بستان أحد المدينين على أساس أنه ثلاث دونمات، وقد تبين فيما بعد أن مساحته بلغت أربع دونمات ونصف، وقد رفض هذا الدائن التنازل عن المساحة الزائدة مما ولّد بين الطرفين عداوة وتنافراً توارثته الأجيال، وكل ذلك يحدث في ظل نمط الانتاج الفلاحي.

ومن المهم هنا أن نذكر بأن الباحثين Hirst, Enew and Tribe قد أكدوا بأنه لايمكنهم الأخذ بفكرة وجود نمط انتاج فلاحي، أو بعلاقات انتاج اجتماعية فلاحية؛ لأن كل عائلة تعمل لوحدها في الانتاج وبقصد الكفاف، وبالتالي فهم يؤكدون عدم امكانية القول بأن الفلاحة تشكل نمط انتاج (Chayanov: 1977: 305). وهذا بنظري غير صحيح وسأوضح ذلك من خلال تعريف نمط الانتاج الاجتماعي وتحليل عناصره.

يعرف Balibar و Althusserنمط الانتاج الاجتماعي بأنه: بناء معقد ومتداخل من علاقات الانتاج الاجتماعية وقوى الانتاج (Carter: 1978: 54). ويشير cook (1977: 360) إلى أن مفهوم نمط الانتاج mode of production مفيد في التحليل، لدرجة أنه يساهم في فهم التشكل التاريخي والواقع الاجتماعي. ويعرفه Laclau (1971:53) بأنه: **مجموعة متكاملة من قوى الانتاج المرتبطة بشكل معين من الملكية لوسائل الانتاج التي تحدد مسار الفائض الاقتصادي ودرجة فاعليته، وتقسيم العمل.** ويقدم كل من Hindess و Hirst تعريفاً لنمط الانتاج بأنه: **اتحاد متمفصل من قوى الانتاج وعلاقات الانتاج بنائياً، من خلال سيطرة علاقات الانتاج** (Hindess and Hirst, 1975: 9). وإنني لا أتفق مع Hindess and Hirst في اعطاء علاقات الانتاج الاجتماعية أهمية كبرى فوق أهمية قوى الانتاج في صياغة مفهوم نمط

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الانتاج، وهذا يتفق مع ماذهب إليه ماركس حيث يرى بأن التحول من تشكيلة تاريخية معينة إلى أخرى يؤكد على ضرورة التغير في القوى المنتجة لإحداث التحول (Cook: 1977: 366).

ولو حاولنا أن نفكك عناصر نمط الانتاج mode of production، لقلنا بأنه يتكون من علاقات الانتاج الاجتماعية Social relations of production، وكذلك القوى المنتجة Productive forces، والتي يُعَبّر عنها عادة بالتكنولوجيا السائدة، والعنصر الثالث هو علاقات الملكية property relations ويقصد بها ملكية وسائل الانتاج. والمقصود بعلاقات الانتاج الاجتماعية تلك العلاقات التي تنشأ بين الافراد بهدف الانتاج المادي سواء أكانت في البستان أو المزرعة أو في المنشأة الصناعية، ويتحدد شكل وطبيعة هذه العلاقات بشكل ملكية وسائل الانتاج وبمستوى القوى المنتجة، فهذه العناصر الثلاثة تشكّل مع بعضها ما يُعرف بنمط الانتاج، وهي مترابطة بمعنى أن تطور المستوى التكنولوجي مثلاً الذي يعني تطور القوى المنتجة يؤثر في تطور العلاقات ويؤدي إلى إحداث التنمية مثلاً، وهنالك من الباحثين من يؤيد هذا التوجه، في حين أن هنالك من يرفضه مثل Hirst و Hindess (1975: 183)حيث يرفضان الحتمية التكنولوجية التي تتضمن فكرة أن القوى المنتجة تحدد علاقات الإنتاج. وليس من الممكن اغفال دور القوى المنتجة ممثلة بالتكنولوجيا، فقد وجد الباحث بأن في مجتمع البحث مدخلات انتاج تُعبّر عن مستوى تكنولوجي أكثر تطوراً مثل المبيدات الكيميائية، بالإضافة إلى عدد كبير جداً من سيارات النقل الحديثة (البكبات) والتي يستخدم اصحابها في الغالب –من التجار– هواتف خلوية في عملية التسويق وتحديد الاسعار على الهاتف اثناء عملية شراء المنتوجات، من خلال الاتصال مع تجار السوق المركزي، وتستخدم (البكبات) لنقل الانتاج وتسويقه، وبفضل هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة أصبح بإمكان الفلاح أن يبيع كل شيء ينتجه بكل يسر وسهولة، دون حاجة إلى السفر إلى فلسطين مثلاً، وتحمل العناء والمشقة للبيع هناك حسبما كان في الماضي قبل حوالي ثلاثين سنة، وبات الفلاح اليوم يبيع كل منتجاته نقداً وهو في بستانه. كما أن عدم تطور التكنولوجيا في الماضي كان يؤدي إلى تقديم البساتين بدل مهر للزوجة، ولعل لعدم القدرة على فلاحتها وتسويق منتجاتها بسبب ضعف تطور التكنولوجيا علاقة بالتخلص منها بهذه الطريقة. ومن الطريف هنا ما ذكره أحد المبحوثين، بأنه أيام شبابه قبل حوالي اربعين سنة، قام بالقضاء على عدة شجرات تين؛ للتخلص من عناء تسويق منتوجاتها دون أن يعلم أهله بذلك.

وتسود في مجتمع البحث علاقتا انتاج اجتماعية هي ١– المحاصصةShare Cropping ٢–الاستئجارTenanacy. ولكل منها شروطها وظروفها الخاصة، فالمالك مثلاً لا يعمل في بستانه في حال عجزه عن العمل، أو ربما في حال التحاق ابنائه بالوظائف الادارية سواء المدنية

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أو العسكرية التي تعيق عملهم في البساتين، أو انشغال المالك بأعمال أخرى، كما أن الصراع بين المالكين الشركاء في بستان واحد أو أكثر يدفع بهم إلى تأجير البستان، لتبرز لدينا علاقة انتاج اجتماعية أخرى هي الاستئجار، أوالمحاصصة بين المالك والمحاصص، أو المستأجر حسب اتفاق معين يتضمن مقدار حصة كل طرف، وفي العادة فإن المحاصصة تكون على اساس ثلثي فائض القيمة للمالك والثلث للمحاصص.

وأما عن ملكية وسائل الانتاج، فإن الارض والاشجار والمياه هي وسائل الانتاج الاساسية، وهي ملكية فردية أو جماعية مشتركة. وأما التكنولوجيا فهي تمتاز بالبساطة في مختلف مراحل الانتاج، فيستخدم فلاحو البساتين أدوات بسيطة مثل الفأس والمجرفة "**والحُجّانة**"، كما أنهم يغطون آنية الشرب مثل (الزير) بقطع من (الخيش) الخميل ليوفر لها البرودة، مقابل من يستخدم ثلاجات تعمل على الكاز حيث لا تتوفر الكهرباء، فهذا يشير إلى نوع من التمفصل. كما أن منهم من يمتلك السيارات ويستخدمها في البساتين مقابل من يستخدم الدواب في التنقل وحمل الانتاج، واستخدام مخلفات الحيوانات في زيادة خصوبة الارض على نطاق ضيق، وهذا يتفق مع ما أشار إليه Huang (1985: 150) الذي قام بدراسة قريتين في شمال الصين أحداهما تدعى Shajing، والاخرى Lujiazhai ويقوم الفلاحون هناك باستخدام مخلفات الحيوانات وخاصة الحمير كمخصبات.

من هنا يمكن القول بأن الفلاحة تشكل نمط انتاج، وأن هناك امكانية وجود نمط انتاج فلاحي، وهذا النمط هو باختصار هذه العلاقات الانتاجية الاجتماعية، ومايرتبط بها من قوى منتجة، وعلاقات ملكية. وكذلك منظومة القيم المرتبطة بها، لكن لايوجد انتشار لنمط انتاج فلاحي عالمي يسود في مختلف المجتمعات الفلاحية وإنما هنالك تعدداً وتنوعاً في خصائص وسمات هذه المجتمعات.

ولابد من الاشارة إلى امبريقية بعض أفكار المدرسة الفرنسية الحديثة للأنثروبولوجيين الاقتصاديين الذين ذهبواإلى التركيز على الانثروبولوجيا الاقتصادية ككل، من خلال العديد من التساؤلات الشاملة حول الانتاج حسبما يذكر Clammer (1985: 32-33) مثل ما هو الانتاج؟ وما هي المجموعة المنتجة؟ وكيف تُنظّم هذه المجموعة؟ ومن يقودها؟ وما هي طريقة الانتاج؟ وما هدفه؟ فهذه الاسئلة وغيرها أشغلت بال الباحث، ومنها انطلق في دراسته هذه، وقد تبنى افكار هذه المدرسة ومن روادها Meillassoux, Teray, Althusser, Ray, Dupre Godelier ومن أهم أفكارهم: **محاولة التنظير لمفهوم نمط الانتاج، وجعله مفهوماً تنظيرياً ذا**

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فائدة تحليلية، والاعتقاد بـأن جميع الانماط الاقتصادية تدور في فلك نمط واحد هو النمط الرأسمالي الذي يسود لتعود اليه بالنهاية جميع العائدات.

ولقد قمت بتطبيق بعض المفاهيم الانثروبولوجية الاقتصادية على مجتمع فلاحي البساتين، وقد تبنيت وجهة نظر المدرسة الانثربولوجية الفرنسية التي تستخدم أدوات تحليل ملائمة لهذا الاطار مثل **نمط الانتاج mode of production والتمفصل articulation**، على أساس أن هذا النشاط الاقتصادي الاجتماعي المتمثل في فلاحة البساتين يشكل نمط انتاج، وقمت بتحليل عناصر ومكونات هذا النمط، إذ تحدثت في الفصل الثاني حول ملكية وسائل الانتاج، وفي الفصل الثالث حول علاقات الانتاج الاجتماعية، وفي الفصل الرابع حول التكنولوجيا، وفي الفصل الخامس تحدثت عن التفاعل الاجتماعي الذي يرتبط بنمط الانتاج، وفي ظل وجود من يملك وسائل، الانتاج مقابل من لايملك من هذه الوسائل ولجوء من لايملك هذه الوسائل إلى العمل بالاجرة اليومية الهامشية التي تعبر عن الاستغلال exploitation ضمن علاقات انتاج اجتماعية محددة، لذلك فإن هنالك صراع على ملكية وسائل الانتاج، وهي عملية مهمة يوليها الباحث اهمية لارتباط الصراع بالتغير الحاصل في نمط الانتاج الفلاحي في مجتمع البساتين، خصوصاً بعد هيمنة علاقات السوق عليه، وقد برز الاتجاه إلى الملكية الفردية لوسائل الانتاج التي هي الارض والأشجار والمياه، وبرز الصراع على الملكية بين الاخوة والأقارب بدلاً من التعاون والمشاركة في ملكيتها وفلاحتها كما كان ذلك في الماضي.

ويهتم الباحث كذلك بماطراً على النشاطات الاقتصادية الأخرى، مثل: صناعة السلال، والحبال والسلالم، وجمع والتقاط بعض أنواع النباتات من تغيرات من اقتصاد الكفاف إلى اقتصاد السوق.

وإنني أتفق مع ما أشار إليه Bagchi (1982: 1-2) إلى أن أحد طرق تفسير التغير الاجتماعي هو: أن التغير نتاج للتفاعل ما بين علاقات الإنتاج الاجتماعية وقوى الإنتاج، ويولي الباحث أهمية للتغير الاجتماعي في مجتمع البحث، معتقداً بأن مجتمع البحث يعيش حالة ديناميكية في ظل العولمة Globalization، مما يقلل من وجود التكامل الوظيفي الذي تحدث عنه Parsons حسبما ورد في Parttis (1987: 12:13)، حيث ذكر بأن Parsons قد أشار إلى أن هنالك حالة من التكيف adaptation بين العوامل الداخلية والخارجية لحدوث حالة من التكامل Integration في البناء الاجتماعي، وهذا أرفضه من خلال ما توصلت له ميدانياً، فعلى سبيل المثال فإنه وبعد قيام السلطات الحكومية بسحب المياه المخصصة للبساتين، وتحويلها إلى مناطق أخرى لغايات الشرب، وإتاحة الفرصة لحصول مالكي البساتين على تعويضات نقدية، فقد تعمقت

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الرغبة لدى الفلاحين في امتلاك الأرض والاشجار، اللتان هما وسيلتا الانتاج الاساسيتان في البساتين إلى جانب المياه، ولذا زادت حدة الصراع بين الشركاء من الاقارب، وترتب على ذلك تأثر العلاقات الاجتماعية وعمق التفاعل الاجتماعي فيما بينهم سلبياً وتعكر صفو هذه العلاقات، لدرجة حدوث المشاجرات واللجوء إلى العنف الجسدي والمعنوي تجسيداً لهذا الصراع.فالتغير يأتي من الخارج، وليس استجابة لظروف داخلية.

وبما أن هذه الدراسة تركز على الترابط الدقيق مابين النظرية والتطبيق، ومدى امكانية تطبيق بعض المفاهيم النظرية على مجتمع البحث، فإن الباحث يرتكز كذلك على مفهوم التمفصل articultion الذي يدمج مابين التركيز على الانتاج production والتبادل exchange، بدلاً من التوجه الذي أشار اليه Parttis (1987: 22) والذي يفسر التغير الاجتماعي من خلال العلاقات التبادلية فقط. ولذلك يرى الباحث أن من غير الصواب الاعتماد على التبادل في تفسير التغير في البناء الاجتماعي، ويعتقد الباحث كذلك بأن توجه الاقتصاد الرسمي Formalist الذي جاء به ريكاردو (Ricardo) وآدم سميث (Smith) غير قادر على تفسير التغير الاجتماعي؛ لأنه ينطلق من افتراض السلوك الرشيد، والذي يتضمن أن يستغل الفرد الموارد المتاحة دون هدر، وأن الانسان في علاقاته مع الآخرين فإنه يسعى إلى الربح. ففي مجتمع فلاحي البساتين هنالك أهداف أخرى تحتاج إلى المزيد من التعمق في تفسيرها، بدلاً من الاعتماد على هذه الفرضيات الشكلية. فالفرضية الأولى لاتنطبق على قول بعض المبحوثين بأن من العيب عليهم ترك بساتينهم وعدم العمل فيها حتى مع تدني مستوى الارباح، إذ أن هنالك أهداف اجتماعية لاتقل أهمية عن هدف تحقيق الربح، وهي المحافظة عى ما ورثوه من آبائهم والاعتزاز به، واستخدام هذه الملكيات في اثبات المواطنة، ومن هنا تأتي أهمية الارتكاز على التمفصل Articulation الذي جاء به Balibar and Althusser بأنه: **علاقة بين ممارسات معينة تتم داخل تشكيله اجتماعية واسعة، لكنهما استخدما مصطلحات بديلة للتمفصل، مثل: التعايش**(Carter: 1978: 54) Coexistance، وهو يوجد في مجتمع البحث ما بين نمط انتاج يمكن القول عنه بأنه رأسمالي Capitalist، وهذا النمط لايؤمن بالقيم الاجتماعية السائدة اضافة إلى القيم الاجتماعية لنمط ما قبل الرأسمالي Precapitalist، وإنما ارتبط هذا النمط باقتصاد السوق، وتبني قيم السوق وذلك من خلال زيادة الانتاج والريع النقدي، وتعظيم تراكم رأس المال واستغلال العاملين بالاجرة بمنحهم أجوراً متدنية؛ وذلك لزيادة فائض القيمة لدى مالكي وسائل الإنتاج، ومنح القروض النقدية للحصول على الفوائد، مقابل نمط ما قبل رأسمالي Precapitalist مازال يتمسك بالقيم والمعايير الدينية والاجتماعية التي لها علاقة بضعف انتاج الفائض، والتي تدعو إلى القناعة والاكتفاء بما هو قليل من الارباح، واشباع الحاجات الاساسية، وبشكل عام العمل باستراتيجية الكفاف مؤطراً

© Arabic Digital Library Yarmouk University

سلوك الفلاحين الانتاجي بأيديولوجيا مرجعية هي أيديولوجيا الحلال والحرام من المنظور الديني، والنمطان في حالة من التعايش، ويتراجع النمط ما قبل الرأسمالي لصالح النمط الرأسمالي، فمنذ خمس سنوات تقريباً شاع بين الكثيرين من الفلاحين في مجتمع البحث فكرة العمل على تسريع نضج الثمار مبكراً قبل موعد نضجها الطبيعي؛ وذلك لتحصيل أكبر ربح نقدي ممكن في ظل وجود عرض قليل وطلب كبير، من خلال استخدام بعض الأساليب الخاصة مثل **"تزييت التين"**، والذي يقصد به ادخال كميات قليلة جداً من زيت الزيتون أو الذرة بوساطة سرنج (syring) إلى داخل ثمار التين؛ للعمل على نضجها قبل موعدها بأسابيع، فهذا يشكل نقلة رأسمالية لاتعرف سوى زيادة هامش الربح وتقليل التكلفة. وإن لتزييت التين مضار على من يأكل ثماره مثل الاصابة بالاسهال، والمغص أحياناً، كما أن طعمه غير مستساغ، لكن ذلك يرتبط بأن الهدف الاول والاخير هو: الانتاج للسوق، وليس لإطعام الأبناء والأقارب وإصابتهم بالاسهال.

ويدخل في التمفصل كذلك أن عدد سيارات (البكب) العاملة في البساتين في تزايد مستمر من جرّاء تحول بعض الفلاحين من العمل في البساتين ضمن علاقه المحاصصة أو الاستئجار أو عمل المالك في بستانه ضمن وحدة انتاج عائلية إلى العمل الفردي في نقل المنتوج إلى الأسواق مقابل تراجع استخدام الدواب في النقل والتنقل، حيث تزايد كذلك عدد السيارات الخصوصي العاملة بالأجرة النقدية في نقل الركاب، وأصبح ذلك سلوكاً مقبولاً بعدما كان عيباً في مجتمع البحث، إذ حلّت قيم ملائمة للنمط الرأسمالي والتي أشار إليها عبدالله (١٩٩٧: ٤٩) مثل تمجيد الادّخار، ورفع قيمة الريع النقدي، والتملك، والنظر إلى الثروة على أن من واجب صاحبها أن يحيمها، وهذا ما نجده في مجتمع فلاحي البساتين، إذ يسعى معظم المنتجين من الكبار والصغار والذكور والاناث إلى تجميع الثروة وزيادتها، والعمل على الادخار والاقتصاد في النفقة، فنجد مثلاً أحد كبار ملاكي البساتين والذي تقدر ملكيته بستين ألف دينار في البساتين لوحدها لايكاد يبدل ملابسه الرثة وحذاءه القديم البالي وذلك في معظم أوقاته، حتى في الظروف التي تتطلب قدراً أكبر من الاناقة، لكن هذه الملابس مرتبطة كذلك بالعمل الذي يمارسه أكثر من ارتباطه بأمواله.

وقد ذكر ماركس وانجلز بأن الرأسمالية لا تترك رابطاً بين الانسان وأخيه الإنسان سوى المصلحة الذاتية المكشوفة والدفع النقدي، كما يؤدي توسع انتشار الرأسمالية إلى تصدير علاقات اجتماعية تسحق خصوصية المجتمعات المحلية وتُغيرها (تيرنر: ١٩٨١: ٣٦). فلم يعد لدى فلاحي البساتين مبدأ العونة والمساعدة المجانية التي سادت في الماضي، وإنما برز

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العمل بالأجرة حتى على مستوى الاسرة، فقد ذكر بعض المبحوثين بأنهم يدفعون لأبنائهم أجوراً نقدية لقاء مشاركتهم في العمل في البساتين.

ولقد بدأت القيم والمعايير الدينية تفقد قوتها في تحديد وتوجيه سلوك المبحوثين، ويدخل ذلك ضمن حالة التمفصل، فنجد هنالك من الفلاحين من يقتل الخنازير معتقداً بأن ذلك "**حلال**" ويستحق عليه الاجر من الله، مقابل من يقوم بصيد الخنازير ليبيعها ويحصل على ثمنها نقداً دونما اعتبار للقيم الدينية.

كما أن فلاحة البساتين حالة تتجسد فيها بعض مظاهر التفكك وتنامي الفردية على مستوى الوحدة الانتاجية التي هي العائلة أو الاسرة، فنجد هنالك من الابناء من صار يعمل مستقلاً في انتاجه، إذ أن الاقامة في وحدة سكنية مشتركة لم تعد تعني أن يعيش الاعضاء معيشة اقتصادية واجتماعية مشتركة، فنجد في احدى الوحدات الانتاجية الاسرية أحد الأبناء وهو يملك سيارتين لنقل الإنتاج، مقابل أخ له يعمل ضمن إطار الأسرة ولايكاد يحصل على مردود نقدي من إنتاج وحدته سوى ثمن سجائره.

وإن الاستمرار في ضعف النمط ما قبل الرأسمالي (الفلاحي) لصالح النمط الرأسمالي قد يؤدي في المستقبل إلى ما أشار إليه Ray في حديثه حول مراحل التمفصل، **التي تصل في النهاية إلى سيادة النمط الرأسمالي وزوال الأنماط الأخرى** (Foster- carter: 1978: 56)، هذا مع العلم بأنه لم يتحقق من هذه الفرضية.

وهنالك بعض الدراسات التي أجريت على واقع الفلاحة في الاردن وبعض المناطق المحيطة، إلا أن دراستنا هنا لها خصوصية أنها تدرس الفلاحة في البساتين، فلقد قامت فدوى الصعبي (١٩٩٧) بإجراء دراسة حول واقع الفلاحة وتغيره في احدى قرى شمال الاردن وتدعى "أسعره"، وقامت بتطبيق بعض المفاهيم والتوجهات النظرية حول واقع القرية، وتأكيدها على التمفصل بين الرأسمالية والأنماط الاخرى في القرية التي قامت بدراستها، لكن المهم هنا هو أن تلك القرية تمتاز بممارسة الفلاحة من خلال زراعة الحبوب في أراض غير مروية **في حين أن دراستي هذه قد أجريت على ما مساحته (٥٠٢,٢٣٤) دونم من الاراضي المزروعة بالاشجار المثمرة المروية بالماء الجاري، مثل اشجار التين والرمان والتي يقل انتشارها في مناطق أخرى من الاردن، ولذلك تأتي خصوصية هذه الدراسة وتميزها، والاشارة إلى اختلاف فلاحة البساتين المروية عن فلاحة الأراضي غير المروية، ومن هذه الاختلافات أن في مجتمع**

© Arabic Digital Library Yarmouk University

البساتين هنالك حرص شديد من الفلاحين على التملك في البساتين وبالامتار المحدودة جداً، إذ أن بعض الفلاحين يملك خمس أشجار رمان ضمن مساحة ارض لا تتجاوز ستين متراً يميزها عن أشجار شركائه بصبغ سيقان الأشجار بدهان أحمر وآخر بأزرق وغيرهما من الألوان، ويرتبط هذا الحرص على الملكية بالهدف النهائي للعملية الانتاجية وهو الربح النقدي، في حين أن الملكية في قرية "أسعره" هي أكبر من ذلك بكثير من حيث الكم، وتختلف عنها من حيث النوع، بالإضافة إلى أن التوجه للسوق هو أكبرفي فلاحة البساتين، كما يبرز الصراع على ملكية البساتين، في حين أن الصراع على الملكية غير موجود في قرية اسعرة.

وأما دراسة Giacaman and Tamari (1996) فهي تركز على دراسة الفلاحين في غرب نهر الاردن، والذين يزرعون الحبوب أيضاً وليس الاشجار المثمرة و ضمن المشاركة كعلاقة انتاج اجتماعية، في حين أن دراسة مجتمع فلاحي البساتين تضمنت وجود علاقات انتاج اجتماعية أخرى سبق ذكرها.

لقد أشار كل من سورج وويلكنسون (١٩٩٠: ٤) إلى تراجع الفلاحة عالمياً، وما ينجم عنه من آثار سيئة بالنسبة للفلاحين؛ بسبب انتشار التكنولوجيا الزراعية الحديثة، فالعائلة يتراجع دورها الانتاجي باستمرار، ليحل محلها عمال مأجورون، مما يثير في ذهني أن العمل العائلي لدى فلاحي البساتين قد يزول في المستقبل إذ يستطيع فرد واحد أن يحضر مجموعة من العمال المأجورين؛ ليقوموا بتسريع نضج الثمار، وقطفها خلال فترة زمنية قصيرة لينتهِ بذلك الموسم، وبذلك يتم الاستغناء عن جهد العائلة أو الأسرة، وخاصة في ظل وجود نمو للعمل المأجور في مجتمع البحث، وتزايد السعي لتحقيق أكبر قدر من فائض القيمة، وتنامي الفردية.

ويذكر Nash (1996: 7-13) بأن فلاحي الغابات والصيادين والجامعين في المكسيك Mexico وبوليفيا Bolivia قد فقدوا اعتمادهم على اقتصاد الكفاف، وباتوا مرتطبين بالاقتصاد العولمي الذي أدى إلى تحول الكثير من هؤلاء الفلاحين إلى عمال مأجورين في الشركات المتعدية الجنسية، وهو ينظر إليهم عى أنهم يمثلون البروليتاريا، لكنه لايشير إلى الأساس الذي استند عليه في هذه النظرة؛ إذ أن البرولتياريا Proletaria كطبقة تتطلب وجود الوعي بالذات وللذات، كما أن الشعور بالاغتراب Alienationمن أهم سمات طبقة البرولتياريا. كماأشار إلى أن قسماً كبيراً من هؤلاء الفلاحين قد فقد اراضيه التي كان يعمل فيها، بتأثير تنامي نفوذ الرأسمالية المعولمة؛ اذ أنها حطمت الحدود بين المناطق الانتاجية الريفية ومناطق الانتاج

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الرأسمالي، واقتحمتها بما تحمله من قيم وتقاليد مثل تعاطي المخدرات، كما بات العمل المنزلي موجها للسوق.

ولقد تحدث Keydar (177 :164 :) في مقال له حول مسارات التحول الريفي في تركيا حول حدوث تحولات في الريف الزراعي في تركيا منذ بداية الخمسينات؛ بسبب دخول التكنولوجيا الحديثة. وتدفق رؤوس الأموال المستثمرة في هذا القطاع وما أحدثته من تغير سريع في التكنولوجيا واستصلاح الأراضي، والإندماج الكبير في الإقتصاد العالمي والإستغناء عن اعداد كبيرة من الأيدي العاملة من الفلاحين. وبدخول الرأسمالية وتجذرها في الريف التركي فقد أحدثت تمايزاً وفروقاً بين الفلاحين، ولم تعد تركيبتهم متجانسة كما كانت في السابق، كما تضاءلت وحدتهم الاقتصادية والاجتماعية في قرية قام keydar بعمل دراسة حالة لها لمعرفة أثر الهيمنة الرأسمالية على النظام الزراعي في تركيا، وتدعى yesildumlupinar والتي اعتراها التفكك وفقدت جاذبيتها الاقتصادية، وتحول معظم فلاحيها إلى عمال هامشيين في المدن القريبة بعد دخول الرأسمالية إلى تركيا منذ الخمسينات، وإقامة المشاريع الصناعية في المدن، ولذلك فإن التغير الاجتماعي يأتي استجابة لقوى أو ظروف خارجية أهمها العامل الاقتصادي، وهذا ما أشار اليه لاتوش (١٩٩٨: ٦٩) عندما ذكر بأن العولمة قد أدت إلى زيادة البطالة واللامساواة والضعف والفساد والتلوث وتدمير البيئة.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الثاني

ملكية وسائل الانتاج

مقدمة:-

لقد أدت وسائل الانتاج الأساسية في مجتمع البحث، وهي الأرض والأشجار والمياه، بالإضافة إلى مدى المساهمة في العملية الإنتاجية إلى وجود أشكال معينة من العلاقات الاجتماعية في مجتمع البحث. وهذه العلاقات تجسدها العلاقات الربوية ودورها في الاستيلاء على الأراضي، بالإضافة إلى التمايز الاجتماعي والاقتصادي والديني في مجتمع جديتا.

التوزيع الجغرافي للبساتين وعلاقته بالانتاج:-

يُقسّم مجتمع البحث البساتين إلى قسمين: "**البساتين التّحاتا**"، و"**البساتين الفواقا**"، وذلك نظراً لموقع البساتين فوق أو تحت الجسر الذي يتوسط الوادي، فالبساتين الفواقا تضم البساتين الواقعة ضمن حوض "**مصقاع الطاحونة**"، وحوض "**المعاريض**" وجزء من حوض "**الرّهوة**"، وأما "البساتين التّحاتا" فيقصد بها البساتين التي تضم جزءاً من حوض "**الرهوه**"، بالاضافة إلى حوض "**ملحم**". والمعروف أن انتاج "**البساتين الفواقا**" أفضل من انتاج "**البساتين التّحاتا**" نوعاً وكماً، قديماً وحديثاً؛ لوفرة المياه فيها أكثر من "**البساتين التّحاتا**" نظراً لقربها من منابع المياه، كما أن ظروفها الايكولوجية تناسب الأشجار المزروعة أكثر من ظروف "**البساتين التّحاتا**"، إذا أنها تمتد على طرفي مسيل الماء الذي يقسم "**البساتين الفواقا**" إلى قسمين: شمالي وجنوبي، ولكل قسم قناتان صغيرتان يبلغ عرض الواحدة منها من (٥٠-٨٠سم)،وتمتاز "**البساتين الفواقا**" بضيق المنطقة، وبالتالي فهي أقل تعرضاً لأشعة الشمس، وهي أكثر برودة ولذلك يطلق عليها الفلاحون مصطلح "**مصقاع**"، وهذه الظروف تلائم أشجار الرمان.

كما أن ضيقها يزيد من فرص الحصول على كميات أكبر من المياه في المدة الزمنية نفسهاالمخصصة لريّها؛ لأن معظم البساتين هناك يمر فيها قناتان تجري فيهما المياه في آن واحد، وبالمقابل فإن "البساتين التحاتا" تمتاز باتساعها وانفتاحها، وبالتالي تعرضها أكثر لأشعة الشمس، ومن هنا يطلق عليها مصطلح "**المشماس**". وتؤدي الحرارة الزائدة إلى تشوه في لون ثمار الرمان وتعرضه المبكر للتلف. كما أن قنوات المياه لا تمر من جميع البساتين، وبالتالي فإن قسماً كبيراً منها لا تصله المياه الا بعد ما تجري في البساتين المجاورة من خلال قنوات ترابية،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويعتمد جريانها على علاقة الجيران، إذ يمنع بعض الجيران جيرانهم من السماح لهم بمرور المياه المخصصة لهم من بساتينهم.

ملكية أراضي البساتين ومصادرها

أ) "وَضْع اليد"

لا بد في البداية من الاشارة إلى ما ذكره أحد المبحوثين ويدعى (س، ٧٤سنة)، بأن أراضي البساتين كانت في العشرينات "أراضي ميريّه"، أي أنها كانت مملوكة لجهات من السلطات الحكومية، ومنها ما يعرف بـ"**الميري السقي**" أي المروية بالماء الجاري، ومنها بساتين مجتمع البحث. وقد اعتادت عشائر "**الفلاحين**" في قرية جديتا على زراعة هذه البساتين، واستقروا فيها دون أن يكون لهم حق الملكية فيها، وكانت تُزرع بالحبوب والبقوليات، بمعنى أنه لم يكن هنالك اهتمام بزراعة الأشجار، لعدم ملكية هذه الاراضي. وبقيت الحال كذلك إلى أن جاءت "التسوية" عام ١٩٣٨م، ويقصد بها: تسوية الحقوق المتعلقة بالاراضي وملكيتها. وكانت لجان التسوية تسأل الفلاحين والمخاتير "**لمين هاي، ولمين هاي؟**"، فيشير الفلاحون إلى أن هذه القطعة لفلان، وتلك لفلان على أساس أنه اعتاد على زراعتها والاستقرار فيها، ويتم تسجيلها عليه مقابل دفع رسوم التسجيل ليصبح متصرفاً في ملكيتها.

وجدير بالذكر أن بعض الفلاحين قد تهرّب من الاعتراف بأنها اعتاد على زراعة هذه الأرض أو تلك؛ وذلك لأنه لم يكن بإمكانه دفع رسوم تسجيلها، حيث كان يتم تقدير قيمة الأرض، وتستوفى الرسوم المستحقة عليها بنسبة ١,٥٪ من القيمة المقدرة لثمن الأرض، وبعد مرور خمس سنوات تصبح النسبة ٣٪، وجدير بالذكر أن بعض المالكين لم يدفع الرسوم المستحقة الا بعد مرور ٣٠سنة على تسجيلها، (**جدول تسوية أراضي حوض ١٩ من أراضي جديتا**). وإن إحجام بعض الفلاحين عن الاعتراف بزراعة بعض الاراضي تهرباً من الضرائب والرسوم المتعلقة بالتسجيل، أدى إلى قيام بعض الاشخاص من مجتمع البحث الذين امتازوا بأوضاع اقتصادية افضل، إلى اللجوء لدفع الرشاوي للمسؤولين عن عملية التسجيل، ومن ذلك مثلاً أن احدى القطع في حوض "المعاريض" وتبلغ مساحتها (٤,٤٢٧) دونم وهي قطعة كبيرة بالمقارنة مع القطع الاخرى، وتم تقدير قيمتها بمبلغ وقدره (٢٥) ليرة فلسطيني (**جدول تسوية أراضي حوض من أراضي جديتا**)، وذلك بسبب قيام الذين سُجّلت لهم بدفع رشوة للمساح المسؤول عن التسجيل مع العلم بأن الذين سجلت لهم لم يزرعوها ولم يسكنوا فيها من قبل، لكن ذلك يُعَبّر عن أهمية الأرض آنذاك كوسيلة للانتاج وللمكانة الاجتماعية. **وقد اشارت غنام (١٩٩٨: ١) في دراستها حول ملكية الأرض والزعامة في إحدى قرى شمال الأردن إلى أن المجتمعات التي**

© Arabic Digital Library Yarmouk University

تعتمد على الزراعة كمصدر أساسي للإنتاج تصبح السيطرة على هذه الوسيلة الانتاجية مهمة في كسب المؤيدين، واستقلالها في فرض السلطة والنفوذ كعوامل أساسية للوصول إلى الزعامة. فهذا التوزيع اعتمد أساساً على ما يعرف بـ"**وضع اليد**"، والذي يطلق المبحوثون عليه "**حطة الايد**" **والذي كان يمثل شكلاً من أشكال الاستيلاء والسيطرة القديمة على الأرض وكذلك الأشجار فيما بعد، وهو تعبير عن القوة السياسية المحلية التي كان يتمتع بها هذا أو ذاك.**

ب) التعاقد (المغارسة)

ويقصد به: اتفاق ما بين طرفين، أحدهما يملك وسيلتا الانتاج الاساسية وهما هنا: الأرض والمياه ويقدمهما للطرف الثاني (العامل)؛ ليقوم بزراعة الأشجار فيها، والعناية بها، مقابل أن يتقاسم الطرفان منتوج هذه الأشجار لمدة معينة كأن تكون (١٥) سنة، وفي بعض الحالات يتم اقتسام وسيلتا الانتاج (الأرض والأشجار) حسبما يتفق الطرفان، وقد اعتاد الفلاحون على أن يأخذ المغارس ثلث البستان. **وتشير غنام (١٩٨٨: ٥٧) إلى أن المغارسة تمثل شكلاً لانتقال الأراضي في قرية "خربة الوهادنة".** وقد ازدادت أهمية زراعة الأشجار في الوادي بعد تسوية الاراضي، بحيث أصبح بالامكان أن يتصرف المالك بالأرض والأشجار كما يشاء، بينما كان في السابق لا يملكها، وانما يزرع الأرض دون أن يملكها، ولذلك لم يكن يهتم بالزراعة على المدى البعيد، وأعني زراعة الأشجار التي تحتاج إلى عدة سنوات حتى تثمر وتصبح منتجة، وانما كان الإهتمام منصباً على زراعة الحبوب والبقوليات للاستهلاك الذاتي.

ومما ساهم في انتشار نظام التعاقد، توجّه الكثيرين من أبناء مجتمع البحث آنذاك إلى العمل في فلسطين، وما اكتسبوه من خبرات في نظم العمل وزراعة هذه الأشجار وتسويق منتجاتها، بمعنى وجود نوع من التثاقف culturalization، فعاد بعضهم ليتعاقد مع مالكي الاراضي، ليغرس فيها الأشجار، بل ان بعضهم أحضر معه بعض أنواع الأشجار من هناك، وبالتالي فقد أدى توجه القسم الآخر منهم إلى الإستمرار في العمل في فلسطين إلى عدم امكانيه العمل في اراضيهم الخاصه بزراعه الأشجار، مما اتاح الفرصة لقيامهم بتقديم الاراضي للتعاقد (المغارسة) ؛ إذ ان طول الفترة التي كان يقضيها العامل بعيدا عن ارضه واهله كانت تترك فراغا انتاجيا في فلاحة البساتين، بحيث لاتتيح له الفرصة للعمل في غرس الأشجار في ارضه، كما ان غرس الأشجار يعني ان عليه الإنتظار لعدة سنوات حتى تثمر وتنتج، وقد لاتكون لديه القدرة على تأمين احتياجات أسرته الأساسية من الغذاء اثناء فترة انتظار نمو الأشجار حتى تنتج.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وأما عن الأشجار التى تمت زراعتها آنذاك، فقد كان أهمها المشمش والليمون، والذي تم استبداله فيما بعد في الخمسينات والستينات بالزيتون والرمان والتين. واستمر نظام التعاقد أو المغارسه في تلك الفتره، بسبب توجه الكثيرين من مالكي الأراضي وأبنائهم إلى الإلتحاق بالعمل في الوظائف الحكوميه وخاصة القوات المسلحة، وكانت اجازاتهم قليلة لدرجة انه كما يذكر أحد المبحوثين ويدعى (ط ، ٥٥سنه)، **"كان العسكري عندما يْروّح اجازه، الناس تعزمه وتعمل له عشاء،"** وذلك بسبب طول الفترة التي كان يقضيها بعيدا عن أهله، مما كان يشكل عائقا أمام قيام الأسرة بزراعة الأشجار، ويذكر احد المبحوثين (م ،٨٠سنه) بان هناك ٤ بساتين لجيرانه في حوض **"الرهوة"** جاءت ملكيتها لاصحابها من خلال التعاقد، وجدير بالذكر انه لم يرد في سجلات دائره الاراضي أي إشارة لانتقال الملكية بهذا الأسلوب. وكان أحد المبحوثين ويدعى (ط، ٦٢سنة) قد ذكر لي بأن ثلاثة من أبناء عمه قد امتلكوا نصف احد البساتين بمساحة (٢٦١)م٢ عام ١٩٥٤م، قاموا بالتعاقد مع صاحبه الذي كان قد التحق في القوات المسلحة الأردنية، فنلاحظ هنا استمرار الإهتمام بزراعة الأشجار في وادي جديتا حتى مع التوجه إلى الوظائف في حين أن غنام (١٩٨٨: ٢٣) **تذكر بأن العمل الزراعي قد تراجع في أراضي القرية التي قامت بدراستها منذ الخمسينات بسبب التوجه إلى الوظائف الحكومية.** وكما ذكر لي مبحوث آخر ويدعى (ص، ٥٧سنة) بانه تعاقد مع ابن أخيه في بداية الستينات ليقوم بزراعة الأشجار في قطعة ارض بلغت مساحتها ثلاث دونمات، مقابل أن يأخذ انتاج البستان لمدة خمس سنوات بعدما تثمر الأشجار، وكان للمالك بستاناً آخر يعوضه عن انتاج هذه الفترة. وأشار أحد المبحوثين (أ.ع، ٤٤ سنة) إلى أن والده عمل ضمن هذا النظام على أساس أن يأخذ ثلث البستان الذي سيقوم بتشجيره سنة ١٩٦٨م، وبالفعل فقد امتلك الحصة التي تم الإتفاق على ملكيتها.

ج) مهور النساء:-

لقد ساد في الماضي القريب، وتحديداً قبل السبعينات بأن يقوم أهل العريس بدفع مهر العروس من خلال تنازلهم عن قطعة من الأرض لوالد العروس، أو للعروس نفسها، ومن ضمن هذه الاراضي: البساتين، حيث يذكر الكثيرون من المبحوثين بأن **"فيد"** – ويقصد به المهر، ولعل الكلمة مأخوذة من الفائدة– فكان **"فيد"** إحدى العرائس وتدعى (س) ٤ دونمات من البساتين انتقلت ملكيتها من والد العريس الذي ينتمي لعشيرة (ع) لوالد العروس الذي ينتمي لعشيرة (ك). كما يذكر أحد المبحوثين ويدعى (ع، ٦٧سنة) بأن أحد بساتينه حالياً كان مهراً لعروس من احدى العشائر، وقام بشرائه من والدها بعد زواجها. ويشير أحد المبحوثين (ي، ٧٤سنة) إلى أنه دفع **"فيد"** زوجته بستاناً قدمه والده لوالدها سنة ١٩٥٢م، وهو يعتقد بأن ذلك لم يذهب سُدى؛ إذ أنها أنجبت له من الأبناء ما يعتز بهم وبانجازاتهم العلمية والوظيفية، ويشير أحد المبحوثين (ص،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٦سنة) إلى أن والده تنازل عن أحد بساتينه لوالد زوجته عام ١٩٥٠م، والذي بلغت مساحته خمسة دونمات، وكانت أسرة العريس متجاورة مع أسرة العروس، ثم ورثت الزوجة ثلثه بعد وفاة والدها، ومازالت حصتها مسجلة باسمها، إذ أنها لاتزال على قيد الحياة. ويبدو أن تقديم الأرض مهراً للعروس كان منتشراً في مناطق متعددة من الأردن، **إذ تشير غنام (١٩٨٨: ٥٦) إلى أن الأرض كانت تستخدم كمهر للعروس بدل النقد، وتقدم على ذلك مثالاً من القرية التي درستها، فقبل عرس إحدى الفتيات قام العريس بتسجيل قطعة أرض باسمها، وبنت عليها فيما بعد بيتاً،** لكن الفرق هنا أنه في وادي جديتا كان التنازل عن الأرض يكون لوالد العروس بينما في دراسة غنام فإن الأرض تكون من نصيب العروس.

ولقد أكد أحد المبحوثين ويدعى (ج، ٦٥سنة) إلى أن دفع المهر بهذه الطريقة لم يعد له وجود هذه الايام في مجتمع البحث، وصار دفع المهر يعتمد على الدفع نقداً **(كاش)**.

د) الملكية من خلال الرهن والعلاقات الربوية:-

لقد شكلت عمليات الرهن وسيلة هامة لانتقال ملكية البساتين في مجتمع البحث بما فيها من أرض وأشجار. إذ استولى الكثيرون من الأشخاص من أبناء المجتمع ذاته على أملاك اشخاص آخرين من خلال رهنها مقابل الدّين، لتنتقل ملكيتها فيما بعد إلى الشخص الدائن؛ بسبب ظروف الفقر التي سادت حياة الفلاحين. فهناك تلازم مابين الرهن والعلاقات الربوية، فالتاجر كان يقدّم القروض النقدية أو السلع الاستهلاكية للفلاح، ويتفق معه على تسديدها خلال فترة محددة، ويرهن الأرض التي يملكها الفلاح مقابل هذا الدين، وفي كل مرة تنتهي فيها الفترة المحددة لسداد الدين كان التاجر يقوم بزيادة الفائدة المستحقة على الدين حتى تصل إلى عدة أضعاف، وهذه الأضعاف تعادل ثمن الأرض، فالرهن كان يشكل إطاراً للعلاقات الربوية. وعند السؤال عن هذه العلاقات كان يتبادر إلى أذهان المبحوثين أسماء بعض كبار الملاكين من التجار الذين اشتهروا باستيلائهم على البساتين بهذه الطريقة، ومن المهم ذكره هنا ما أشار إليه بعض المبحوثين من أن هؤلاء المرابين كانوا يستولوا على بعض البساتين بالمكر والخديعة. إذا كانوا يرهنوا البستان مثلاً لمدة خمس سنوات مقابل مبلغ من المال يتم تسليفه للفلاح البائس، ويبصم الفلاح على عقد يتضمن الرهن، ولكن المرابي يذكر للفلاح بأن مدة الرهن أكثر من ذلك كأن يقول له شفهياً، سبع سنوات، وعند انتهاء المدة المحددة خطياً بخمس سنوات، يتفاجأ الفلاح باستيلاء التاجر المرابي على البستان، وقد حصل ذلك بين الاقارب، حيث قام أحد التجار بإيهام أحد الفلاحين بأن العقد لمدة ست سنوات، مع أنه كان لمدة خمس سنوات، فاستولى بذلك على البستان. وقد أصيب أحد أشهر هؤلاء التجار المرابين في أواخر سنوات عمره في الثمانيات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بمرض عضال، وبفقر شديد، ولايجد المبحوثون تفسيراً للفقر والمرض الذي حل بهذا التاجر المرابي سوى اعتقادهم بأنه عقاب له من الله على استيلائه على اراضي الفلاحين من خلال الربا.

ومن الطريف في هذا المجال يذكر أحد المبحوثين ويدعى (ش، ٤٥سنة) بأن هنالك حادثة زواج تبادل بين شخصين من احدى العشائر في مجتمع البحث، فتزوج احدهما أخت الآخر وانتظر الآخر بلوغ أخت الأول سن الزواج، وبالمقابل فقد أعطى لأهلها بستاناً ليأخذوا انتاجه حتى تبلغ الفتاة، فكان ذلك بمثابة رهن وتأمين من العريس إلى أهل العروس لكي لايتزوج غيرها، ولم يكن هنالك مهر لأنه زواج تبادل. وقد أشار Tarawneh إلى أنه وحتى منتصف الستينات فقد شكلت العلاقات الربوية في وادي الأردن (ميكانزم) لانتقال الأراضي وتحولها من الفلاحين وقادتهم التقليديين إلى التجار الذين هم مقرضو الديون في دير علا، وعندما يعجز المقترضون عن السداد فإنهم كانوا يتنازلون عن جزء من أراضيهم لهؤلاء التجار، ويشير كذلك إلى قدوم بعض التجار إلى دير علا وقيامهم ببناء طاحونة قرب دير علا، وتزويدهم للمزارعين هناك بالطحين مقابل رهن أجزاء من أراضيهم لقاء ذلك الدين، وهذا جعلهم من أكبر مالكي الأراضي في منطقة دير علا بسبب العلاقات الربوية ويشير Tarawnehكذلك إلى أن معدل الفائدة في الأردن خلال النصف الأول من هذا القرن كان يقدر ب ٢٠-٤٠٪ وقد بلغت ديون الفلاحين في فترة ١٩٤٠م في الأردن ١٩٦٠٠٠ ليرة فلسطيني، وارتفعت عام ١٩٤٦م إلى ٦٨١٠٠٠ ليرة فلسطيني بمعدل زيادة ٣٤٧٪ خلال (٧) سنوات. (Tarawneh 1989: 74-75).

ولاتقتصر هذه العلاقات الربوية على الاردن لوحده، إذ نجد أن فائض انتاج الفلاحين في غابات الهند يذهب إلى المرابين من التجار والمقرضين، كما أن بعض هؤلاء الفلاحين لجأ إلى بيع أرضه لسداد ديونه وفوائدها الربوية، مما أدى إلى بروز مجموعة من الصفوة في مجتمعات سكان الغابات (Pathak 1994: 73-74).

هـ) الوراثة كمصدر للملكية:-

شكلت الوراثة ولاتزال مصدراً هاماً لملكية البساتين، وهي تتضمن انتقال عناصر الثروة التي يملكها شخص قد توفي إلى ورثته ومن بينها البساتين. ويتم تناقل هذه الملكيات من شخص لآخر اعتماداً على مبدأ الوراثة. ويشير أحد المبحوثين ويدعى (ع، ٩٠ سنة) إلى أنه ورث من زوجته بستاناً بعد وفاتها، والتي كانت قد ورثته عن خطيبها الذي توفي، فتزوجها شقيق زوجها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويدعى (ع، ٩٥سنة) ثم توفيت فورثها (ع) وأما (ز،٦٠سنة) فأشارت إلى أنها ورثت عن زوجها بعد وفاته هي وإخوانه البالغ عددهم ثلاثة، بستاناً لا تتجاوز مساحته (١,٥) دونم في "**البساتين التحاتا**" حيث لم يتنازل إخوان زوجها عن حصصهم في البستان لها مع أنها أرملة فقيرة الحال، ولايوجد لها من يعيلها، إذ أنها لم تنجب ولا تملك من الدنيا غير حصتها في البستان المذكور، بالاضافة إلى غرفة من الحجر والطين في بلدة جديتا. ويُعبّر هذا الموقف عن الاصرار على تملك الأرض والأشجار كوسيلتا انتاج في مجتمع البحث. وبالرجوع إلى سجلات دائرة الاراضي والمساحة فإنه يطلق على الوراثة مصطلح "الانتقال"، حسبما ورد في السجلات. ولقد شهد مجتمع البحث عدداً كبيراً جداً من حالات الانتقال هذه، فهي عملية مستمرة مادام هنالك حالات وفاة لأشخاص يملكون ولو عدة امتار في البساتين.

وإضافة إلى المصادر السابقة للملكية هنالك مصادر أخرى أقل أهمية، مثل البيع والشراء، نظراً لقلة عدد حالات البيع حسب السجلات المعتمدة، ويؤكد ذلك ما أشار إليه بعض المبحوثين من أنه كان في الماضي من العيب بيع الأرض بما في ذلك البساتين، الا في الحالات التي يجبر فيها المالك على البيع، مثل رهن بستانه للدّين، وعدم قدرته على السداد، فيتم التنازل عن البستان في هذه الحال على أساس أنها عملية بيع وشراء، كما أنه ومنذ أوائل التسعينات فقد ازداد تمسك المالكين بحصصهم في ملكية البساتين، بسبب الرغبة في الحصول على التعويضات الناجمة عن قيام السلطات الحكومية بسحب مياه الوادي.

ملكية الأشجار :-

تعد الأشجار وسيلة انتاج مهمة لدى فلاحي البساتين؛ وذلك لأهميتها الإنتاجية. وتمتاز أشجار الوادي بتنوّعها، وأهمها الرمان والتين والزيتون.

أنواع الأشجار وتغيرها:-

يمتاز مجمع البحث بانتشار كبير لأشجار الزيتون الرومية، والتي يعتقد المبحوثون بأنها زرعت منذ أيام الرومان، **كما تشتهر أراضي قرية "خربة الوهادنة" في عجلون بانتشار ما يسميه السكان بالزيتون الرومي. (غنام ١٩٨٨: ١٧)**. وهي تمتاز بالانتاجية العالية في الكم والنوع، وتمتاز كذلك بضخامة حجمها بالاضافة إلى ديمومة خضرتها مما يكسبها أهمية أكبر، إذ أنه بالاضافة إلى إنتاجها فإن الناس تستظل بالجلوس تحتها للوقاية من أشعة الشمس أثناء العمل في البساتين في فترة الصيف خاصة؛ لأنها توفر ظلاً أكبر مما توفره الأشجار الأخرى؛ بسبب كثافة أوراقها، وتشابك أغصانها، ولقد أثبتت التجارب -حسبما يذكر بعض المبحوثين- بأن

© Arabic Digital Library Yarmouk University

شجرة الزيتون هي الشجرة الأكثر ملاءمة لطبوغرافية الوادي، وكذلك لنسبة المياه المتوفرة، حيث تتحمل أشجار الزيتون قلة المياه، ويسود في أوساط الفلاحين فكرة خاصة تتعلق بأشجار الزيتون موادها أن أشجار الزيتون تنتج كميات كبيرة من الزيتون سنة بعد سنة، لكن نقص الكمية في سنة ما يعوض بالنوعية الأفضل في السنة نفسها، إذ أن شوال الزيتون في الحالة الأولى ينتج تقريباً (٧) كيلوغرام من الزيت، وفي الحالة الثانية ينتج (١٠) كليوغرام. وتشكل أشجار الزيتون ما نسبته تقريباً ٢٠٪ من الأشجار المزروعة في البساتين، فهي تحتل المرتبة الثالثة بعد الرمان والتين.

وأما أشجار الرمان فهي الأكثر انتشاراً في مجتمع البحث، ويذكر أحد الفلاحين ويدعى (أ، ٥٧سنة) بأن "**البساتين الفواقا**" تتلاءم ظروفها الجغرافية التي سبق الاشارة إليها مع الرمان الحلو، حيث تمتاز بوفرة المياه وتعرضها لأشعة الشمس لساعات أقل، اما "**البساتين التحاتا**" فتلائمها زراعة الرمان الحامض الذي يحتاج إلى كميات أقل من المياه، بالاضافة إلى عدد اكثر من ساعات التعرض لأشعة لشمس، ولكن الفلاحين يتجاهلون ذلك، ويصرون على زراعة الرمان الحلو في كل مكان؛ نظراً لإرتفاع سعرة بالمقارنة مع أشجار الرمان الحامض، متناسين "**تسطح الرمان الحلو في "البساتين التحاتا"** بسبب " **العطش**" الناجم عن نقص المياه. ويشكل الرمان بنوعيه الحامض والحلو ما نسبته حوالي ٤٥٪ من مجموع اشجار الوادي. وأما أشجار التين فهي تحتاج إلى وفرة المياه والقليل من أشعة الشمس بالمقارنة مع الرمان الذي يحتاج إلى المزيد من أشعة الشمس، كما يحتاج التين إلى النّدى؛ لأن ارتفاع الحرارة يعني عدم نضوج ثمار التين، بل إنه يصاب بنوع من الذبول، وإذا استمر ارتفاع درجة الحرارة لبضعة ايام متتالية فإن ثمار التين تتساقط على الأرض. وعن الندى وتشكّله **فقد ذكر شحاده أن كميات الندى تتكون بكثرة في مرتفعات عجلون واربد، اذ يزيد المعدل السنوي للندى في منطقة وادي اليابس،** ويقصد وادي جديتا- **على (١٨) ملم، وهو أكبر منه في معظم مناطق المرتفعات الجبلية المجاورة، حيث يبلغ عدد الليالي التي يتشكل فيها الندى (١١٧) ليلة. ويعود ذلك إلى كثرة تدفق الهواء الرطب من سفوح مرتفعات عجلون المجاورة له إلى مجراه، وخاصة في ساعات الليل. (شحادة ١٩٩٠: ١٩٠-١٩٣).**

وتحتل اشجار التين المرتبة الثانية بعد الرمان، وتشكل ما نسبته حوالي٣٠٪ من مجموع الأشجار، وهو ينتشر في معظم البساتين ويمتاز بتعدد أنواعه وهي:-

١- "**التين الحُماضي**" ٢- "**التين السوادي**" ٣- "**التين العسالي**" ٤- "**التين الحراقي**":

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن المهم ذكره هنا أنــه وحتـى الخمسينات فقد اشـتهر مجتمع البحـث بزراعـة أشـجار المشمش والليمون، ولم تكن تقل أهمية عن اشجار الرمان والتين لكنها لم تعمـر طويـلاً، إذ كـانت تصـاب بالتسـوس، وبالتـالي يباسـها، وهـذه الفكـرة يشير إليهـا المبحوثـون بـأن أشـجار الليمـون والمشمش لا تعمر أكثر من (٢٥) سنة، ولذلك تم استبدالها بأشجار أخرى معمـرة أكـثر، وأفضـل انتاجاً مثل الزيتون والرمان والتين. وإن القصـد مـن استبدال هـذه الأشـجار هـو دخـول مجتمـع البحث في علاقات السوق، أي الانتاج بهدف السوق وليس للاستهلاك المحلي فقط، لذلـك فـالعمر هنا يصبح مهماً.

وتشكل الأشجار الأخـرى مايقـارب ٥٪ مـن مجمـوع أشـجاره وهـي ١) أشـجار الحُـور: والتي تمتاز بطولها الشاهق الذي يصل إلى (٣٠) متراً، وهـي أشـجار حرجيـة، ولهـا فـائدة أنهـا تعمل كمصدات للرياح ممـا يوفـر الحمايـة للأشـجار الأخـرى، كمـا أنهـا وحسـبما لاحظـت أثنـاء مقابلتي لاحدى الوحدات الانتاجية، وكما سيأتي فـي فصـل لاحـق تُستخدم أخشـابها فـي صناعـة السلالم الخشبية، والتي تعتبر من أدوات الانتاج وخاصة أثناء قطف ثمار الزيتون. كمـا ذكـر لـي أحد المبحوثين بأن بعض الجيران يقوموا بزراعة أشجار الحـور لإلحـاق الضـرر بجيرانهم؛ لأن جذورها تمتاز بتشابكها وانتشارها فـي الأرض لمسافات بعيدة، وبذلـك فهـي تمتـص مـن حصـة الجيران في المياه وما تحويه الأرض من غذاء للنبات. ٢) أشـجار التفـاح ٣) أشـجار الـدراق ٤) أشجار الجوز ٥) أشـجار (العنـب) الدوالـي. ومعظـم منتوجـات هـذه الأشـجار، وعلـى قلتهـا فـإن إنتاجها غالباً يُوجّه للسوق، وليس لغايات الإستهلاك الذاتي. وإضافـة إلـى هـذه الأشـجار، فهنـالك بعض النباتـات التـي تـزرع علـى جـانب مسيل المـاء؛ لتشـكل نوعـاً مـن السياج، وهـي نباتـات "**القصّيب**" الذي يمتاز بطوله المرتفع والذي يمتد غالباً حتى يصل إلى (٥-٧م)، وقطره لايتجـاوز ٤-٧سم، وورقة أخضر اللون، ويقول المبحوثون "**رماح قصيب**" حسبما ذكر لـي أحـد المبحوثيـن ويدعى (ص، ٤٦سنة)، والذي أشار إلى أنه يُستخدم لمنـع الخنـازير مـن الدخـول إلـى البسـاتين، وكذلك في عمل "**المعرشات**" حيث يوضع على السقف والجوانـب وسـقف الغـرف الصغيرة التـي تسمى "**خُشاش**" ومفردها "**خُشّة**"، مع جسور من أشـجار الحـور، بالإضافـة إلـى اسـتخدام أوراقـه كغذاء للحيوانات. وله أهمية اجتماعية حسـبما يذكـر (ص)، إذ أنـه بمثابـة سـتائر ثابتـة، حيـث أن كثافة الورق تغطي على البستان وتجعل من يمر من الشارع لايرى شيئاً من الداخل، وبذلك "**يأخذ الناس راحتهم في بساتينهم**" وبهذا يبدو لنا البعد الايكولوجي واضحاً وجلياً في اختيار هذا النـوع من النبات الذي عرفه مجتمع البحث منذ القدم وحتى اليوم.

وإن تشابك الأشجار والنباتات وكثافتها قد عمّق تأثير البعد الايكولوجي في حياة الفلاحيـن أكثر وأكثر، فقد كنت ألاحظ وأسمع الفلاحين يتحدثـون بأصوات عاليـة لتجـاوز هـذه التشـابكات،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فأثناء مقابلتي لأحد المبحوثين ويدعى (ش، ٦٧سنة) كان يتحدث معي بصوت مرتفع وأنا أجالسه، والمسافة بيني وبينه لاتتجاوز نصف متر، وعندما يلقي عليه أحد الأشخاص تحية من بعيد، فإنه يرد عليه بصوت مرتفع أيضاً، ويكون الرد كذلك حتى لو كانت المسافة قريبة لكن يبدو لي أن الحديث بصوت مرتفع هو من مرتكزات الحياة في مجتمع البحث نظراً لتشابك الأشجار والتفافها على بعضها بكثافة، بالاضافة إلى خرير المياه الذي كان في الماضي قبل سحب المياه، مما قد يشكل عائقاً لسماع الكلام، وتبادل الاحاديث من بعيد أو قريب. ولقد كان (ش) يتحدث بصوت مرتفع نسبياً أيضاً حتى عما يعتقد أنه من الأسرار الخاصة في حياته، ومع ذلك فقد كان يتكلم بحدة الصوت نفسها التي كان يتحدث بها دائماً.

ملكية الأشجار دون ملكية الأرض:-

إن الأرض والأشجار والمياه هي وسائل الانتاج الأساسية، وتوالت أهميتها منذ فترة التسوية؛ لكن قبل تسوية الحقوق المتعلقة بأراضي جديتا عام ١٩٣٨م، شكلت الأرض وسيلة الإنتاج الأساسية نظراً لزراعة المحاصيل الزراعية الحقلية قبل عام ١٩٣٨م، والتي اعتمدت على مياه الأمطار في المقام الأول، لكن بعد تسوية الحقوق المتعلقة بالاراضي سنة ١٩٣٨م، بدأ الفلاحون بتشجير الاراضي، وهنالك مسألة هامة تتعلق بأشجار الزيتون التي وجدت قبل عملية التسوية، خاصة تلك الأشجار الضخمة التي يطلق عليها "**المهاريس**" ومفردها "**مهراس**"، وهي شجرة الزيتون الرومية الأضخم حجماً، والأكثر ارتفاعاً، وتمتاز كذلك بساقها السميك وبانتاجيتها الوفيرة. وقد اعتادالناس على قطف ثمارها دون وجود سند قانوني بمنحهم حق التصرف فيها. وعندما جاءت التسوية حصل أن يمتلك اشخاص آخرون غير الذين كانوا يتصرفون بهذه الأشجار الاراضي التي تضم هذه "**المهاريس**"، وتبعاً لذلك فقد حصلت بعض الخلافات على ملكية الأشجار، إذ كان يصر الطرف الأول على أنه بحكم العرف فقد اعتاد على تملك انتاجها حتى عرفت بعض المهاريس بأسماء بعض الاشخاص مثل "**مهراس علي السعد**" ويصر الطرف الثاني على أن الأرض وما عليها باتت من حقه، ولم تكن تنته هذ الخلافات الا في حال قيام صاحب الأرض بدفع ثمن الأشجار للطرف الآخر. كما أن من أسباب هذه الخلافات ما ذكره أحد المبحوثين ويدعى (ح، ٦٧سنة) بقوله "**إلي عليك شوية قروش، بأرهن الوطاة الّي إلك، وبظلني آكل بالشجرات حتى تسدد الدين اللي عليك وكل سنة بأخصم من الدين، وبأزيد على التأخير، وإذا ما بتسد المصاري بتتحول الشجرات إلي**" وبذلك فإن العلاقات الربوية ساهمت في خلق هذه الخلافات، إذ أصبحت الأرض لشخص والأشجار لشخص آخر، وبذلك فإن الأشجار شكلت رأس مال ثابت يمكن الإعتماد عليه في الرهن.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويشير مبحوث آخر ويدعى (ع، ٥٧سنة) إلى أن من أسباب وجود هذه المشكلة، وأعني الأرض لشخص والأشجار لشخص آخر، والتي لم تعد موجودة هذه الايام: عدم الدقة في تحديد الاراضي التي تم توزيعها والتأكد من حدودها، وانشغال الناس بغرس الأشجار، وتمييز حدود أراضيهم من خلال بعض الصخور أو حتى الحجارة التي يمكن ازاحتها، لتؤدي إلى عدم الدقة في معرفة حدود أرض الجيران، فكان الجار يجد نفسه أحياناً وقد غرس الكثير من الأشجار في أرض جاره، لتبرز في النهاية الخلافات على ملكيتها، والتي كانت غالباً تنتهي بقيام صاحب الأرض الحقيقي بدفع ثمن الأشجار لمن قام بزراعتها.

توزيع البساتين حسب ملكية العشائر:-

يضم مجتمع البحث ٧ عشائر تتقاسم ملكية البساتين بنسب متفاوتة، حيث تعتبر العشيرة clan من أهم الوحدات البنائية في التشكيل الإجتماعي القائم، وهذه العشائر السبعة هي حسب عدد أفرادها ١- **بني ملحم**، ٢- **الربابعه**، ٣- **الخطاطبه**، ٤- **الكسلسبه**، ٥- **الزيوت**، ٦- **بني مفرّج**، ٧- **الزقيلية**، بالاضافة إلى بعض العائلات التي لا تنتمي لهذه العشائر، والتي تمتاز بقلة عدد أفرادها مثل عائلة "**الحوريه**".

ويشير الجدول رقم (١) (انظر الملحق) إلى أن عشيرة **بني مفرّج** قد امتلكت زمن التسوية ما مساحته (١٢٤,٣١٠) دونم ضمن (٤٩) قطعة في كل من حوض "**ملحم**" وحوض "**المعاريض**" وحوض "**مصقاع الطاحونة**" وحوض "**الرهوة**"، وكانت بذلك العشيرة الأكثر ملكية كما يشير الجدول رقم (٢)، مع أن هذه العشيرة تحتل المرتبة السادسة من حيث عدد أفرادها على مستوى عشائر جديتا زمن التسوية، لكن ملكيتها لاكبر عدد من البساتين ارتبط حسبما ذكر أحد ابناء هذه العشيرة بما أطلق عليه "**كرم الضيافة**" الذي قدمه أبناء هذه العشيرة للمسؤولين عن تسوية الحقوق بالمتعلقة بأراضي البساتين. والمقصود بكرم الضيافة هنا: الرشوة، بتقديمها لبعض المسؤولين عن تسوية الحقوق المتعلقة بالأراضي. حيث أشار بعض كبار السن إلى تلقي هؤلاء المسؤولين الكثير من الرشاوي من بعض الفلاحين للاستيلاء على أراضي فلاحين آخرين عاجزين عن دفع رسوم تسجيل هذه الأراضي. فيذكر (ح،٨٧سنة) أن بستان (ب، متوفي) كان قد أخذه بهذه الطريقة، أي الرشوة، لعجز صاحبه (ع.ز) عن دفع الرسوم. وجدير بالذكر أن غنام أشارت إلى انتشار الرشوة التي كان يقدمها السكان في خربة الوهادنة إلى **الطوّاف** الذي هو موظف من الحكومة لمراقبة الأحراش، ومنع تقطيع أشجارها ورعي الأغنام فيها. مما كان يجعله يغض الطرف عنهم مقابل الرشوة التي كانت تتمثل بوجبه غداء (غنام، ١٩٨٨: ١٧).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وتحتل عشيرة "**بني ملحم**" وهي التي كانت أكثر عدداً المرتبة الثانية في ملكية البساتين، إذ كانت تملك ما مساحته (١١٤,٨٩٤) دونماً بما يضم (٨٠) قطعة أرض تتوزع كما يشير الجدول رقم (٢) ضمن كل من حوض "**الرهوة**" وحوض "**ملحم**" أي أن ملكية هذه العشيرة قد تركزت في حوضين فقط؛ نظراً للتضامن والتكاتف الذي كان سائداً بينهم كما ذكر لي أحد مخاتير مجتمع البحث، حيث أدت رغبتهم في التضامن الاجتماعي إلى الاحتفاظ بعلاقات جوار وقرب مكاني ساهمت في تعزيز تضامنهم الاجتماعي على مستوى التشكيلة الاجتماعية القائمة آنذاك. أما عشيرة "**الزيوت**" والتي كانت تحتل المرتبة الخامسة في عدد افرادها فقد احتلت المرتبة الثالثة في ملكية البساتين، إذ بلغت مساحة ما امتلكه افرادها (٨٦,١٣٦) دونم بما مجموعه (٤٠) قطعة كما يشير الجدول رقم (١)، وضمن كل من حوض "**المعاريض**" و "**مصقاع الطاحونة**" و "**الرهوة**" حسبما يشير الجدول رقم (٢). وأما عشيرة **الكساسبة** فقد احتلت المرتبة الرابعة في المساحة حيث ملكت (٧٠,٧٠) دونم وبما مجموعه (٤٤) قطعة، أي المرتبة الثالثة في عدد القطع كما يشير الجدول رقم (١) وتركزت ملكيتها في حوض "**الرهوة**" و"**ملحم**" حسبما يشير الجدول رقم (٢).

وأما عشيرة "الربابعة" والتي كانت تمثل ثاني أكبر العشائر عدداً فقد ملكت حسبما يشير الجدول رقم (١) ما مساحته (٦١,١٨٣) دونم، وبمجموع (٢٤) قطعة، بحيث احتلت المرتبة الخامسة في مجموع المساحة وعدد القطع كما يشير الجدول رقم (١)، وتوزعت ضمن الأحواض الأربعة المذكورة في الجدول رقم (٢).

ولقد احتلت عشيرة "الخطاطبة" المرتبة السادسة في مجموع مساحة ملكيتها والتي بلغت (٣٩,٧٦٥) دونم بواقع (٤٤) قطعة، وقد توزعت ملكيتها في كل من حوض "**مصقاع الطاحونة**" و"**الرهوة**" و"**ملحم**" حسبما يشير الجدول رقم (٢).

أما عشيرة **الزقيليّه** فقد احتلت المرتبة السابعة في مساحة القطع التي امتلكتها، والتي بلغت (٢٣,٤٠٥) دونم وبما مجموعه (٧) قطع تركزت في حوض "**المعاريض**". وقد امتازت هذه لعشيرة بتماسكها الشديد، ووقوف أفرادها وتلاحمهم إلى جانب بعضهم في مختلف المواقف الحياتية الاجتماعية والاقتصادية ومازال ذلك حتى اليوم، وقد عُرفوا بقواهم الجسدية، وعشقهم للسلاح وتحملهم لقسوة الظروف الاقتصادية والجغرافية، ولايزال قسم كبير منهم يسكن في مناطق جبلية نائية، ويمارسون رعي المواشي وخاصة الأبقار، وربما كان لهذا التماسك فيما بينهم دوراً في تركز أراضيهم في البساتين في حوض واحد. وأما عائلة "**الحوريّه**" فهي عائلة ممتدة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

انقسمت حالياً إلى عدد محدود من الأسر النووية، وكانت تملك قطعتين من الأرض ولاتزال تملكهما حتى اليوم، وهما قطعتان في حوض "**ملحم**" تبلغ مساحتهما (٢,٧٧٩)دونم، وربما كان لقدوم هذه العائلة من خارج قرية جديتا واستقرارها فيها دوراً مهماً في المحافظة على هذه الملكية وعدم انتقالها بالبيع مثلاً؛ وذلك لاثبات وتحقيق المواطنة، حيث ان ملكية الاراضي كانت. ولاتزال تعد من مقومات اثبات المواطنة على مستوى بلدة جديتا، وبالتالي اكتساب بعض الحقوق بموجب ذلك مثل: حق الترشيح والانتخاب. كما كان هنالك **أسرة مسيحية** ممتدة أيضاً ملكت (٣) قطع في "**مصقاع الطاحونة**" وبلغت مساحتها (٣,٣٩٩) دونم، ولكن ملكيتها تناقصت اليوم وأصبحت (١,٨٧٢) دونم حالياً وأصبح عددها قطعتين بعد رحيلهم من جديتا إلى مناطق أخرى، إذ لم يبق منهم سوى امرأة عجوز تعيش لوحدها.

ويشير الجدول رقم (١) إلى وجود ما يمكن أن نطلق عليه **الملكية المشتركة** بين طرفين من عشيرتين مختلفتين، وتعود الملكية المشتركة كما ذكر بعض المبحوثين إلى نوع من العلاقات سادت مجتمع البحث منذ ١٩٣٨م وهي المصاهرة بين الجيران في الوادي من عشائر الفلاحين، وكذلك علاقات الرهن التي جاءت فيما بعد. والملفت للانتباه هنا هو أن عشيرة **الربابعة** لم تكن تقل عن عشيرة "**بني ملحم**" في عدد أفرادها بكثير، الا أن انشغالهم بالتجارة والممارسات الدينية التي شكلت عائقاً أمام العمل العائلي الذي كان لابد منه لنجاح الفلاحة قد فسر لنا سر انخفاض مساحة ملكية هذه العشيرة، وحتى أولئك الذين تملكوا في البساتين من الربابعه. فقد أشار أحدهم ويدعى (الحاج م، ٦٨ سنة) إلى أنهم قلما كانوا يعملوا في فلاحة البساتين، وإنما كانوا يؤجروها لفلاحين آخرين أو ضمن المحاصصة كعلاقة انتاج اجتماعة، ومن المهم ذكره هنا أنه وحتى في السجلات الرسمية لدائرة الاراضي والمساحة فقد وردت مصطلحات خاصة بأبناء هذه العشيرة، وتضمنتها اسماؤهم وأصبحت جزءاً منها مثل مصطلح "**الحاج**" ومصطلح "**الشيخ**" وهي متداولة على المستوى الشعبي كذلك، وهي ترتبط بالمكانة الدينية التي احتلها ابناء هذه العشيرة، فإليهم ينتمي جميع الاشخاص المعروفين بممارستهم للعلاج بالوصفات العلاجية الدينية بما في ذلك من حجب وتمائم على مستوى بلدة جديتا، ولقد أشار الشريدة إلى هذه الممارسات (الشريدة ١٩٩٦: ١٩٩-٢٠٠).

ولكن تغيرات مهمة طرأت على التقسيمة السابقة لملكية الاراضي وتوزيعها على العشائر، فقد كانت عشيرة "**الربابعة**" تحتل المرتبة الخامسة في الملكية زمن التسوية، ولكن ذلك تغير تدريجياً حتى باتت هذه العشيرة تحتل المرتبة الثانية بعد عشيرة "**بني ملحم**" في ملكية البساتين إذ يمتلك "**الربابعة**" حالياً ما مساحته (٨٠,٠٥٠) دونم، ويملك "**بني ملحم**" (٩٧,٠٨٨)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دونم، ومن حيث عدد القطع فإن عشيرة الربابعة تتشارك مع "**الزيوت**" و "**الكساسبة**" في المرتبة الثالثة من حيث عدد القطع، إذ تملك (٤٧) قطعة في البساتين. اما عشيرة "**بني ملحم**" فتملك (٧٠) قطعة وتحتل بذلك المرتبة الأولى، أما التغير الذي طرأ على ملكية عشيرة "**الخطاطبة**"، فقد تضاعف عدد القطع التي يملكونها من (٣٢) أيام التسوية إلى (٦٢) قطعة حالياً، والمساحة من (٣٩,٧٦٥) دونم إلى (٦٨,٣٠٩) دونم، واستملكت الأشغال العامة عدداً ممن بساتين الخطاطبة. أما عشيرة "**بني مفرج**" فقد طرأ تغير مهم على ملكيتها حيث كانت تحتل المرتبة الأولى في مجموع المساحة زمن التسوية، ولكنها تناقصت من (١٢٤,٣١٠) دونم، إلى (٧٢,٩٣٨) دونم ومن (٤٩) قطعة إلى (٢٨) قطعة، في حين حافظت عشيرة "**الكساسبة**" على مجموع مساحة ما امتلكته تقريباً وكذلك عشيرة "**الزيوت**"، وأما عشيرة "**الزقيلية**" فقد تناقص مجموع مساحة ملكيتها بحوالي خمسة دونمات وزاد عدد القطع من (٥) إلى (١٢) قطعة.

وفيما يتعلق برهن البساتين فمن خلال الرجوع **لسجلات الأموال غير المنقولة المتعلقة بأراضي بلدة جديتا** والخاصة بالأحواض رقم (١٤،١٦،١٨،١٩) وجد الباحث (٢٢) قطعة مرهونة زمن التسوية في حوض "**الرهوة**" و(٩) قطع في حوض "**ملحم**"، وقطعتان في "**مصقاع الطاحونة**" و قطعتان في "**المعاريض**"، وهذا الحجز كان تأميناً للديون لبعض الأشخاص، ولم يتم فك وإلغاء الرهن الا في عدد محدود جداً من القطع لايتجاوز عددها (٧) قطع حسبما ورد في السجلات، وقد انتقل هذا الرهن من الأشخاص فيما بعد إلى بعض المؤسسات المالية كالبنوك ومؤسسات الاقراض الزراعي.

ملكية المرأة وتغيرها:-

إن لملكية المرأة أو لعدم ملكيتها دلالات مهمة ذات صلة وثيقة بمكانة المرأة الاجتماعية ودورها في العملية الانتاجية، وإنني أعتقد أن حرمان المرأة من امتلاك وسيلة الانتاج من الميراث الذي تشكل البساتين جزءاً مهماً منه في مجتمع البحث، لهو دليل على انخفاض مكانة المرأة، وبالمقابل فإن منحها حقها في الملكية لهو دليل على الاعتراف بمكانة المرأة من خلال ملكيتها لوسائل الانتاج Means of production ولدورها الانتاجي الذي لايقل أهمية عن دور الرجل. وإن امتلاك المرأة لجزء كبير من وسائل الانتاج سيؤدي إلى أن تحتل المرأة مكانة أفضل على مستوى الأسرة، وحتى على مستوى الوحدات البنائية الأوسع مثل: العشيرة أو المجتمع المحلي، فقد شهد مجتمع البحث تنافساً على الزواج من بعض النساء اللواتي اشتهرن بملكية بعض البساتين كما أشار أحد المبحوثين ويدعى (م. ٥٧ سنة)، بل إنه وصل إلى مستوى الصراع مابين المتنافسين على خطوبة تلك النساء المالكات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويشير الجدول رقم (١) إلى قلة عدد الاناث اللواتي امتلكن البساتين في زمن التسوية بالمقارنة مع عدد الذكور، فقد امتلكت في البساتين (١٨) إمرأة من "**بني ملحم**" مقابل (١١٠) من الذكور، وملكت إمرأة واحدة من عشيرة "**الربابعة**" مقابل (٤٤) ذكر من العشيرة نفسها، وامتلكت (٧) نساء من "**الخطاطبة**" مقابل (٦٨) من الذكور. ولذلك يمكن القول بأن مكانة المرأة كانت متدنية في مجتمع البحث، ولذلك علاقة وثيقة بمستوى الحياة المحافظة ودرجة تبني القيم المحافظة التي عاشتها عشائر مجتمع البحث، فقد امتازت عشيرة "**بني ملحم**" بالانفتاح والمزيد من الحرية، وفي المقابل امتازت عشيرة "**الربابعة**" بتبني طريقة محافظة في الحياة، وهذا يتضمن ويعبر عن مكانة المرأة ودورها الانتاجي كذلك.

أما العشائر الأخرى فقد امتلكت فيها المرأة بنسب أقل بكثير مما امتلكه الرجال، وبمقابل هذا كله فقد كان للمرأة لدى عشائر "**الفلاحين**" كما أشارت احدى المبحوثات وتدعى (س، ٦٢سنة) دورٌ مهمٌ في العملية الانتاجية بمختلف مراحلها، إذ كانت تعمل مع الرجل يداً بيد في الحراثة، وقطف الثمار ونقلها، وسقي الأشجار والمزروعات، بالاضافة إلى قيامها بأعمال المنزل، لكنها لم تكن تملك من حصيلة جهدها وانتاجها شيئاً، بل إنها كانت تُستغل ليحصل والدها على مبلغ من المال، أو قطعة من البساتين مقابل تزويجها، وكأن المرأة في هذه الحال وسيلة لنقل الملكية في مجتمع فلاحي البساتين. ومن هنا تأتي أهميتها في مجتمع فلاحي البساتين، خاصة في ظل وجود أنواع زواج مختلفة غير زواج أبناء العمومة المتقاطعة cross- cousin marriages والذي يقصد به تبادل زواج أبناء وبنات العم، فهناك الزواج الخارجي Exogamy الذي يقصد به انتماء الزوج لوحدة بنائية اجتماعية مثل العشيرة clan، وإنتماء الزوجة لوحدة اخرى، ولكن نجد أنه بالمقابل هنالك قيم على شكل معايير norms تحرم المرأة من حق الميراث، حرصاً على عدم انتقال ملكية البساتين، ويتفق هذا الحرمان مع ما ذكرته غنام (١٩٨٨: ٥٤) حول مجتمع خربة الوهادنة. أما اليوم فإن الموقف لا يختلف كثيراً، وإن كان هنالك بعض التغير في ملكية الاناث، فقد ارتفع عدد الاناث اللواتي يملكن في البساتين حسبما يشير الجدول رقم (١)، إذ تملك اليوم (٤٥) إمرأة حصصاً في البساتين من عشيرة "**بني ملحم**" بعدما كان الرقم (١٨) زمن التسوية، و (٥٠) إمرأة بعدما كان (٥) من عشيرة "**الكساسبة**"، لكن الفارق بقي كبيراً بين ملكية الرجال وملكية النساء، فملكية (٤٥) أنثى من "**بني ملحم**" يقابلها ملكية (١٩٩) من الذكور، وملكية (٢٣) أنثى من "**الربابعة**" يقابله ملكية (٨٠) من الذكور. وبذلك فإن الفارق بقي كبيراً إذا أخذنا بعين الإعتبار الجندرية، وذلك نتجية لحرمان الكثير من الاناث من الميراث وتنازلهن للذكور من الشركاء في الميراث، مقابل مبالغ زهيدة من المال يدفعها الأخوة لأختهم الشريكة معهم، أو كما

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أشار أحد المبحوثين ويدعى (م،٦٢ سنة) بأن أخته تنازلت لـه ولإخوانـه، مقابل قيـامهم بإرسـالها لأداء فريضة الحج على حسابهم بتكلفة مادية بلغت (١٠٠٠) دينار، وتنازلت لهم عن حصصها التي يقدر ثمنها بآلاف الدنـانير. وأشارت غنـام (١٩٨٨: ٥٤) **إلـى أنـه وحتـى لـو كـانت المرأة راغبة في أخذ حصتها من الميراث، نجدها مجبرة على التنازل عنها، تحت ضغط المجتمع وإخوتها الذكور، وفي بعض الأحيان يُقدّم الأخوة لأخواتهم مبالغ قليلة من المال على سبيل الترضية، مقابل تنازلهن عن حصصهن في الميراث**، وذلك في قرية خربة الوهادنة.

وبالمقابل فهناك من الاناث من تصر على أخذ حصصها المستحقة قانوناً، أو أن زوجها يجبرها على ذلك بسبب توتر في العلاقات بين الطرفين: هي وشركائها، أو زوجها وشركائها الذين هم في الغالب اخوتها وقد ذكر لي أحد المبحوثين بأن زوج أخته أجبرها على أن تأخذ كل ما تستحقه حسب القانون من الميراث بعد وفاة والدها؛ وذلك رغبة من زوجها في امتلاك جزء مهم من وسائل الانتاج، بالإضافة إلى ترجمة خلاف سابق بينه وبينهم.

وتمتلك اليوم بعض النساء بساتين دون أن يكون لها شركاء (انظر الملحق)، وذلك لظروف موضوعية مثل عدم وجود شركاء في الميراث على قيد الحياة.

الملكية المشتركة وأثرها على الانتاج:-

لقد كانت الملكية الفردية هي الصبغة الغالبة لملكية البساتين في فترة التسوية ومابعدها حتى الخمسينات حسبما تدل سجلات دائرة الاراضي والمساحة المتعلقة بمجتمع البحث، فقد كان البستان الواحد يملكه في الغالب فرد واحد، بل إن من الافراد من ملك بستانين أو ثلاثة؛ نظراً لقلة عدد السكان آنذاك، واتساع مساحة أراضي البساتين. فأحد المبحوثين ويدعى (م. ز، ٦٨سنة) يملك اليوم (٥) بساتين منها (٢) منذ التسوية، كما أن هنالك أحد الأشخاص ويدعى (أ.ع، ٧٠ سنة) وقد امتلك أكبر بستان في الوادي كله من التسوية ولايزال يملكه ملكية فردية، وتبلغ مساحته (١٠،١٠٦) دونم في حوض "**ملحم**" في حين أن أصغر بستان تبلغ مساحته (١٦٩م٢) حوض "**الرهوة**" ولكن مساحة اراضي البساتين ككل قد تناقصت، إذ تم تحويل قطع الأراضي الواقعة في حوض "جبّايا" إلى قطع "**أراضي ميري**"بعد كانت "**أراضي ميري سقي**"؛ بسبب افرازها وتقسيمها بين مجموعة من الشركاء، وأصبح من المتعذر وصول المياه اليها جميعها، كماأن هنالك من القطع التي قامت وزارة الاشغال العامة باستملاكها لتوسيع الشوارع في الوادي، والتي بلغت تقريباً (٢٤) دونماً حسبما ورد في **سجل الاموال غير المنقولة المتعلقة بأراضي جديتا الواقعة في حوض رقم (١٨)**، وبمقابل ذلك كله فقد تزايد عدد المالكين، وأصبح العدد اليوم يصل إلى

© Arabic Digital Library Yarmouk University

عشرات أضعاف ما كان عليه زمن التسوية، وذلك بسبب نظام الميراث الاسلامي والمدني. فنجد مثلاً أحد البساتين والذي تبلغ مساحته (٣ دونم) يشترك فيها (٤٤) شريك، وقطعة أخرى تبلغ مساحتها (٢,٠٢٥) دونم يبلغ عدد الشركاء فيها (٣٢) شريك منهم (٢٤) ذكور و (٨) اناث. وهذه من خصوصيات مجتمع البحث. فعلى النقيض من ذلك نجد مثلاً مالا يقل عن (١٠٠) شخص يشتركون في ملكية قطعة أرض في خربة الوهادنة، وتبلغ مساحتها من (٥٠-١٠٠) دونم، وإن كثرة عدد هؤلاء المشتركين بالملكية يحول دون تقسيمها واستغلالها، إذ من النادر أن يتفق هؤلاء الأفراد على قسمة الأرض؛ لأسباب مختلفة مثل الخلافات الشخصية بين الشركاء، بحيث يرفض طرف ما القسمة؛ نكاية بطرف آخر، فتثور المشاكل بينهم (غنام، ١٩٨٨:٢٥).

وتزداد الملكية المشتركة في حال وفاة أحد الشركاء ممن لهم ورثة، وهذا مايحدث فعلاً من فترة لأخرى، وخاصة في ظل وجود أطفال قاصرين عن التصرف بملكياتهم قانونياً، وفي هذه الحال لايمكن بيع حصصهم إلا عندما يكبروا، ويصبحوا قادرين على التصرف بمليكاتهم بمقتضى القانون، أي أن يصلوا إلى سن (١٨) سنة. كما أن مسألة التعويضات النقدية التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً قد ساهمت في اصرار الشركاء على التملك في البساتين وعدم التنازل. وبالمقابل فهناك في بعض الحالات من يتنازل عن حصته من الانتاج ومردوده النقدي لصالح بعض الشركاء كما في المثال الذي ذكره أحد المبحوثين ويدعى (ع، ٣٤سنة) بأنه تنازل هو وأخوه (م، ٤٥سنة) لأخيهما (ز،٣٩) الذي يعاني من عاهة جسدية، ولايوجد له مصدر دخل ثابت سوى العمل في البستان ورعي الأغنام، بعكس أخويه اللذان يعملان في وظائف حكومية، وبذلك فقد تنازلا عن حصتيهما من الانتاج لصالح أخيهم، لكنهما لم يتنازلا عن حقهما في ملكية البستان حرصاً منهما على ملكية وسائل الانتاج.

ويشير أحد المبحوثين ويدعى (ع،٥٢سنة) إلى مساوئ الملكية المشتركة وآثارها على الانتاج، من خلال تجربته في الشراكة مع أحد أقربائه في ملكية أحد البساتين المزروعة بالرمان، وكان هذا القريب ويدعى (س،٤٥سنة) قد باع من البستان لوالد (ع) وقد اشترى منه بحكم الجوار، إذ يحق له أن يشفع بالأرض المعروضة للبيع، وهذا الذي حدث فعلاً وقد وصف شريكه بأنه غير مهتم بالانتاج "**و يحاسب على الفلس**"، فانعكس ذلك سلباً على الانتاج، وبالذات انتاج الرمان كماً ونوعاً. إذ أن (س) لايعمل مع (ع) في البستان قبل الموسم، ولذلك فإن (ع) لم يرش البستان هذا الموسم بالمواد الكيماوية اللازمة لمكافحة الحشرات والقوارض مفسراً ذلك بأنه "**حسداً في شريكه**" وبأنه أراد "**أن يلقنه درساً لكي يتعاون معه في السنة القادمة**"، وذلك من خلال تقليل فائض القيمة الذي سيحصل عليه كل منهما. وهنالك سبب آخر ساهم في إعاقة عملية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرش، وهو صعوبة وصول التراكتور الزراعي الذي يقوم بالرش إلى البستان لعدم وجود طريق ملائمة، وذلك في حوض "**المعاريض**". ويتابع (ع) حديثه فيشير إلى أنه لا يملك مضخة يدوية ليقوم بالرش، وقد حاول استعارة مضخة من أحد جيرانه الذي رفض اعارته، وكما يقول (ع) : "**كسفني ثلث مرات**"، أي أنه رد طلبه مرات ثلاث، ومع ذلك فهو نادم لأنه لم يقم برش البستان هذا الموسم، إذ انخفض المردود النقدي الذي كان يطمح إليه، بسبب كثرة الحشرات في البستان، وفساد جزء كبير من ثمار الرمان من جرّاء ذلك، وقد لاحظت ذلك فعلاً، وقد قدّر خسارته بـ (١٥٠) دينار كان من الممكن أن يحصل عليها لو قام بالرش بمبلغ لايتجاوز (٣٠) دينار، وهو يشير إلى أنه لو كان يملك البستان لوحده ملكية فردية لاختلف مستوى العناية بالبستان، ولزاد فائض القيمة لديه، ولذلك فهو يفضل الملكية الفردية.

ومما يزيد المشكلة تعقيداً، ما أشار إليه بعض المبحوثين من أن دائرة الاراضي لا توافق علىافراز الاراضي الا إذا كانت كل قطعة ستصبح بعد الافراز (٢,٥) دونم على الأقل، وأبدوا استياءهم من ذلك، وأشاروا إلى أن ملكية نصف دونم من البساتين وفلاحتها يعني الحصول على مبلغ (٤٠٠- ٥٠٠) دينار تقريباً سنوياً من الانتاج، وهو مبلغ لا بأس به.

ملكية المياه:-

إن المياه وسيلة مهمة من وسائل الإنتاج لدى فلاحي البساتين، وفيما يلي عرض لعيون المياه ونظم الري في الوادي.

عيون المياه ومواقعها:-

لابد من الاشارة إلى أهمية المياه كوسيلة للانتاج حيث أن البساتين تعتمد بشكل أساسي على الري من خلال قنوات المياه من أربعة عيون ماء قادمة من أراضي "**عرجان**" تلك القرية الواقعة إلى شرق مجتمع البحث، والتي تتجمع المياه في عيونها من خلال مياه الشتاء القادمة من أعالي الجبال، وحسب سجلات دائرة الاراضي والمساحة وتحديداً في جدول "**الحقوق المتعلقة بالاراضي المفروزة والماء**" فإن هنالك اشارة إلى أن مجتمع البحث قد خصص له ما مجموعه (٦٤٤) حصة من أصل (١٠٤٩) حصة من المياه الجارية في الوادي ابتداءاً من "**عين البيضاء**" و"**عين التّنّوُر**" في عرجان إلى الحد الفاصل بين قريتي "**حلاوة**" و"**جديتا**"، كما خصص لأراضي السقي في "**عرجان**"، (٣٩٥) حصة و (١٠) حصص لأراضي السقي في قرية "**باعون**" الواقعة جنوب قرية "**عرجان**"، وهذا التخصيص صادر بمقتضى الفقرة (٢) من المادة (١١) **من قانون تسوية الاراضي والمياه رقم (٤) لسنة ١٩٥٢م** (ارجع إلى الملحق). وأما عيون المياه فهي:-

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١) **عين ماء التنور:** وتقع ضمن أراضي عرجان، وكانت تسقي الجزء الأعظم من بساتين "**جديتا**" و"**عرجان**" و"**باعون**"، أما اليوم فلم تعد تسقي أي جزء من هذه البساتين.

٢) **عين البيضاء:** والتي تقع كذلك ضمن أراضي عرجان، وكانت تساهم في سقي ما نسبته حوالي ٢٥٪ تقريباً من بساتين الوادي، أما اليوم فلم تعد هاتان القناتان تساهمان في سقي أي جزء من البساتين بعد سحب مياههما إلى عجلون لغايات الشرب. وكانت مياه عين البيضاء قد تعرضت إلى السحب عام ١٩٧٥م، وبقي الاعتماد على "**عين التنور**".

٣) **عين الليمونة:** وتقع ضمن بساتين عرجان، ويملك البستان الذي تقع فيها عدد من الشركاء ملكية خاصة في عرجان، ومياهها خفيفة.

٤) **عين الحاج حسن:** وتقع في منطقة "**عبريا**" غرب عرجان، ويملك البستان الذي تقع فيه ورثة أحد الأشخاص من عشيرة الربابعة، ويدعى (**الحاج حسن**)، وهي تساهم اليوم بالنسبة الأكبر في سقي بساتين وادي جديتا. ولقد ورد ذكر عيون الحاج حسن، وعين التنور، وعين الليمونة على أنها تابعة لجديتا في بحث قدمه البخيت (١٩٩٢) حول الينابيع والآبار والبرك والطواحين والمعاصر.

نظام الري قديماً وتغيره:-

لقد وجد في **سجلات دائرة الاراضي والمساحة** جدول خاص بتوزيع المياه على البساتين منذ سنة ١٩٥٢م، وخصص لكل دونم من البساتين نصف ساعة من الري، الا أن وفرة المياه كانت تزيد عن الحاجة، وكان بالإمكان أن يُسقى البستان كل (٤) أيام، إلا أن ذلك لم يكن لصالح الأشجار بل إنه كان من وسائل إلحاق الضرر بالآخرين، بأن يعمد شخص إلى كسر المياه على بستان شخص أخر لايذاء بستانه بتجريف التربة. ولكن هذه الحال قد تغيرت منذ سنة ١٩٧٥م عندما قامت السلطات الحكومية المختصة بسحب مياه "**عين البيضاء**" وتحويلها لغايات الشرب، وبناء (٩) سدود لتجميع المياه والتي لم يبقى منها سوى سد واحد في حوض المعاريض، أما السدود الأخرى فلم يبقى منها سوى بعض أجزائها (لاحظ الصورة رقم"١") ومع ذلك فإن هذا القرار لم يؤثر كثيراً على كميات المياه المتوفرة، خاصة وأن الحكومة آنذاك قامت ببناء القنوات الاسمنتية بتبرع من شركة المانونايت الألمانية؛ للحفاظ على كميات المياه من التسرب أثناء جريانها في القنوات الترابية. وكان مشروع بناء القنوات الإسمنتية قد شكل فرص لعمل أبناء مجتمع البحث كعمال في بناء القنوات، مما أدى الى رضوخهم لقرار السحب وعدم التفكير حتى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالإعتراض عليه كما يقول أحد الفلاحين الذين شاركوا في البناء ويدعى (ط،٦٠سنة)، وهذا الإعتراض كان يمكن أن يكون من منطلق ملكيتهم للمياه حسبما ورد في **جدول الحقوق المتعلق بتسوية الراضي المفروزة والماء** (أنظر الملحق) ولكن ما حدث في أواخر الثمانينات من هذا القرن قد شكل تحولاًجذرياً في واقع البساتين، إذ تم تحويل كامل مياه "**عين التنور**" الى بعض مناطق عجلون، ولم يعد يصل وادي جديتا منها أي قطرة ماء، ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين الفلاحين على كمية المياه المتبقية، وبدأ الوعي لذاتهم يتشكل لديهم، وقاموا ببعض الخطوات لاسترداد حقوقهم في المياه المسجلة رسمياً لبساتينهم، حيث اجتمع عدد من الفلاحين، وقدموا عدة مذكرات احتجاج إلى الجهات المسؤولة، ولكن إلهاءهم عن حقوقهم جاء هذه المرة من خلال فتح المجال أمامهم للحصول على تعويضات نقدية بدل ما فقدوه من حصص المياه التي أثرت على الانتاج سلباً من حيث الكم والنوع. فمثلا أحد المبحوثين ويدعى (س،٥٥سنة) يترحّم على "**أيام زمان ويبدي حنينه إلى تلك الايام التي توفرت فيها المياه واصفاً إياها "أيام العز"، حيث لم تكن لديهم أواني لحفظ المياه باردة مثل "الخابية" المصنوعة من الفخار، أو الأواني الملفوفة بـ"الخيش" التي تستخدم اليوم لحفظ المياه باردة، وإنما كانت المياه الباردة تجري في القناة مباشرة.**

ويستطرد (س) في حديثه ليشير إلى أنه حدث في عام ١٩٧٣م، أن غرق أحد الاشخاص في المياه الجارية وهو يقوم بصيد الاسماك، ولم ينقذه سوى تدخل أحد الجيران الذي كان يتقن السباحة، وذلك حدث في منتصف فصل الصيف حيث تقل المياه نسبياً بشكل عام، ومع ذلك فقد كانت كميات المياه كبيرة جداً، كما أنه وفي عام ١٩٧٢م فقد غرقت احدى الفتيات مع والدها وتوفيا.

ولقد كثرت الخلافات على المياه هذه الايام، مما استدعى وجود تنظيم فعلي لتوزيع المياه، والذي يكون عادة بتشكيل لجنة من قبل متصرف لواء الكورة، الذي يتبع له مجتمع البحث إدارياً، وتضم هذه اللجنة مندوبين من مختلف عشائر مجتمع البحث؛ ليقوموا بتوزيع المياه على البساتين ضمن القنوات التي يتم الاتفاق عليها في بداية شهر نيسان، ويؤخذ بالاعتبار كميات الامطار في ذلك العام، فكلما زادت كميات الأمطار زاد عدد القنوات التي تسير فيها المياه في آن واحد.

وحسبما يشير أحد أعضاء هذه اللجنة التي تتشكل كل سنة، فإنه يخصص لكل دونم نصف ساعة على قناة واحدة أو على قناتين حسب كميات المياه المتوفرة، ويُطلق مصطلح "**الفصل**" على كل (١٢) ساعة ري حيث يقسم اليوم إلى فصلين. وقد أورد Tarawneh مصطلحاً

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مرادفاً لمصطلح الفصل، وهو الموسم Maosim **في دير علا، وأشار إلى أن الموسم الواحد يكفي لري (١٠٠) دونم حسب النظام القديم والنظام الحالي، كما أن هنالك شخص متخصص في توزيع المياه من القناة الرئيسية التي كانت مبنية من الطين.**)(Tarawneh, 1988: 48-50).

أما في وادي جديتا فلايوجد مثل هذا الشخص، وإنما يتبنى الفلاحون عملية التوزيع من المياه بأنفسهم، وحسب الأوقات المخصصة لري بساتينهم.

ولقد كانت المياه تجري في مجرى ماء مخصص لهذه الغاية يضيق ويتسع من مكان لأخر، ويسير بمحاذاة الشارع الرئيسي الذي يقسم البساتين إلى قسمين: شمالي وجنوبي، وعلى هذا المجرى المائي كانت هنالك تسعة سدود مبنية من الإسمنت، حيث يتم توزيع المياه من هذه السدود إلى القنوات الفرعية حسب الأوقات المخصصة لري البساتين التي ترويها هذه القنوات، والتي يتغير اسمها من مكان لأخر، وأهم هذه القنوات **(يمكن ملاحظتها من خلال الرجوع إلى صور لوحات التسوية الواردة في ملحق الدراسة)** وهي :١- قناة عبريا الشرقية. ٢- قناة أم عيجلانه. ٣- قناة الغشمري. ٤- قناة الزقيلي الفوقا. ٥- قناة الزقيلي التحتا. ٦- قناة عبدالغني. ٧- قناة قطقاطه الشمالية. ٨- قناة قطقاطه الجنوبية. ٩- قناة المدوّره. ١٠- قناة حسين. ١١- قناة المشرع. ١٢- قناة غزال. ١٣- قناة حمد.

ويؤخذ بالاعتبار عدد الدقائق ويتم حسابها بدقة، وبشكل عام فإن كل بستان تتم سقايته مرة واحدة كل أسبوعين، وينطبق ذلك على جميع الاحواض. ولم يكن نظام التوزيع صارماً في الماضي، ولم يكن هنالك لجنة لتوزيع المياه، إنما وجد جدول للحقوق وتوزيع الحصص، والالتزام به لم يكن فعلياً، أما اليوم فإنه وفي حال مخالفةالنظام المعتمد فإنه يتم اللجوء إلى الحاكم الاداري؛ لحل الخلاف. ويتم اللجوء أحياناً إلى المحكمة وتشكيل لجنة من الخبراء لتقدير الضرر اللاحق بستان المشتكى ليقوم المشتكى عليه المخالف بدفع الغرامة.

استراتيجية ري البساتين:-

يستخدم الفلاحون طرقاً متعددة في الري، لكن هدفها واحد وهو ري الأشجار والمزروعات؛ بهدف الانتاج والحصول على الريع النقدي. ومنهم من يستخدم مضخات مياه كهربائية تعمل على البنزين، حرصاً منهم على استغلال كل قطرة ماء، وهؤلاء في الغالب ممن يواجهون صعوبة أكبر في وصول المياه إلى بساتينهم. مقابل من يستخدم الطريقة القديمة في الري وهي السماح للمياه الجارية في القناة بالانسياب عبر مجاري ترابية خاصة، بحيث تسقي الأشجار والمزروعات في البستان لتنتقل المياه من شجرة لأخرى. ويشير أحد المبحوثين ويدعى

© Arabic Digital Library Yarmouk University

(ص، ٥٢سنة) بأن من دلائل الاكتفاء قول الفلاحين بأن "**المي طايره من البستان**"، ويُقصد بذلك أن المياه التي تتوزع على البستان من القناة قد زادت عن حاجة البستان لتخرج من "**قاع البستان**"، الذي يقصد به آخر حدود البستان التي تصلها المياه، حيث أن البساتين عادة تمتاز بأراضيها المائلة وقليل منها يمتاز بأرضه المنبسطة، ولهذا السبب فقد قامت الأشغال العامة بعمل قناة صغيرة بمحاذاة البساتين إلى جانب الشارع الرئيسي؛ للاستفادة من كميات المياه الزائدة لتسير في القناة الصغيرة ثم تنتقل إلى قناة كبيرة، وذلك لاينطبق على البساتين ذات الأرض المستوية أو المنبسطة حيث "**لاتطير المي**".

ويشير أحد المبحوثين ويدعى (ع، ٥٤سنة) إلى أن عملية السقي أصبحت مثل "**المعركة**" ،إذ لابد من اشتراك شخصين على الأقل في عملية السقي، إذ أن العملية تحتاج إلى متابعة جريان المياه وعدم وجود سرقة للمياه، ومعالجة الموقف في حال وجود سرقة، ومراقبة تنكات المياه ومنعها من تعبئة المياه، ومتابعة توزيع المياه على الأشجار في البستان وسيرها في القنوات الفرعية الواصلة بين الأشجار والتي تكون قد أعدت مسبقاً. وقد أشار Tarawneh (1988: 51) **إلى وجود سرقة المياه من حصص الآخرين في الثلاثينات وماقبل في دير علا، ولذلك كان لابد من حراستها من قبل أبناء العشيرة التي لها المياه، أو من قبل العبيد.** أما في وادي جديتا وحسبما يذكر (ع) فلم يكن يتوجب على من يقوم بالسقي سوى توزيع المياه على بستانه (تفريدها) حيث تصله المياه دون عناء، وماعليه سوى أن يستلمها من جاره بعدما يبدأ الوقت المخصص لبستانه، وهنا تشترك المرأة بشكل اساسي في السقي، ولذلك زادت أهمية المرأة ودورها في عملية التحضير للإنتاج، بمعنى آخر تعزيز فكرة العمل العائلي؛ وفي هذه العملية تستخدم بعض الأدوات ذات التكنولوجيا البسيطة مثل "**المِجْرفه**" أو "**الطُّوريه**" كما يسميها بعض الفلاحين.

آثار سحب مياه الينابيع:-

كان لسحب المياه المخصصة لري أشجار الوادي آثارٌ سلبية متعددة شملت العلاقات الاجتماعية بين الفلاحين، وجودة الانتاج، واقتناء الحيوانات. وفيما يلي عرض لأهم هذه الآثار:-

التأثير في العلاقات الاجتماعية بين الفلاحين من خلال:-

لقد أحدث سحب مياه الينابيع التي كانت تروي البساتين آثاراً هامة على العلاقات الاجتماعية بين الفلاحين، وهذا الآثار أدت إلى المساهمة في بروز الصراع على المياه بين الفلاحين، وأما اهم هذه الآثار:

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أ- سرقة المياه:-

ويقصد بسرقة المياه:- أن يعتدي شخص ما على حصة بستان شخص آخر من المياه بأن يأخذ منها بطريقة ما، وتنتشر هذه الإستراتيجية كثيراً في مجتمع البحث؛ بسبب الحاجة الماسة للماء. فلقد تحدثت لي إحدى المبحوثات وتدعى (م، ٥٧سنة) حول تكرار قيام جارها بسرقة المياه من القناة "**أشكره خبر**"، أي دون محاولته إخفاء ذلك، وهو يستخدم مضخة المياه التي يملكها، ويتعرض للكثير من المشاكل مع أصحاب المياه، لكنه -كما تصفه هذه المبحوثة- "**مكلّح وما يتفرق معه**" أي أنه لا مبالي ، وهي تبدي اسفها على هذا السلوك الذي لم يكن موجوداً قبل سحب المياه، فهي تعتقد بأن حاجة الناس لكميات المياه لا تتناسب مع الكميات المتوفرة فعلاً، وبذلك فإن الخلل في طرفي المعادلة يؤدي إلى سرقة المياه، كما أن امتلاك أداة ذات تكنولوجيا متطورة ساهم في وجود السرقة بوضوح، لأنه لايمكن إخفاء صوت هذه المضخة وهي تعمل. ولقد صرّح لي أحد المبحوثين ويدعى (ع، ٥٧سنة) **بأنه سرق المياه يوم أمس؛ حتى لاتصاب الأشجار بـ "اليباس"، وبعد أن تنتهي مقابلتي له سيفعل ذلك مرة أخرى**، ولايَعتبر ذلك عيباً؛ لأن الماء المخصص لبستانه لم يروي الأشجار جيداً، فالمقياس عنده كغيره من الفلاحين هو نزول المياه من "**قاع البستان**" إلى الشارع. الذي يحدد قيامه أو عدم قيامه **بالسرقة**، وهو يؤكد علىالمستقبل المظلم لهذا الوادي بفناء وزوال اشجاره بسبب؛ نقص المياه؛ ولقد تحدث أحد المبحوثين ويدعى (ص، ٤٧ سنة) عن قيام بعض الفلاحين بسرقة المياه بطرق خفية مثل "**مد بربيش من قاع القناة من الأسفل واخفائه في الأرض لسحب المياه**"، وبذلك فإنه ليس من السهل كشف هذه الطريقة بعكس الحال عند القيام بإحداث ثقوب مباشرة بقاع القناة أو في طرفها حيث باتت هذه الطريقة واضحة ومكشوفة. كما أن استخدام أساليب ذات تكنولوجيا بسيطة هو افضل هنا لإخفاء السرقة. والهدف من سرقة المياه هو زيادة نصيب البستان من المياه على حساب الآخرين. وقد حدث معي ذات يوم وأنا أجالس أحد المبحوثين الذي كان قد ذكر لي بأنه قام "**بكسر المياه**" **(لاحِظ دلالات كلمة كسر)**، فهي تشير إلى تعدي واضح على حقوق الآخرين، وفعل ذلك في غير الوقت المخصص له بطبيعة الحال، وجاء إليه أحد أقاربه وكان يركب حصاناً، وكانت آثار سرقة المياه تبدو واضحة، وتسيل المياه من داخل الجدار الاستنادي المقام إلى جانب الطريق، فسأله عن المياه قائلاً "**ايش يا سرسري**"؟ أي يا حرامي، فقال له "**هاي المي من امبارح لما سقينا البستان على دورنا**"، فهز رأسه وكأنه غير مقتنع، هكذا بدت تعبيرات وجهه. وعدت لأسأل راكب الحصان: هل كان دور المياه لبستانه؟ فأجاب لا، ثم علّق على ذلك قائلاً: "**لو كان دور المي إلي ولقيته كاسرها بأكسر راسه مع إنه صاحبي وابن عمتي**" فنلاحظ أن الحرص على امتلاك المياه كوسيلة انتاج يتجاوز حدود القرابة، وهذا يرتبط بالعملية الانتاجية، ولايعني أن من يسرق يقوم بهذا السلوك لمجرد الرغبة في السرقة أو إلحاق الضرر بالاقارب أو الجيران، وإنما رغبة في

© Arabic Digital Library Yarmouk University

زيادة الانتاج وبالتالي زيادة فائض القيمة دون اعتبار لحقوق الآخرين، وهذا كله نتج بسبب شحة المياه.

ويمكن تعزيز الافكار السابقة من خلال المثالين التاليين حول العلاقات الاجتماعية وتأثرها بشحة المياه، فقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ص، ٤٧سنة) أنه في عام ١٩٩٧م، كان هناك فلاح يدعى (ع، ٤٥سنة) تشاجر مع أحد أقاربه من العشيرة على دور السقي، وقد استخدما العنف حيث سارع (ع) إلى ضرب قريبه (م) بعصا أدت إلى كسر ساعته، فما كان من (م) الا أن قام بردة فعل معاكسة، فبدأ بضرب (ع) وهدده باستخدام السلاح، كما أنه كان يتلفظ بألفاظ نابية، وقد أسرع الجيران إلى الحجز بينهما وفض النزاع، وانتهت المشكلة بجهود مضنية بذلها الجيران لإنهاء الخلاف بين الاقارب.

ومثال آخر ذلك العراك الذي حدث عام ١٩٩٨م، بين شخص يدعى (ح، ٦٥سنة) وشخص آخر يدعى (ع، ٦٠سنة) حول شحة المياه وسرقتها، إذ أن (ع) اعتاد على **كسر المياه** على بستانه غير الاوقات المخصصة له –وقد اعترف لي بذلك– فكان أن اعتدى، على حق (ح) بهذه الطريقة، ولما سأله عن ذلك كان جوابه غير لائق ولجأ– كما يقول الفلاحون– "**إلى العباطة**"، أي العنف، مما أدى إلى شكوى بينهما عجز الجيران عن إنهائها وانتهت بحبس (ع).

ولقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ز، ٣٤سنة) بأنه قام بإحداث ثقب بماسورة المياه المارة بجانب الشارع الرئيسي الذي يربط عجلون مع الكورة، وقام بمد (٤) برابيش (أي أنابيب بلاستيكية صغيرة)، لسحب المياه وسقي الأشجار، مبدياً رضاه عما فعله؛ لأن عدم القيام بذلك يعني نقصاً في الانتاج نوعاً وكماً. كما أن أحد الأشخاص قام بإطلاق النار على إحدى أنابيب المياه المارة مع الشارع الرئيسي نفسه مما أدى إلى استمرار تسرب المياه من هذا الأنبوب، مما أتاح الفرصة للناس للشرب من هذه المياه لكونها نظيفة، حيث أن بقايا المياه والمخلفات التي يتركها "السياح" قد شكل عائقاً أمام الحصول على مياه نظيفة وصالحة للشرب.

ب) تقليل استعارة الأدوات:–

اعتاد الفلاحون على تبادل أدواتهم تجسيداً للعلاقات الاجتماعية الحسنة والروابط الأولية التي تحكمهم في مختلف المواقف الحياتية، وبتوجيه من مستوى تطور القوى المنتجة الذي تعبر عنه التكنولوجيا السائدة، حيث امتازت علاقاتهم الاجتماعية بطابعها الأولي وتفاعلهم المباشر، لكن لسحب المياه والصراع عليها آثار على هذه العلاقات تتمثل في تقليل استعارة الأدوات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتبادلها، ومن ذلك مثلاً ما حدث أثناء مقابلتي لإحدى المبحوثات وتدعى (م، ٦٥سنة)، حيث حضرت إليها إحدى الفتيات ممن يعزبون بعيداً عن مسكن (م) وكانت الفتاة قد طلبت منها "**الدلو**" أي إناء من الحديد لتعبئة المياه فيه لسقي البقرة التي كانت ترعاها من "**مصايا المياه**" في القناة، والتي يقصد بها تلك المياه الراكدة في القناة بعد انقطاع المياه عنها، وقد اعتذرت لها (م) في البداية لأن "**الدلو مليان مي**"، واعارتها إياه يعني فقدان هذه المياه النظيفة المخصصة لأعمال المسكن، فردت الفتاة بأنها ستعيده "**مليان**" أي ممتلئ، فردت (م) بأن مياه القناة غير نظيفة وبالتالي فهي لاتريد مياها تجلب لها المرض، فسألتها إن كانت هنالك أسباب أخرى لعدم اعارتها "**الدلو**"، فضحكت وأقسمت بأنه لايوجد سبب غير نقص المياه. كما ذكر لي أحد المبحوثين بأنه رفض اعارة مضخة الرش لجارهم الذي يسرق من حصتهم في المياه باستمرار، وهذا يعني أن تقليل استعارة الأدوات يشمل الأدوات المستخدمة في الزراعة.

آثار سحب المياه على جودة الانتاج:-

إن فقدان وفرة المياه التىاعتادت عليها البساتين قبل سحب المياه قد أدى إلى نتائج سلبية بالنسبة للانتاج نوعاً وكماً، ومن ذلك مثلاً وجود مايمكن أن نطلق عليه "**مستنقعات**" صغيرة تشكل بيئة مناسبة لتكاثر بعض الحشرات مثل القارص والناموس وغيرهما من الحشرات الضارة، وكذلك إصابة المياه بالتلوث بسبب كثرة النفايات من قشور الرمان، والثمار الفاسدة وما يتركه السياح، وبالتالي فإن كل هذه العناصر الناجمة عن سحب المياه اصلاً تؤدي إلى تلف المزيد من الثمار بانتشار العدوى، كما أن نقص المياه يؤدي إلى "**تسطّح**" ثمار الرمان، أي إصابته بالتشقق في قشرته الخارجية، ولتمتد هذه الشقوق إلى الداخل، كما أن التين يصاب بأمراض أخرى كما يعتقد أحد المبحوثين ويدعى (أ، ٦٠ سنة) حيث يتحدث عن إصابة أشجار التين وثماره بـ "**الجرب**" حيث يظهر علىأوراقه حبيبات صغيرة تنتقل فيما بعد إلى الثمار، وتؤدي إلى عدم نضجها، ويفسر ذلك بأن السبب الرئيسي هوقلة المياه وما ينجم عنه، ويقدم على ذلك دليلاً بأن أشجار التين المزروعة في منزله في بلدة جديتا لم تصب بهذا المرض، لأنه يسقيها باستمراربالكميات التي تحتاجها.

ومن خلال التجول وتدقيق الملاحظة كنت أرى بان ثمار التين في الكثير من البساتين تبدو بشكل عام غير جيدة، وكما يقول الفلاحون في مجتمع البحث "**التين مضروب**"، فتساءلت عن هذه الظاهرة، وكانت الاجابة من أحد المبحوثين بأن السبب بنظره هو قلة المياه، في حين أن مبحوثاً آخر أجاب بأن هنالك سبب إضافي لقلة المياه وهو "**الغش بأنواعه**"، بما في ذلك "**التزييت**" "**والتوجيه**" ويقصد "**بالتوجيه**"، وضع الثمار الرديئة في أسفل "**البكسات**" أي الصناديق المخصصة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لتعبئة الثمار، ووضع الثمار الجيدة على وجه "البكسة" فيظهر للمشتري بأن محتويات "**البكسة**" جيدة مثل التي على الوجه، وينخدع بشرائها. أما مبحوث ثالث فيرى بأن السبب هو: منع الزكاة وعدم اعطاء حصة الفقراء التي فرضتها رب العالمين، فسلط الله على الناس قلة المياه. لكن هؤلاء المبحوثين يرفضون ما ذكره أحد المبحوثين بأنه يرتبط بقلة استخدام الأدوية والمحسنات الكيماوية، وبشكل عام عدم استخدام تكنولوجيا حديثة في الري والتسميد والعناية بالأشجار، وحجتهم في ذلك أن هذه الرداءة في الانتاج لم تكن قبل سحب المياه مع أن التكنولوجيا المستخدمه هي نفسها ولم تتغير.

إن اصابة ثمار الرمان "**بالتسطح**" وإصابة التين "**بالجرب**" يعني فيى النهاية: تدني مستوى الطلب على الإنتاج، وبالتالي انخفاض القيمة المضافة بالنسبة للفلاحين. ولقد أكد الفلاحون على تراجع أسعار المنتوجات في هذا الموسم، وهي تتراجع كل موسم عن الموسم السابق منذ أن تم سحب المياه، ولو حاولنا تفسير هبوط الأسعار وتراجعها من خلال مسألة تدني مستوى الجودة، ورداءة الإنتاج وربط ذلك بقلة المياه وقلنا بأن الإنتاج صار رديئا بسبب فقدان عنصر مهم من عناصر العملية الإنتاجية بالمستوى اللازم وهو المياه، فإن ذلك يبدو مستساغا ومقبولا علميا وكذلك "**فلاحيا**" إذ يرى أحد المبحوثين ويدعى (ش،٦٥سنة) **بأن قلة المياه هي السبب الرئيسي لكل خسارة واقعة أو محتملة في الوادي، وبأن الكثير من الخلافات بين الفلاحين يكون سببها قلة المياه والذي يعني في النهاية انخفاض قيمة السلع المنتجة ومردودها النقدي.**

تراجع اقتناء الحيوانات:-

يتحدث احد المبحوثين ويدعى (ح، ٦٧ سنة) بأن سحب المياه أدى إلى تراجع كبير في اقتناء الحيوانات بما في ذلك الماعز والأغنام والأبقار، لأن اقتناءها أصبح صعباً في ظل نقص المياه التي تحتاجها للشرب ولنمو الأعشاب التي تستخدم لإطعامها، مما شكّل في النهاية خسارة للفلاحين الذين كانوا يستفيدون من مخلفاتها في زيادة خصوبة البساتين وكذلك من ألبانها ولحومها. **لكن بنظري فإن سحب المياه ليس السبب الوحيد في تراجع اقتناء الحويانات وإنما هنالك أسباب أخرى مثل تراجع الفلاحة بسبب البيروقراطية وظروف العمل والوظائف التي يمارسها الفلاحون أو أبناءهم وانشغال الكثيرين منهم بالتعليم. بالإضافة إلى التطور في انتاج مشتقات الألبان وتوفر اللحوم الطازجة في السوق، وامكانية شرائها بيسر وسهولة.**

كما أنني أتفق مع ما ذهبت إليه Qutaifan (1990:96-97) في تفسيرها لتراجع اقتناء الحيوانات في قرية العالوك AL`Aluk لكونه نشاط اقتصادي ثانوي، بعدما كان نشاطاً اقتصادياً

© Arabic Digital Library Yarmouk University

حيوياً في الخمسينات، أما اليوم فإن نسبة من يعتنون بالمواشي في العالوك تبلغ فقط ٣٩٪ من السكان هناك، وهذا ما وجدته غنام (١٩٨٨: ٣٠) في خربة الوهادنة، إذ قلت أعداد المواشي التي كان يقتنيها السكان؛ بسبب توجههم لزراعة الأشجار، والتوجه إلى الأعمال والوظائف البيروقراطية، ولم تجد في القرية المذكورة سوى (١٠) أسر تملك المواشي.

تأثير سحب المياه على توجهات الفلاحين:-

إن لسحب المياه آثاراً سيئة حتى على الأفكار والتوجهات التي يحملها الفلاحون الذين تضرروا من هذا القرار، حيث أشار عدد من المبحوثين إلى استيائهم من أحد كبار المسؤولين في الحكومة والذي ينتمي إلى احدى عشائر محافظة عجلون الذي كان له دوراً رئيسياً في هذا القرار لسحب المياه إلى المنطقة التي ينتمي إليها لتحقيق بعض المكاسب الخاصة به، و**"لخدمة جماعته"** أي اقاربه. هذا هو تفسير المبحوثين لهذا القرار. ويشير المبحوثون إلى أن الكثيرين من ابناء إحدى عشائر "الفلاحين" في جديتا المتضررين من سحب المياه رفضوا المشاركة في حل خلاف نشأ بين عشيرة هذا الشخص وعشيرة أخرى من عشائر **"الفلاحين"** في جديتا من جرّاء وقوع حادث سير، وكان ذلك بتاريخ ١٩٩٨/٩/١٥م وجاء هذا الرفض تجسيداً لكراهية هذا الشخص و **"جماعته"**. وهذا يعزز فكرة أن العامل الاقتصادي يحدد الأفكار ويُشكّلها.

التعويضات النقدية وآثارها الاقتصادية:-

تعد التعويضات النقدية من أهم الآثار الناجمة عن سحب المياه المخصصة لبساتين مجتمع البحث، لما لها من تأثيرات هامة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمالكين الذين حصلوا على هذه التعويضات، فمنهم من اتجه إلى شراء المزيد من البساتين؛ لزيادة رأس ماله الثابت، ومنهم من اتجه إلى توسيع نشاطه الاقتصادي بشراء المزيد من السيارات العاملة في نقل المنتوجات في مجتمع البحث، وهذه من ملامح تغلغل الرأسمالية في مجتمع البحث حيث يتم اقتطاع جزء من الفائض لإعادة الاستثمار وزيادته. ومنهم كذلك من اتجه إلى شراء سيارات تكسي تعمل بالأجرة، وغير ذلك من النشاطات الاقتصادية. ومن المهم هنا الإشارة إلى ما جاء به كل من Alavi و Mceachern وكذلك Patnaik بأنه لا يكفي الاشارة إلى أن الانتاج للسوق وازدياد عدد العاملين بالاجرة يعني بالضرورة وجود الرأسمالية، بل إن الرأسمالية المتطورة تعني اعادة استثمار جزء من الفائض وارجاعه للعملية الانتاجية لتطوير القوى المنتجة ، سعياً لإنتاج أوسع لمصلحة الرأسماليين (Foster- Carter, 1978: 69).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وتستند المطالبة بالتعويض إلى قيام الجهات المسؤولة بسلب الحصص المخصصة للبساتين في مجمع البحث والمسجلة رسمياً في سجلات دائرة الاراضي والمساحة، وتبلغ هذه الحصص (٦٤٤) حصة عن مياه "**عين التنور**" في "**عرجان**" وإنعكاس ذلك سلباً على الانتاج. وقد بدأ مالكو البساتين برفع القضايا للمطالبة بالحصول على تعويضات من جرّاء مالحق بهم من خسائر منذ عام ١٩٩١م، وتتطلب القضية عادة توكيل محامٍ للمرافعة، وعلى مالك الأرض أن يحضر مخططاً لموقع بستانه بالاضافة إلى سند تسجيل يثبت ملكيته، ودفع مبلغ (٥٠) دينار في المحكمة بالاضافة إلى شاهدين أو ثلاثة ليشهدوا على إلحاق الضرر، وبعد ذلك ستقوم المحكمة بتشكيل لجنة للكشف على البستان، وتتكون اللجنة من مساح: وخبير زراعي لعد الأشجار، وتقوم اللجنة بتخمين قيمة انتاج الشجرة الواحدة لمدة (٣) سنوات، ويُحسب الفرق ما بين الانتاج الفعلي بعد نقص المياه والانتاج المتوقع في حال توفر المياه كما كانت سابقاً؛ لحساب الفرق وجمعه لكل الأشجار ويختلف التقدير من بستان لآخر ومن حوض لآخر، وحتى في أجزاء من الحوض نفسه، ففي أحد البساتين في حوض "**مصقاع الطاحونة**" تم تخمين الخسارة لشجرة الرمان بثلاث دنانير وتنصف سنوياً، لأن المياه متوفرة نسبياً في حين تم تخمين شجرة الرمان في أحد البساتين في حوض "**الرهوة**" بستة دنانير ونصف، وشجرة المشمش، بـ(٦٠) دينار، وفي الحوض نفسه تم تقدير شجرة الرمان بـ(٩) دنانير.

وحسبما أفاد أحد المبحوثين ويدعى (ش، ٦٥سنة) بأن الزيتونة الواحدة التي كانت تنتج (٣٠٠) كيلو غرام من الزيتون، صارت تنتج بعد سحب المياه (٩٠) كيلو غرام من الزيتون فالتعويض هنا يكون على اساس:

٣٠٠ – ٩٠ = ٢١٠ كليو غرام الفرق في الانتاج.

٢١٠ × ٣ = ٦٣٠ كيلو غرام زيتون التي يستحق عليها التعويض.

ومن هنا يكون التعويض على أساس خسارة (٦٣٠) كليو غرام من الزيتون، وعلى المالك كذلك أن يدفع أجرة الكشف للمحكمة، بالإضافة إلى أجرة السيارة وما يتبع ذلك من رسوم واجرة للخبراء. ويستطيع ان يستأنف برفع قضية اخرى كل (٣) سنوات. وأثناء عد الأشجار لا يوجد تمييز بين أشجار رمان حلو أو حامض، الا أن التخمين يختلف من خبير لآخر. فنجد مثلاً ان عدة سيقان تنمو إلى جانب بعضها تُحتسب احياناً شجرة واحدة مع أن بعضها حامض والآخر حلو، بمعنى أنها عدة اشجار، واحياناً يتم عد كل ساق واحتسابه شجرة مستقلة، إذ يعتمد ذلك على اللجنة المختصة. ويتقاضى المحامي عادة ١٠٪ من كامل التعويض، ويكون الدفع له بعد انتهاء القضية وكسبها. ومن المبحوثين الذين حصلوا على تعويضات ما ذكره أحدهم ويدعى (ع، ٦٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

سنة) بأنه حصل على مبلغ (١٤,٥٣٧) دينار أردني بدون حصة المحامي كتعويض لهذا الفلاح عن مياه بستان تبلغ مساحته (١,٨٠٠) دونم في حوض "ملحم" وقد يبدو لنا من بعيد أن هذه المبالغ طائلة وبأنها أضعاف مايمكن أن ينتجه البستان في حال توفر المياه، لكن أحد المبحوثين أشار إلى أنه وفي كل عام فإن هنالك تزايداً في الضرر اللاحق بالأشجار، لدرجة انه يؤكد على حتمية فناء هذه الاشجار في غضون عدة سنوات، ويشاركه في ذلك مبحوثون كثيرون.

ولقد ذكر لي أحد المبحوثين بأنه يعمل موظفاً في احدى الدوائر الحكومية في جديتا ويدعى (ر، ٥٠ سنة)، وقد قام باستثمار مبلغ (٩٠٠٠) دينار كان قد حوّلها له ابنه الذي يعمل في الخليج، فقام بشراء أحد البساتين عام ١٩٩١م، منذ أن سمع باحتمال منح تعويضات، واختار بستاناً في حوض "ملحم" وتحديداً في منطقة تسمى: "**المشرع**" وهي المنطقة الواقعة عند آخر امتداد البساتين من الغرب في حوض "**ملحم**" وكانت مساحة البستان (١,٥) دونم، وتصلها المياه كما يقول "**بطلوع الروح**" إشارة إلى الصعوبة في توصليهما وتقدم للحصول على التعويض، وفي تلك الفترة فقد عمد إلى اهمال البستان؛ وذلك لبيان أنه قد تضرر اكثر وأكثر؛ ليحصل بذلك على قدر اكبر من التعويض. أما الشخص الذي باعه البستان فقد كان يعتقد بأن هذه التعويضات "حرام"، لكنه حاول التخلص من هذا "**الحرام**" مقابل الكسب النقدي ببيع البستان بسعر اعلى مما يستحق بكثير، إذ لا يستحق أكثر من (٥٠٠٠) دينار، إلا أن تعويضه كان مقدراه (٧,٦٨٤) دينار حسبما ذكر (ر) الذي ينظر إلى المسألة من منظور اقتصادي بحت في حين نظر إليها مالك البستان الأول بمعايير دينية اقتصادية، **وبذلك فإن سحب المياه قد أدى إلى ارتفاع أسعار البساتين بدلاً من أن يؤدي إلى انخفاضها.**

استراتيجية مواجهة سحب المياه:

في ظل التغيرات الناجمة عن سحب المياه، كان لا بد من البحث عن أساليب جديدة لمواجهة مشكلة المياه، ولذلك نجد بأن هنالك تعدداً في الأساليب المستخدمة ومنها:

١) **تقسيم البستان إلى قسمين:** القسم الأول يُسقى هذه المرة والقسم الثاني يُسقى في المرة القادمة، بمعنى السقي مرة بعد مرة، وهذا الاسلوب تبنته بعض الوحدات الإنتاجية العائلية مثل وحدة (ي) ووحدة (ز) ووحدة (ب) و (ع)، وهذا يعني أن البستان صار يُسقى مرة واحدة في الشهر بعدما كان يُسقى مرة كل أسبوعين. والفائدة من هذا الأسلوب هي تكييف الأشجار على تحمل نقص المياه، وبالمقابل توفير المياه لتسقي الأشجار بكمية أكبر مع تقليل عدد مرات السقي.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢) **بناء آبار المياه (الحواويز):** لقد لجأ بعض الفلاحين إلى هذا الأسلوب بتجميع مياه الشتاء في (الحاووز) واختزان حصص بساتينهم من المياه، ثم سقاية البستان في الوقت المناسب ومنهم من يستخدم مضخة كهربائية لسحب المياه من القناة واختزانها، ثم توزيعها على الأشجار لسقايتها باستخدام المضخة أو بدونه حسبما تقتضي الظروف، مع الحرص على كل قطرة ماء (لاحظ الصورة رقم "٢") ومن المبحوثين الذين استخدموا هذا الأسلوب شخص يدعى (ح، ٦٢ سنة) حيث أكد على نجاعة هذا الأسلوب إذ أنه يسمح بنقل المياه وتوزيعها على الأشجار مباشرة دون أن تسيل المياه في المجاري الترابية ويتسرب منها قسم كبير، لكن تكلفة اقامة مثل هذه الآبار مكلفة، وليس بإمكان كل فلاح توفيرها.

٣) **استبدال الأشجار القديمة بأنواع جديدة:** والمقصود هنا بالأشجار القديمة: اشجار الرمان والتين التي يزيد عمرها عن خمسين سنة، بحيث تبدو عليها علامات التردي، واستبدالها بأشجار الزيتون؛ حيث أن اشجار الرمان والتين لا تعيش بدون المياه الوافرة. ومن هؤلاء الفلاحين من أزال جميع الاشجار القديمة واستبدلها بأشجار مع بناء (حاووز) ماء ومنهم من غرس شجرة زيتون بجانب كل شجرة رمان أو تين وتقدم للحصول على تعويض، رغبة في الاستفادة من الأشجار التي سيقوم بازالتها حتى اللحظة الأخيرة من عمرها. ومنهم من لم يقدم للتعويض؛ وهو يصر على أن ذلك "حرام"، ومن هؤلاء شخص يدعى (ز، ٤٥سنة) أشار إلى أنه قام بإزالة جميع الأشجار القديمة واستبدلها بأشجار زيتون، وأنه يريد كسب الوقت وتسريع نمو الأشجار الجديدة باستخدام الهرمونات والمواد الكيمائية الخاصة والتي لم تكن معروفة في مجتمع البحث سابقا. (لاحظ الصورة رقم "٣").

ملكية الطواحين المائية وبعض جوانب التاريخ الاجتماعي لها:-

لقد شكلت الطواحين المائية حتى أواخر الخمسينات وسيلة انتاج مهمة، وكانت ذات تكنولوجيا بسيطة، حيث كان هنالك (٥) طواحين مائية في مجتمع البحث، وحسبما ورد في (سجلات دائرة الأراضي والمساحة المتعلقة بأراضي جديتا في الأحواض رقم (١٤،١٦،١٨،١٩) فهي:

١) **طاحونة "أم الحراذين"**: وتقع في حوض "**مصقاع الطاحونة**"، وكان يملكها (٢٥) شريك من الذكور وجميعهم من عشيرة الربابعه.

٢) **طاحونة "حسين"**: وتقع في حوض "**الرهوة**"، وكان يملكها (٢١) شريك منهم (١٨) ذكور و (٣) إناث، وجميعهم من عشيرة "**بني ملحم**" .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٣) **طاحونة "تصير"**: وتقع في حوض "**الرهوة**"، وكان يملكها (١٩) شريك منهم (١٧) ذكور من "**بني ملحم**"، وذكر آخر من قرية مجاورة تدعى كفرابيل.

٤) **طاحونة "عودة"**: وتقع في حوض "**الرهوة**"، وكان يملكها (٣٢) شريك وهم (٣١) ذكور وامرأة واحدة، وجميعهم من "**بني ملحم**".

٥) **طاحونة "المشرع"**: وتقع في حوض "**ملحم**"، وكان يملكها (٣٠) شريك منهم (٢٨) من ذكور "**بني ملحم**"، وشريك واحد ذكر من "**الكساسبة**" وآخر من "**الربابعة**".

وقد اشترك أحد الأشخاص من "**بني ملحم**" هو وأولاده في ملكيات ثلاث طواحين وقد تولى أحد أبنائه رئاسة البلدية في جديتا فيما بعد، بمعنى أن ملكية وسيلة من وسائل الانتاج ساهم في ايجاد نوع من التمايز الاقتصادي والاجتماعي لبعض المالكين، إذ أن هؤلاء المالكين من "**بني ملحم**" احتلوا مكانة اقتصادية مكنتهم من امتلاك باص لنقل الركاب في الستينات، ثم تولى أحدهم رئاسة البلدية في جديتا وتناوب عليها مع أخيه، كما أن ابن الشريك الوحيد من عشيرة الربابعة قد أصبح مختاراً لعشيرته في الثمانينات، وابن شريك آخر من عشيرة الكساسبة اصبح مختاراً لعشيرته كذلك. ويلاحظ كذلك أن ملكية الطواحين استندت إلى أساس عشائري، وجدير بالذكر أن هذه الطواحين لم تكن تستخدم لمجتمع البحث وحده، بل كان يأتي اليها الناس من القرى المجاورة؛ لطحن المواد الأولية للغذاء كالقمح والشعير والذرة وغيرها، مما أكسب مجتمع البحث أهمية اقتصادية واجتماعية.

وأما تكنولوجيا عمل هذه الطواحين فقد كانت ذات مستوى تقني بسيط، ولايذكر المبحوثون كيف كانت اجزاؤها مركبة وكيف تعمل، لكن باحثاً آخر وصف تلك الطواحين في قرية "**كفرنجة**" وجدت في زمن هذه الطواحين لدى فلاحي البساتين فيقول: **(يتم تزويد الطاحونة بشكل مباشر من مجرى الوادي بواسطة قنوات يرفع إليها الماء عن طريق ساقية (ناعورة) ولا أهمية لمدى صلاحية الماء للشرب، إذ أن الماء يكون بمعزل عن المواد المراد طحنها. ويتكون البناء المخصص للطاحونة من غرفة الطحن التي تعلو غرفة الدولاب، والتي تكون مسقوفة، وخلق غرفة الطحن يوجد البرج الذي يحتوي على بئر الماء وهو ذا شكل شبه مخروطي، ورأسه للأسفل يكون متصلاً بقناة الطاحونة، ويضرب الماء عجلة الضرب التي تدور لتدير معها في الأعلى عملية الطحن)** (الملكاوي، ١٩٩٤، ٤٧-٤٩).

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولايذكر المبحوثون من تاريخ هذه الطواحين شيئاً كثيراً، بل إن معالم هذه الطواحين تبدو غير واضحة، ولم يبق منها سوى بعض أجزاء من المباني التي كانت مخصصة لها، ولقد تحدث لي أحد المبحوثين ويدعى (ج، ٥٧سنة) عن بعض الجوانب الاجتماعية لتاريخ هذه الطواحين، فأشار إلى أهمية هذه الطواحين وتأثيرها في حياة السكان في مجتمع البحث زمن وجودها، فقد كانت النساء تأتي إليها لتطحن القمح والشعير والذرة لاستخدامها في صناعة الخبز، وكذلك الرجال، وكان من الممكن أن تبقى المرأة تنتظر دورها طيلة النهار والليل حتى الصباح من اليوم التالي. وكان تنظيم الدور يتم من خلال المشافهة بأن يقول الشخص الذي يتولى عملية التنظيم بالاضافة إلى عمله ويدعى "**براك الطاحونة**" فيقول "**فلان بعد فلان**"، ولم تكن الأولوية في الطحن تعطي للمرأة الا إذا كانت وحيدة بين الرجال، أوإذا تنازل لها أحد الرجال عن دوره بحكم القرابة، أو الجوار، ولم يكن ذلك سهلاً؛ بسبب كثرة التزاحم على الطواحين والتي كانت ذات تكنولوجيا بسيطة. ولذلك فإن مجيء تكنولوجيا أحدث وتقنية أكثر تطوراً في الخمسينات تمثلت بما يسميه المبحوثون "**ماتور الطحين**" الذي امتلكه شخصان من عشائر الفلاحين بالاضافة إلى شريك ثالث من عجلون أدى إلى تراجع استخدام هذه الطواحين، وساعد على ذلك قيام أحد التجار من عشيرة الربابعة بشراء "**ماتور**" آخر، ووضعه في بلدة جديتا، إضافة إلى معصرة زيتون، ويشير هذا الانتقال إلىأهمية التتكنولوجيا التي تعبر عن دور القوى المنتجة في احداث التغيير في نمط الإنتاج.

وتذكر (ص، ٧٠سنة) بأن زوجها كان "**يتهاوش**" أي يتشاجر معها إذا لم تخبره عن قرب انتهاء أو نفاذ كمية الطحين الموجودة بحوزتهم قبل (٣) أيام على الأقل؛ ليتسنى له توفير ونقل المواد المراد طحنها وحجز الدور واستكمال عملية الطحن وتشير (ص) إلى أن ذلك لم يعد موجوداً بعد قدوم "**مواتير الطحين**"، إذ أصبحت عملية الطحن تتم بسرعة، وبات من السهل أن يتنازل الرجل عن دوره للمرأة، وأعني بدوره هنا موعد الطحن بالنسبة له حسب الترتيب؛ لأن ذلك لن يؤخره كثيراً.

ويشير أحد المبحوثين (ص، ٥٢سنة) إلى أن العمل في الطواحين قد ارتبط بما اكتسبه بعض العاملين في الطواحين من ألقاب مثل لقب "**البرّاك**" الذي يقوم بتشغيل الطاحونة وتنظيم الدور، وخصم ما يسمى "**الرّد**" ويقصد به مقدار من المواد المطحونة أو ثمنها من النقود كأجرة لعملية الطحن وكذلك لقب "**دب الطاحونة**" لشخص امتاز بعدم اتقانة تشغيل الطاحونة وادارتها، مع أنه عمل فيها لفترة طويلة، وكذلك لقب "**الطفاش**" ليشير إلى نوع من التخبط في الأداء وبدون

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اتقان، وألقاب أخرى كثيرة لا مجال لذكرها. فهذا يدلل على أهمية هذه الطواحين وتأثيراتها في حياة المبحوثين.

ولقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ف، ٨٢سنة) عن قيام شخصين من احدى عشائر قرية جديتا بمحاولة الاعتداء على احدى الفتيات من قرية مجاورة باغتصابها، وكانت قد جاءت إلى احدى الطواحين؛ لتطحن في الأربعينات من هذا القرن، ولم يتمكنا من ذلك؛ لأنها كانت ذات بنية جسدية قوية فقاومت بشدة، وجرحت أحدهما برأسه ثم هربت إلى أهلها الذين قاموا بدورهم بقتل هذين الشخصين بالرصاص في إحدى الطواحين التي اختبآ فيها، فما كان من أقارب القتيلين الا أن هاجموا تلك القرية وحاولوا الاعتداء على "**شرف الجماعة عن جنب وطرف**"، بمعنى محاولة معاقبتهم جماعياً من خلال التحرش بنسائهم ومحاولة اغتصابهن ، وهذا يجسد العلاقات الأولية، وبالمقابل فقد رفض أبناء عشائر "**الفلاحين**" في جديتا هذا السلوك، ورفضوا الوقوف إلى جانب أهل القتيلين؛ من منطلق انهما مذنبين وأنهما قد حاولا ارتكاب "**العيب**" بالاضافة إلى أسباب أخرى تتعلق بالإنقسام الإجتماعي في مجتمع البحث.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الثالث

علاقات الانتاج الاجتماعية *Social Relations of Production*

مقدمة :-

يتبنى فلاحو البساتين أسلوب "التعزيب" للإقامة في البساتين في موسم الإنتاج، حيث تتلاءم هذه الطريقة مع متطلبات الإنتاج والتسويق، إذ يتمكن الفلاح من متابعة إنتاجه والعناية به وحراسته وتسويقه. ويدخل الفلاحون في علاقات إنتاجية محددة يقابلها مستوىً معينا من تطور القوى المنتجة، ولهذه القوى المنتجة أهمية وغلبة في تحديد البناء الإجتماعي الإقتصادي القائم، فمثلاً يبرز العمل المأجور كمتطلب للإنتاج والتسويق في ظل سيادة الأسرة النووية كوحدة بنائية إنتاجية في مجتمع البحث.ى وتبرز لدينا علاقتا إنتاج إجتماعية هما: المحاصصة و الإستئجار.

التعزيب في البساتين:

بعد أن زاد الاستقرار والسكن في قرية جديتا، استمر الفلاحون في فلاحة البساتين دون الإقامة الدائمة في الوادي، وإنما صارت الإقامة في البساتين تقتصر على فترة محددة هي فترة قرب نضج الثمار وقطفها وتسويقها، أي خلال أشهر آب، أيلول، تشرين أول، تشرين ثاني، وتعرف هذه الاقامة المؤقتة بـ "**التعزيب**"، إذ يقصد لتعزيب: الاقامة المؤقتة في البساتين بهدف الإنتاج، وكذلك يطلق مصطلح "**العزبية**" على الوحدات الإنتاجية التي تقيم في البساتين. ويبدو أن التعزيب استراتيجية تنتشر في المجتمعات التي تقوم على الزراعة أو الفلاحة، إذ تشير غنام أنه إلى كان هنالك تعزيب في الأراضي البعيدة عن قرية "خربة الوهادنة" التي هي مركز البلد والاقامة الدائمة للمزارعين هناك، واستمر هذا التعزيب منذ الأربعينات لفترات تشكل حوالي نصف السنة؛ للقيام بأعمال الحراثة والبذار والحصاد، (غنام، ١٩٨٨: ١٦). وهناك من المبحوثين من يُبكّر في "التعزيب" بسبب خلافاته مع أقاربه أو جيرانه في جديتا (مكان السكن الدائم)، وبالتالي فهو يرغب بالتخلص من هذه المشاكل، بالإضافة إلى رغبة الكثيرين من "**العزبية**" بتقليل نفقات الحياة. فمن فوائد التعزيب -كما يقول أحد المبحوثين من "العزبية" ويدعى (ع، ٤٠ سنة)- "**التخلص من أعباء الحياة في بلدة جديتا**"، موضحاً ذلك بأنه يتلخص في المناسبات الاجتماعية التي تتطلب القيام بالزيارات وشراء الهدايا، خاصة وأن فترة "التعزيب" تترافق مع موسم اعلان نتائج امتحانات الثانوية العامة "التوجيهي"، وتخرّج الكثيرين من طلبة الجامعات، وعودة الكثيرين من المغتربين لقضاء إجازاتهم، مما يشكل في النهاية موسماً للزواج، وكلّها مناسبات تحتاج إلى زيارات مجاملة تتطلب دفع النقود، فالابتعاد في السكن عن الأقارب والأصدقاء يزيد من المسافة الاجتماعية Social distance بينهم ويقلل من تفاعلهم المباشر

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويجعلهم يقلّلون من مجاملاتهم لبعضهم، مما يعني في النهاية توفير تكاليف هذه الزيارات، وبذلك فإن العامل الاقتصادي يحدد الكثير من المعايير والقيم الاجتماعية وما يرتبط بها من سلوكيات.

أحد المبحوثين ويدعى (ز، ٤٠ سنة) يعمل في البستان الذي يشترك في ملكيته مع إخوانه، ويلّخص مايقوم به بقوله "**بأسقي وبأقلع العشب أنا وهالمره**"- ويقصد زوجته- **وبظلني بعيد عن دوشة هالبلد، بالبلد ما بطولك غير وجع الراس، فلان طويل، فلان قصير، فلان بدو يتجوّز، فلانه والده، وفلان مريض، مش عارف مين مْروّح من الخليج، وناس ما بترحم، وكله بالمصاري**". فهو يشير إلىكثرة المناسبات وتقديم الهدايا، وعدم تساهل الناس في حال وجود الفلاحين بالبلد بأداء هذه الواجبات. كما يشير إلىرغبته في تقليل النفقات من خلال الابتعاد عن أماكن سكن الأقارب والأصدقاء الذين تَحدث عندهم تلك المناسبات مثل: المرض والولادة والزواج، وما إلىذلك. ولقد أشار لي أحد المبحوثين بأن "**دار أخوه**" يتضايقوا من اقتنائه للماعز، ومن هذا المنطلق فإنه يجد في التعزيب وسيلة للهروب من موقف اجتماعي ضاغط، إذ يقول هذا المبحوث: "**طُول عُمرنا عندنا حلال، وبِنْعَزّب بالبساتين، أبونا وأمنا كانوا هيك، وهاي شغله مْرَبْحِة، لكن أخوي، (ح) تْجوّز وَحدِهْ مابتخاف من الله، بْتِقْرَفْ من العنزات، وبِتْوِز أخوي عَلَيْ عشان يِعمل معي مشاكل، وعشان هيك دايماً بِحاول يِقنعني إني أبيع العنزات عشان مَرَتُه المدنيه**". كما ذكر أحد المبحوثين بأن في التّعزيب توفيراً لاستهلاك الكهرباء والمياه والوقود وتحديداً: الغاز السائل. كما نلاحظ البعد الأيديولوجي الديني في كلام المبحوث عندما وصف زوجة أخيه بأنها "ما بتخاف من الله".

وللتضاريس الجغرافية تأثير مهم على إمكانية التّعزيب، فلقد أشار أحد المبحوثين ويدعى (ب، ٥٠ سنة) بأنه لايُعزّب هو ووحدته الإنتاجية (الأسرة)؛ بسبب التضاريس الجغرافية القاسية، إذ أن المنطقة التي يقع فيها بستانه ضيقة جداً ويحيط بها ومن فوقها مرتفعات عالية جداً وهي حوض "**المعاريض**" (لاحظ الصورة رقم"٤")، ومن المهم هنا إلى أن نشير إلى أن التكنولوجيا المتدنية تزيد من سيطرة الطبيعة على الإنسان، وتوجه سلوكه، وبالتّالي فإن بستان (ب) وتلك البساتين المجاورة له معرضه لتساقط الحجارة والصخور الكبيرة، كما أن المنطقة الجنوبية الواقعة فوق هذه البساتين كانت معرضة قبل عام ١٩٩٥م لحوادث تدهور السيارات؛ بسبب عدم استكمال وضع الحواجز التي تقي السيارات إلىجانب الشارع الرئيسي الواقع فوق البساتين، ولايزال قسم منها لم يستكمل بعد، وقد وقعت عدة حوادث نجم عنها تدهور عدد من السيارات في الماضي، وألحقت الأذى بالأشجار وبالناس، ولذلك فإن (ب) يستأجر سيارة بكب مع أسرة أخته لتوصيل الوحدتين الانتاجيتين من وإلىالبساتين يومياً، حيث تتقاسم الوحدتان الإنتاجيتان دفع

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الأجرة اليومية "للبكب"، وبذلك– كما يشير هذا المبحوث– فهم يتخلصوا من عادة سيئة (كما وصفها المبحوث)، وهي دفع أجرة الركاب الآخرين من الجيران أو الأقارب أثناء ركوب الباص. مما يدلل على تفشّي قيم الفردية وبعض مظاهر التفكك وتناقص قوة القرابة الدموية في توجيهها للسلوك.

وجدير بالذكر أن التعزيب لايرتبط بعلاقة إنتاج إجتماعية واحدة وإنما يمكن أن يوجد في ظل أي من علاقات الإنتاج السائدة، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

عمل المالك في بستانه owner's labour: وهو شكل العمل الفلاحي الأقدم والأوسع انتشاراً في مجتمع البحث، وهي ترتبط بالملكية، إذ أنها تتضمن أن يقوم مالك البستان بما فيه من أرض وأشجار ومياه بالعمل في البستان هو وأسرته ضمن وحدة انتاجية واحدة، وهذا يتفق مع ما أوردته الصعبي (١٩٩٧: ٣٦) حول العمل العائلي في الفلاحة، عندما ذكرت بأن الأسرة هي الوحدة الأساسية في قرية "أسعرة" وذلك في الزراعة وتربية الحيوانات الانتاجية، وكذلك الدواجن والطيور والنحل. وفي بعض الظروف نجد أن مالكاً يعمل لوحده خارج نطاق الأسرة، وهذا لم تشر إليه الصعبي في اسعرة، مما يعني أنه غير موجود.

وضمن هذا الشكل من أشكال العمل فإن الفلاح يملك انتاج بستانه كله ومايعود عليه من ريع نقدي بعد تسويق منتوجاته، بدلاً من اقتسامه مع محاصص أو مستأجر البستان مع فلاح آخر، لكنّ اللجوء إلىعلاقات انتاج اجتماعية بدلاً من هذا الشكل يأتي استجابة لظروف موضوعية من الخارج تتعلق غالباً بانشغال المالك وأسرته بوظائف بيروقراطية تعيق عملهم في البستان، أو إصابة المالك بالمرض أو العجز الذي يقعده عن العمل، وكذلك في حال وجود خلافات بين الشركاء المتعددين في البستان الواحد حول إنتاجية وآلية العمل واقتسام الريع النقدي للانتاج.

ومن المهم هنا الإشارة إلىأن عمل المالك في بستانه لايؤدي بالضرورة إلىنوع من التمايز الاقتصادي بين المالك الفلاح والفلاح العامل في المحاصصة أو المشاركة؛ لأن ذلك يعتمد على مساحة البستان وعدد الأشجار ونوعيتها ومدى عنايته ببستانه، وبالتالي قد ينتج فلاح محاصص أكثر من فلاح مالك، ويحصل بالتالي على مبالغ نقدية أعلى بكثير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

علاقات الإنتاج الاجتماعية *Social Relations of Production*

ويقصد بها Marx تلك العلاقات التي تنشأ بين الأفراد بهدف الإنتاج المادي، (السمالوطي، ١٩٨١: ٩)، وهذا يعني أن هذه العلاقات قد توجد في المنشأة الصناعية، أو المزرعة أو البستان. وهذه العلاقات في مجتمع البحث هي:

١) المحاصصة. Share cropping

٢) الإستئجار. Tenancy

١) المحاصصة Share cropping: ويقصد بها: علاقة انتاج اجتماعية بين مالك ومحاصص بهدف الانتاج المادي من البساتين واقتسام الريع النقدي للإنتاج الناجم عن فائض القيمة بعد خصم التكاليف المتحركة Current Costs، ويتم هذا التقاسم على الأساس الذي يتفق عليه الطرفان عند التعاقد. وجدير بالذكر هنا أن هذه الاتفاقات تتم عادة بين الطرفين سواء في المحاصصة أو الاستئجار شفهياً دون توثيق العقد كتابة أو وجود الشهود، وإن اقتسام الريع النقدي بين الطرفين هو من خصوصيات مجتمع البساتين المروية، أما المجتمعات الفلاحية التي تزرع الحبوب فإنه يتم تقاسم الإنتاج على شكل حبوب أو غذاء للماشية كما هي الحال في "اسعره" حسبما أشارت الصعبي (١٩٩٧: ٣٩).

أسس المحاصصة ومعاييرها:-

إن علاقات المحاصصة كما ذكرت لي إحدى المبحوثات وتدعى (م،٦٢سنة) تكون عقودها على أساس نصف الريع النقدي لكل من الطرفين، وبعضها على أساس مايُسمّى في مجتمع البحث "**المخامسة**"، والذي يعني نسبة ٢: ٣، بمعنى (٣) حصص للمالك وحصتان للمحاصص، وكثيراً ما يكون على أساس ثلثين للمالك وثلث للمحاصص بعد خصم **التكاليف المتحركة** أيضاً والتي يتم تحديدها في الاتفاق. ويكون على أساس النصف لكل من الطرفين في حال إلتزام المحاصص بالعناية بالبستان مباشرة بعد إنتهاء الموسم حيث يستمر المحاصص بعمليات سقي الأشجار واقتلاع "**العُلّيق**" وهو نبات شائك، وإزالة الأعشاب الضارة، وحراسة البستان، حتى مجيء الموسم القادم، وبأن يقوم بتسويق المنتوجات بأسلوب "**المفرق**" باستخدام الحمار وسيلة لنقل المنتوجات، ولتسويقها في الغور أو بشكل عام في المناطق التي لايوجد فيها عرض لمثل هذه المنتوجات مع وجود طلب عليها؛ إذ أن ذلك يُخلّصُ الفلاح من استغلال التجار الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً، وهذا ما ذكره لي أحد المبحوثين ويدعى (ع، ٥٧سنة) الذي يبيع المنتوجات عل الحمار بأسلوب "**المفرّق**"، وقد أشار إلىأنه قد راجعه أكثر من مالك بستان؛

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ليحاصصهم في بساتينهم. ومن المهم ذكره هنا أنني قد شهدت بنفسي اتفاقاً جرى بين أحد المالكين ويدعى الدكتور (ص)الذي يعمل في إحدى الجامعات الاردنية، وقد نزل من سيارته "**المرسيدس**" ليتعاقد مع فلاح كنت أجالسه، وهذا الفلاح يقوم بتسويق الإنتاج بأسلوب "**المفرق**" بنقلها باستخدام الحمار، وقد جرى بينهما نقاش حول احتساب أجرة للحمار، فكان المحاصص يطالب بمبلغ (٥٠) دينار من التكاليف المتحركة لإطعام الحمار والعناية بها في حين أصرّ المالك على مبلغ (٣٠) دينار، وطالب المحاصص أن يتقاسم المالك معه ثمن الحمار الذي سيشتريه بمبلغ يقارب (١٠٠) دينار، وفي النهاية توصلا إلىاتفاق بأن يتم احتساب مبلغ وقدره (٥٠) ديناراً للحمار دون مشاركة المالك في دفع ثمنه أو إطعامه، وكان ذلك في شهر حزيران ١٩٩٨م.

وقد أشارت إحدى المبحوثات إلىأن لجودة الثمار وإنتاجيتها أثر في تحديد أساس المحاصصة، فوجود أشجار "**شايحه**"، أي شاهقة وهرمة، فإن ذلك يتطلب جهداً اكبر في العمل، وبالتالي لابد من زيادة نسبة حصة المحاصص، وأما المعايير والأسس الأخرى التي توجد و تُجدد العقد بين المالك والمحاصص أو المستأجر فهي:

١) **الخبرة والمهارة:** فقد أشار أحد المالكين ويدعى (ص،٤٢سنة) إلىأنّ من أسس ومعايير المحاصصة وكذلك الإستئجار الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً، هو مدى قدرة المستأجر أو المحاصص على القيام بمتطلبات العملية الإنتاجية، وخبرته في مختلف مراحل الانتاج، بحيث يحصل المالك على المبلغ المتفق عليه، أو المؤمّل الحصول عليه في حال المحاصصة. ولذافإن بعض المالكين يشترط على الطرف الآخر تقديم "شيك تأمين" بالمبلغ المتفق عليه، خاصة وأن الدفع يكون في الغالب عند انتهاء موسم الإنتاج وتسويق المنتوجات، إذ أن شكل العلاقات الاجتماعية السائدة تهيء الجو الملائم لايجاد نوع من الثقة أو عدم الثقة بين الطرفين، ففي حال عدم وجود معرفة وتقارب بين الطرفين فإنه يتم اللجوء إلىطرف ثالث يرتبط بعلاقة جيدة مع الطرفين لتزكية المحاصص أو المستأجر وكفالته كقوله "**فلان عندي**" أو "**اللي بنقص عليه بتوخذه من عندي**" وهو بذلك يخاطب المالك، ويقدم له هذا الكلام بمثابة (شيك) تأمين اجتماعي قبل أن يكون نقدياً. وفي هذا المجال فقد ذكر أحد المبحوثين ويعمل محاصصاً إلىأنه كفل بعض الأشخاص من إحدى القرى المجاورة الذين يعرفهم جيداً ليحاصصوا في مجتمع البحث.

وبالنسبة للخبرة والمهارة في فلاحة البساتين فقد لاحظت أحد المحاصصين ويدعى (م،٤٢م سنة) وهو يقلب سلة يمسكها بكلتا يديه، وهو يقف على رجليه لتسقط منها حبات الرمان على الارض مع كومة الرُمّان، مما يعني إصابة الثمار بخدوش وجروح قد تجعل أسعارها أقل.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد أشار الإخباري الذي كان يرافقني إلىأن هذا الموقف يُعبر عن جهل وعدم خبرة في الإنتاج والتسويق. وبالمقابل فقد أشار أحد المبحوثين واصفاً عنايته بالثمار إلىأنه يحمل سلة الرمان أو التين كما لو كان يحمل طفلاً صغيراً بحيث يحمله بلطف ورفق.

وكمثال على المهارة والخبرة وأهميتها، فقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ر، ٣٥سنة) ويملك بستانا في حوض "**الرّهوة**" إلىأنه قد حاصص أحد الفلاحين مع أن هذا الفلاح كان قد طلّق أخت ذلك المالك، لكن ذلك يم يمنعه من محاصصته؛ لأنه فلاح اشتهر بخبرته في العمل بالبساتين وأمانته بالمحافظة على الأشجار وثمارها. فهذا المثال يُعزز دور العملية الإنتاجية في حياة الفلاحين وتأثيرها في مختلف مناحي حياتهم، فمن المتوقع هنا أن لا يقوم هذا المالك بمحاصصة الفلاح الذي طلّق شقيقة هذا المالك، لكن الذي حدث هو العكس.

٢) **مدى المحافظة على سلامة الأشجار والحرص على الثمار**: وهو شرط مهم؛ لما له من أثر في جودة الثمار وأثمانهاالنقدية. فقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (س،٦٢سنة) بأن شخصاً يدعى (ل،٤٧سنة) استأجر منه اشجار الزيتون في بستانه عام ١٩٩٦م، وكان ارتفاع الزيتونة يصل الى (٩) أمتار مما استدعى قيام (ل) بربط سُلّمين مع بعضهما؛ ليتمكن من الوصول إلىالثمار في أعلى أشجار الزيتون، مع حرصه الشديد على عدم كسر أي غصن منها حتى لو كان صغيراً. وقد كان (س) الذي هو مالك البستان بما فيه من أشجار زيتون ورمان يتفحّص الأشجار أثناء قيام أسرة (ل) بقطف ثمار الزيتون، فلم يجد مايقوله لهم سوى "**الله يعطيهم العافية**" تقديراً لهم. وعرض عليهم أن يستأجروا الأشجار في الموسم القادم، لكن (ل) كما ذكر لي هو نفسه لم يرغب بذلك لأن هذه الاشجار قد أتعبتهم كثيراً، وبإمكانه استئجار أشجار أخرى يتطلب قطف ثمارها عناءً أقل وتعطي ربحاً أكثر، كما أن استئجار أشجار "شايحة" كهذه، والعمل في إنتاجها قد يُعرّض حياة العاملين للخطر، وهذا ما حدث قبل (٥) سنوات حسبما ذكر (ع،٢٨سنة) إذ وقع أحد الاشخاص عن شجرة مشمش وتوفي على أثرها، وفتاة أخرى وقعت عام ١٩٩٠ عن شجرة زيتون وتوفيت على أثرها.

ويشير أحد المبحوثين في هذا السياق ويدعى (ز،٤٧سنة) إلىأنه لو أراد أن يُؤجّر بستانه فلن يؤجره لشخص يدعى(أ،٥٥ سنة)، أو من هو في حالته، حتى لو دفع مبلغاً كبيراً، لأن هذا الشخص متزوج من (٤) نساء، ولديه عدد كبير من الأبناء و "**كل الناس بتِعرف إنه مابرْحَم الشجر**"، إذ أنه يستخدم الأدوات ومنها "**الحُجّانِة**" مثلاً بأسلوب مؤذي للأشجار بحيث يتصرف "**وكأنه يسرق وحتى في بستانه** "، كما يستخدم "**الشاروط**" وهي عصا طويلة ورفيعه قد يصل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طولها إلى(٥م) وذلك لضرب أغصان الزيتون العالية؛ لتسقط ثمارها على الأرض، ثم يجمعها، بدلاً من الحرص على عدم تكسير الأغصان وعدم ايذاء الثمار. اذ أن وقوعها على الأرض يؤدي إلىخدش الثمار، وحدوث اسوداد في اللون، وينعكس ذلك سلباً على اسعارها إذا كان الزيتون مخصصاً للبيع، وعلى الزيت المنتَج إذا كان الزيتون مخصصاً للعصير، حيث يفقد الزيتون جزءاً من الزيت كما أنه يتَسخ بالتراب، وكذلك الحال في قطف ثمار الرّمان حيث أن هذا المبحوث ومن هو مثله لايهتم "**بتفليخ**" الأغصان، أي تكسيرها، وخاصة العالية منها مما ينعكس سلباً على الشجرة ومقدار انتاجها في الموسم القادم.

٣) تراجع دور القرابة كأساس في علاقات الإنتاج:-

لقد شكلت القرابة في الماضي البعيد إطاراً واسعاً للكثير من جوانب لحياة فلاحي البساتين الاجتماعية منها والاقتصادية ، ومنها علاقات الانتاج الاجتماعية، فلقد أشار أحد المبحوثين (ح،٦٧سنة) إلىأنه كان يُفضّل إقامة علاقة إنتاج اجتماعية مع طرف يرتبط مع المالك بعلاقة قرابة دموية Kinship، من منطلق أحقية القريب وأولويته في المنطقة حتى ولودفع مبلغاً أقل للإستئجار. لكن ذلك قد تغير حديثاً، ولعل ذلك يعود إلىالانخراط في السوق، وتبني قيم الربح وزيادة فائض القيمة، وتراكم رأس المال في عصر هيمنة النمط الانتاجي الرأسمالي. فأحد المبوحثين ويدعى (ا،ج، ٥٠سنة) ويملك بستاناً في " **مصقاع الطاحونة** " وكان يحاصص فيه أحد أقاربه من عشيرته وزوج أخته في الوقت نفسه، لكنه ألغى هذه العلاقة الإنتاجية؛ ليقيم علاقة محاصصة مع فلاح آخر من عشيرة أخرى؛ لأن فائض القيمة الذي كان ينتجه المحاصص الأول لم يكن مُرضياً وكان اقل منه في الحالة الثانية، ولم يأخذ (أ،ج) بالاعتبار الجانب القرابي في هذه العلاقة الإنتاجية الاجتماعية.

وجدير بالذكر انه حتى بعض المالكين من عشيرة "**الربابعة**" التي امتازت بعزلتها الاجتماعية والدينية قد باتوا يحاصصون فلاحين من العشائر الأخرى، إلا أن الشكل السائد هو الاستئجار كعلاقة انتاج اجتماعية، ولعل ذلك يعود إلى نوع من انعدام الثقة من جانب الربابعة بالفلاحين من العشائر الأخرى.

ويشير مبحوث آخر ويدعى (ق، ٤٢سنة) إلىأنه يملك بستاناً في حوض " **ملحم** "، قد رفض تأجيره لأخيه؛ لأنه كما يقول: " **زلمة مِشْ مْصَلي على النبي عنده بيجي عشرين ولد، فاذا كُلْ ولد بدّه عصاه من شجرة الرمان يِلْعب فيها، قدّيش بدّه يقطّع من الشجر، واذا كل ولد بده يتْحمّم يوم ما بتيجي المْي لسقي البستان معناه خِربْ البستان** " فهو يشير إلىان كثرة الأبناء

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وخاصة الاطفال غير مستحب في هذا المجال؛ لأن ذلك يشكل ضغطاً على وسائل الانتاج ممثلة بالأشجار والمياه، وما يرتبط بها من تأثير على الانتاج، ويشير كذلك إلى انه اذا قامت الاسرة بالاستحمام يوم " **دور المي على البستان** " فهذا يعني حدوث نقص كبير في المياه، فكلها سلوكات محسوبة الثمن وتُعامَل كأنها سلع لها قيمتها النقدية.

ولقد ذكر احد المبحوثين من مالكي البساتين ويدعى (غ، ٦٥سنة) إلى انه قد ضمّن بستاناً لشخص يدعى (م، ٤٠سنة) وكان مقدار الضمان (٤٨٠) دينار، وهو يتوقع بأن يربح (م) ما لا يقل عن (٤٠٠) دينار، ويضم البستان هذا (٩) اشجار تين فقط، كما ضمّن بستانه الثاني لفلاحين من قرية مجاورة بمبلغ مقداره (٧٠٠) دينار، وذلك ثمناً لانتاج البستان لموسم ١٩٩٨م، وهو يتوقع ان يربح هؤلاء المستأجرون ما لا يقل عن (٧٠٠) دينار. وقد اعتمد مبدأ " **اللي يدفع اكثر يِتْضمّن** " بعدما حاول بعض اقربائه التوسط معه ليستأجروا البستانين بمبلغ اقل، وبذلك لم يهتم هذا المبحوث للقرابة في هذا المجال، وأعني بناء علاقات الانتاج الاجتماعية، وانما نجد بأن مقدار المبلغ المدفوع للإستئجار هو المتغير المستقل Independent variable في علاقة التأجير، أو ما يسمى أحياناً "الضمانه".

٤) **علاقة الجوار في البساتين:** لمسألة الجوار دور مهم في بناء وتشكيل علاقات الانتاج، ويمكن تجسيد ذلك من خلال المثالين التاليين.

يشير احد المبحوثين ويدعى (م،٣٢سنة)، إلى انه واسرته فضلوا التعاقد مع جيرانهم أسرة (س) وفضلوهم على أحد اقاربهم من عشيرتهم، حفاظاً على راحة جيرانهم، خاصة أن معظم الأيدي العاملة لاسرة (س) من " **النسوان** "، وفضلوا جيرانهم على قرابتهم مع أن مستوى الانتاج والارباح سيكون متساوياً تقريباً. وهذا يشير إلى أهمية علاقة الجوار في مجتمع البحث واعتبارها أهم من علاقة القرابة، اذ أن الجار يتفاعل مع جاره كفرد أو أسرة أكثر مما قد يتفاعل مع قريبه الذي يسكن او يملك بستاناً بعيداً عنه، وهذا يشكل نقلة نوعية في حياة مجتمع فلاحي البساتين الذين كانت القرابة الدموية kinship تشكل متغيراً مستقلاً في مختلف مناحي حياتهم.

وهنالك منحنى آخر تسلكه علاقة الجوار من خلال المثال الثاني، وهو اختيار المحاصص او المستأجر الذي يتلاءم مع الجار، واعني جار مالك البستان في مجتمع البساتين، فقد استخدم احد المالكين ويدعى (ن، ٥٠ سنة) حسبما ذكر لي، أسلوباً لمواجهة " **زعرنة جاره** " بتكرار سرقته المياه من حصة بستان (ن)، وكان يرفض الاعتراف بذلك ويقول: " **المي طايحة من حالها** "، أي انها قد انسابت إلى بستانه تلقائياً، ولذلك فقد رفض (ن) محاصصة البستان إلا

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لشخص اشتهر هو الآخر بالسرقة؛ وذلك ليتمكن من مواجهة " **الجار السّرّاق**"، ولتحصيل أكبر قدر من الارباح القيمة النقدية للانتاج.

٣) الاستئجار Tenancy

وهي علاقة انتاج اجتماعية ما بين طرفين احدهما مالك البستان والآخر مستأجر، وتتضمن هذه العلاقة اتفاقاً بين الطرفين يقوم بموجبه المستأجر بضمان انتاج البستان كله او بعض اشجاره مقابل مبلغ معين من المال يتم الاتفاق عليه مسبقاً قبل نضج الثمار بفترة زمنية لا تقل عن شهر. وقد يتضمن هذا الاتفاق بعض الشروط الخاصة، فقد ذكر احد المبحوثين بأنه اشترط على المستأجر لبستانه ان لا يقطف احواض الزعتر المزروعة في البستان؛ ليقوم هو بقطفها واستهلاكها ذاتياً. وذكر مبحوث آخر بأنه قد استأجر بستاناً من أحد المالكين الذي اشترط عليه ان يبقي له شجرتي رمان ليستهلكها المالك ذاتياً.

ويُفضّل بعض المبحوثون الاستئجار على غيرها من العلاقات؛ لأنها كما تسمى احياناً "**الضمانة**"، اذ أن المالك سيحصل على المبلغ المتفق عليه مهما كانت نسبة الربح او الخسارة، ولن يدفع للتكاليف المتحركة current costsوهي تتميز عن المحاصصة في إمكانية أن يقوم المحاصص بصفته مالكاً للانتاج بالتصرف به كما يشاء؛ اذ يستطيع مثلاً أن يخزن ثمار الرمان إلىما بعد انتهاء الموسم بأشهر، وهو ما يعرف بـ " **ذخر الرمان** "؛ لتسويقه في وقت يندر فيه العرض للحصول على سعر أعلى. ويستخدم هذا الاسلوب في حال انخفاض الاسعار في الموسم بسبب زيادة العرض وقلة الطلب. في حين أنه في ظل المحاصصة فإن على المحاصص أن يقوم بتسويق الإنتاج، وأن يدفع للمالك فور انتهاء الموسم، وبالتالي لا مجال لهذا الاسلوب الذي يزيد من الارباح، وأعني " **ذخر الرمان** ".

ولقد ذكر لي احد المبحوثين ويدعى (ن ،٤٤ سنة)، وهو متقاعد وكان يسكن هو واسرته بعيداً عن فلاحة البساتين في مدينة العقبة لفترة تزيد عن (٢٠) سنة اثناء العمل في وظيفته، ثم عاد ليسكن هو واسرته في جديتا، وليمارس فلاحة البساتين كمهنة ضمن علاقة الاستئجار، فاستأجر بستاناً تبلغ مساحته (٠,٥٠٠) دونم، ويضم اشجار رمان وتين كثيرة، وكان مقدار الايجار (٤٥٠) دينار. وهو يشير إلىان مالك البستان قد لجأ إلىتأجيره بسبب اصابته بداء السُكرّي، وعجزه عن العمل، بالإضافة إلى" **همالة اولاده** " ويقصد بها عدم اهتمامهم بالبستان بعد ان كان والدهم يهتم بكل ما فيه من اشجار وارض ومياه، فالأرض مزروعة بمختلف انواع النباتات مثل: الفاصوليا والخيار والشاي والكوسا والقرع واليقطين والبندورة، ولكنه لم يتمكن من

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الاستمرار في فلاحته؛ بسبب مضاعفات داء السكري التي حلت به. مع العلم أن قيمة الضمان عالية بالمقارنة مع مساحة البستان، لكنه واحداً من البساتين المتميزة في عدد الأشجار ونوعيتها. والمهم هنا هو أن المستأجر (ن) لم يكن موفقاً في فلاحة البستان، إذ أنه كان يحمل نمطاً من التفكير لا يتناسب مع فلاحة البساتين، وهو أقرب إلى الحضرية urbanization في طريقة حياته منها إلىالفلاحة، peasantryفقد فشل وأكد لي حتمية خسارته لعدم قدرته على ممارسة متطلبات العملية الإنتاجية وتبني فلاحة البساتين كنمط من التفكير State of mind أو طريقة في الحياة Way of life .

ولقد توجهت بسؤال إلىأحد مالكي البساتين من المبحوثين، بأنه فيما لو عجز المستأجر لبستانه عن تحصيل مقدار الضمان، فماذا يفعل في هذه الحال؟ فأجاب بأن ذلك لايحدث إلا نادراً جداً، وأنه لوحدث فإن المستأجر -كما يقال- "**ضامن**"، بمعنى أنه ملزماً بدفع المبلغ الذي تم عقد الاستئجار على أساسه.

ولو حاولنا حساب الريع النقدي للإنتاج من خلال مثال مستمد من الميدان، فإن أحد المبحوثين المستأجرين ذكر لي بأن صافي الاجمالي للبستان الذي استأجره وتبلغ مساحته دونم ونصف تقريباً، ويضم بالضبط (١٢) شجرة رمان و (٧) أشجار تين كبيرة فكان المبلغ الصافي (١٢٣٦) دينار بدون اشجار الزيتون، وكان مقدار الضمان (٧٥٠) دينار. أما بالنسبة لأشجار الزيتون فقد كان عددها (٥) أشجار متوسطة الحجم ومبلغ ضمانها (١٨٠) دينار، وقد كانت حصتهم هو وأسرته: (٤٩) دينار +(٢٤) كغم من الزيت، وهو مبلغ متدني، وكاد المبحوث يخفي الارقام المتعلقة بالزيتون لولا اصرار الاخباري Informant الذي كان يرافقني على معرفتها؛ لأن المبحوث المذكور يثق بنفسه كثيراً، ويعتبر نفسه خبيراً في فلاحة البساتين واستئجارها وتقدير الجدوى الاقتصادية لانتاج الأشجار بمجرد النظر إليها قبل نضج ثمارها. وبالنسبة للمبلغ الذي ربحه من أشجار الزيتون: فلو افترضنا أن سعر الكليوغرام الواحد من الزيت (٣) دنانير، فإن مجموع الربح= ٤٩ دينار + (٣×٢٤) = ٤٩ +٧٢
=(١٢١) دينار، وهذا بالطبع بعد خصم مقدار الضمان.

فهذا المبلغ (١٢١) دينار هو حصيلة جهد وتعب جميع أفراد العائلة البالغ عددهم (٩) أيدي عاملة لمدة اسبوعين، أي أن الاجرة اليومية لهم لم تتجاوز (١٤) دينار، ويشير هذا المثال إلى أن العائلة هو الوحدة الأساسية للعمل في انتاج البساتين، وهذا الذي أشار إليه (1994: 73)

© Arabic Digital Library Yarmouk University

Pathak حول فلاحي الغابات في الهند، دون الاهتمام بمدى ملاءمة عدد الأيدي العاملة للمردود النقدي للإنتاج.

التعدد في علاقات الانتاج الاجتماعية:-

ويقصد به أن تعمل وحدة إنتاجية ما في فلاحة البساتين ضمن أكثر من علاقة انتاج اجتماعية واحدة في الوقت نفسه، وتعد أسرة (ش) مثالاً عل هذا التعدد في علاقات الانتاج، إذ يملك (ش) بستاناً واحداً، ويستأجر بستانين آخرين بمبالغ يتم الاتفاق عليها مع المالكين، إذ يستأجر بستان (غ) والذي تبلغ مساحته (٢,٣٠٠) دونم، ويضم أشجار تين ورمان وزيتون ومشمش، ويقع في حوض "**الرهوة**"، وبستان **الحاج (ي)** الذي يقع في حوض "**مصقاع الطاحونة**" وفيه أشجار تين ورمان فقط، وتبلغ مساحته (دونمين). ويقول (ش) بأن انتاجية بستان الحاج (ي) هي الأفضل، يليه بستان (غ). في حين أن بستانه هو الأقل؛ وذلك بسبب اختلاف مستوى توفر المياه المخصصة للري، ويعلق (ش) على ذلك فيؤكد بأن الاستئجار في حوض "**مصقاع الطاحونة**" وتحديداً في منطقة تسمى "**أم الحرازين**" هو أفضل من حيث الأرباح من التملك في منطقة "**المشرع**" في حوض "**ملحم**" الواقع في "**البساتين التحاتا**"؛ نظراً لقلة المياه هناك، والمسافة البعيدة. مما يجعل الإنتاجية أقل جودة، فكلما سرنا إلىالشرق في الوادي كانت الجودة أعلى، وكان المردود النقدي أفضل، ويرتبط ذلك بالأساس بتوفر المياه، ويعزز (ش) هذه الفكرة بالارقام فيقول بأن بستانه الذي يقع في "**البساتين التحاتا**" أنتج عام (١٩٩٧) مبلغاً وقدره (٢٩٧) دينار وبستان (غ) أنتج حوالي (١٠٢٢) دينار، وبستان الحاج (ي) (١١١٧) دينار، حيث يقعان في "البساتين الفواقا".

المشاركة بين وحدتين انتاجيتين:-

ويقصد به اشتراك وحدتين انتاجيتين كطرف واحد بهدف الانتاج، مقابل مالك البستان كطرف ثاني ضمن علاقة انتاج محددة. وهذا النوع من العمل موجود في مجتمع البحث منذ الاربعينات كما أشار (ع، ٧٧ سنة). وهو يدل على عمق في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ما بين هاتين الوحدتين. لكن هذا النوع من العمل قد قل في هذا الزمن نظراً لما اعترى حياة فلاحي البساتين من تغيرات في ظل عولمة النمط الانتاجي الرأسمالي ومايرتبط به من تفكك وتحلل في البنى القديمة، وتنامي الفردية حتى على مستوى الوحدة الانتاجية الواحدة وخاصة الاسرة.

فقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ي، ٢٣سنة) ويعمل مع أسرته المكونة من الام والاب وأخوين وأخت واحدة، بانه يرغب بالبحث عن عمل خاص به، أو وظيفة تؤمن له دخلاً

© Arabic Digital Library Yarmouk University

خاصاً به بدلاً من العمل ضمن الأسرة، إذ أنه لاينال من نتاج جهده الذي يبذله سوى مصروفه الشخصي، على الرغم من أنه يشارك بفاعلية في كل مراحل الانتاج. وقد عبّر عن إعجابه بتجربة احدى الوحدات الإنتاجية الاسرية ويقال لهم "دار(ع)" حيث أن كل واحد من أعضاء هذه الاسرة التي هي الوحدة الإنتاجية يأخذ حصته من العمل في البساتين، فالأم تأخذ حصتها والبنت تأخذ حصتها، وكذلك الأبناء والأب، بحيث يحق لكل فرد منهم أن يتصرف بحصته كما يشاء.

ومن مؤشرات تنامي الفردية: ما كنت ألاحظه وأسمعه من الكثيرين من المبحوثين وهم يتحدثون عن أعمال جماعية، إلا أنهم يستخدمون صيغة المفرد المتكلم فنجد مثلاً أن (ع) يقول (رحت... اشتريت.... فرطت الزيتون... لقطت رمان...) مع أنها كما اسلفت اعمال تتم ضمن إطار العمل العائلي.

وكمثال على المشاركة المشار إليها فإن أحد المبحوثين ويدعى (س، ٤٢ سنة) ويعمل في الامن العام، وهو على وشك التقاعد، ويصف نفسه بأنه "**طول عمري فلاح وابن فلاح**" ويعتز بفلاحته، مشيراً إلىأنها توفر له فرصاً للانتاج والحصول على المزيد من **فائض القيمة** لمواجهة متطلبات الحياة وصعوبة العيش. فلقد تشارك هو وأسرته المكونة من زوجته و (٣) أطفال مع أسرة زوج أخت زوجته (عديله)، ويدعى (هـ) ويعمل سائقاً على باص خصوصي ينقل الركاب بالاجرة وتتكون أسرته من زوجته وطفل واحد، وتقوم المشاركة بينهما مناصفة في تقاسم الارباح بعد دفع مقدرا الاستئجار، وكذلك المناصفة في العمل والانتاج، وقد استأجروا بستانين يقع أحدهما في "**البساتين الفواقا**" والثاني في "**البساتين التحاتا**".

وفي المثال السابق فالبستان الأول يملكه (ع) ومساحته دونم واحد، ومقدار ضمانته (٢٠٠) دينار، وهو مبلغ منخفض؛ بسبب وجود أشجار تين مصابة "**بالجرب**" فيه، وهذه الأشجار لايستفاد من ثمارها. وإنما استندت الضمانة إلىأشجار الرمان الموجودة في البستان، وقد ضمنه مالكه (ع)؛ لأنه رجل مسن ولم يعد قادراً على الإنتاج، وأبناؤه منشغلون بأعمالهم ووظائفهم الخاصة. وأما البستان الآخر فيملكه رجل مسن آخر يدعى (ي) وقد تجاوز عمره (٧٠) سنة، وتبلغ مساحته (٣) دونمات، ويضم أشجار رمان وتين وليمون وعنب وزيتون. ولقد ذكر لهما مالك البستان الثاني بأنه ينتج (٦٠٠) دينار، ولذلك فمقدار الضمان (٤٠٠) دينار وعليهما أن "**يتقوا الله في البستان**" إشارة إلىالوازع الديني. وبقي يقوم بزيارة البستان وتفقد اشجاره من فترة لأخرى، كأن يحدث هنالك كسر لبعض الأغصان أو أي اهمال للأشجار وانتاجها. ولم يكن الشريكان مرتاحين لهذه الزيارات التفتيشية التي يقوم بها مالك البستان، لكن أحدهما يقول "**كانت**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصاري تجبرنا على السكوت" فنلاحظ هنا دور العامل الاقتصادي المتمثل بالرغبة في الحصول على الارباح، فكيف كان هذا العجوز يتحمل عناء النزول إلىالبستان، وتفقد الأشجار، وكيف كان الشريكان يرضخان لهذا السلوك مقابل الأرباح النقدية، إذ كان المبلغ الصافي الاجمالي بدون انتاج الزيتون من هذا البستان (٨٣٠) دينار. ويعتقد (ي) بأن صاحب البستان أخبرهم بأن انتاج البستان سيكون بحدود (٦٠٠) دينار؛ لأنه اعتمد في ذلك على ماقاله له الشخص الذي استأجره في السنوات الثلاث السابقة لسنة استئجارهما له، وكان المستأجر السابق قد ذكر للمالك بأن صافي الانتاج لم يتجاوز (٦٠٠) دينار، مع أن ذلك بنظر (س) غير صحيح، ولو كان مالك البستان يعرف ذلك لزاد في مقدار الضمانة، إذ أن هناك عُرف في مجتمع البحث يتضمن أن لاتزيد حصة المستأجر عن النصف.أما انتاج الزيتون فقد كان (٢٠٠) دينار، بعد خصم تكاليف انتاجه.

أما ناتج البستان الآخر –كما يقول (س)– فقد كان حوالي (٢٧٠) دينار وبعبارة أخرى كان نصيبهما منه (٧٠) دينار فقط بعد دفع مقدار الضمانة أي أن حصة كل أسرة بلغت (٣٥) دينار.

أما نصيبهما من إنتاج البستانين:–

انتاج البستان الاول : ٢٧٠ – ٢٠٠ = ٧٠ دينار

$\frac{٧٠}{٢}$ = ٣٥ دينار لكل أسرة .

البستان الثاني: ٨٣٠ رمان+ تين + ٢٠٠ زيتون = ١٠٣٠ دينار

١٠٣٠ – ٤٠٠ = ٦٣٠ دينار صافي الاجمالي

$\frac{٦٣٠}{٢}$ = ٣١٥ دينار لكل أسرة منهما

أشكال العمل وتقسيمه:–

إن العمل في انتاج البساتين هو عمل عائلي في المقام الأول إلىجانب أنه عمل مأجور في المقام الثاني، وعندما نقول: عملاً عائلياً فإننا نعني أن العائلة هي الوحدة الإنتاجية التي تقوم بعملية الانتاج بمختلف مراحلها، حيث يتشارك أعضاء الاسرة، والتي هي أسرة نووية Nuclear Family في القيام بالعمل، وهذا يتشابه مع مجتمعات الفلاحين الهنود، **إذ أن العائلة هي الوحدة الرئيسية للإنتاج، وكانت الزراعة هي الأساس التنظيمي للعلاقات داخل المجتمع، فالعمل العائلي في الزراعة هو عنوان لهويتهم (Pathak 1994: 70).**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويحتل الذكور عادة مكانة أهم من مكانة الإناث مع العلم بأن دور المرأة الانتاجي لايقل أهمية عن دور الرجل، كما سيأتي لاحقاً. كما أن للأبناء دور هام في الانتاج لا يقل عن دور الآباء، لدرجة أن بعض الأبناء الشباب يقوموا باتخاذ قرارات مهمة تتعلق بالانتاج والتسويق دون الرجوع للأب، فأحد المبحوثين من الشباب ويدعى (ع، ١٩سنة) ذكر لي بأنه قام بطرد أحد التجار ورفض تسويق منتجات أسرته له في ذلك اليوم على الرغم من أنه صديق لوالده، وقام بطرده؛ لأنه حاول أن يستغل علاقة الصداقة تلك بالمخاجلة والشراء منهم بسعر زهيد.

وفي إحدى الوحدات الإنتاجية التي قابلتها، كان أحد الأبناء ويدعى (ب، ١٢ سنة) وشقيقته (ع، ١٣ سنة) يقومان بـ "**حَشّ العشب**" من البساتين المجاورة باستخدام "**الحاشوشة**"، وهي أداة ذات تكنولوجيا بسيطة تتكون من مقبض من الخشب يتصل بقطعة حديد تشبه السكّين في حدتها، إلا أنها مُقوسة الشكل. وبعد تجميع "**العشب المحشوش**" كان الاخ والأخت يقومان بوضعها في "**شوالات**" ونقلها باستخدام الحمار، لتخزينها وذلك لاطعام المواشي في فصل الشتاء عندما يتعذر الرعي بسبب البرد الشديد أو الامطار، أو مرض بعض المواشي، وذلك بقصد تقليل الاعتماد على الاعلاف التي يتم شراؤها وبالتالي الاقتصاد في النفقات. **وحتىالابناء المعاقين جسدياً فإنهم يشاركون في العملية الإنتاجية**، وقد لاحظت ذلك عدة مرات، فأثار شفقتي وإعجابي، إذ رأيت بعض الابناء المعاقين عدة مرات، من الذكور والاناث، وهم يعملون في فرز الثمار وتصنيفها حسب جودتها، وتعبئتها في "**البكسات**" حيث أن هذه الاعمال تتناسب مع اعاقتهم الجسدية، **مما يدلل على أهمية العمل العائلي**، والحرص على استثمار كل الجهود والامكانيات المتوفرة لزيادة الارباح، إذ أن هذا التوظيف لامكانيات أعضاء الاسرة يعني توفير مبالغ كبيرة كانت ستدفع أجرة للعمال في حال اللجوء إلىالعمل المأجور، خاصة وأن العمل المأجور قد تغلغل إلىفلاحة البساتين، واقتحم عمل الوحدة الإنتاجية نفسها إذ نجد أن بعض الوحدات الانتاجية الأسرية تدفع الأجرة لأبنائها مقابل عملهم في الانتاج، ولعل هذه السمة، وأعني عمل الأبناء مقابل تقاضي الأجرة من أسرهم الانتاجية هي من سمات المجتمعات الفلاحية، فنجد أن الأسر الرعوية في "اسعره" تُعيّن من أبنائها من يرعى أغنامها مقابل الأجرة التي تكون على شكل راتب شهري، بالاضافة إلى نسبة من الماشية (الصعبي، ١٩٩٧: ٤٦).

ولقد قابلت أحد المبحوثين ويدعى (ب، ٥٢سنة) وقد سألته حول العمل المأجور ومدى استخدامهم له، فأشار إلىعدم لجوئهم إلىهذا الأسلوب وذلك بقوله "**بنشتغل في البستان الزلمه والمره والولد والبنت**"، مشيراً إلىأن العمل في البستان بشكل عام يتطلب تسلق الأشجار وانحناء الجسم، مما لايسمح بوجود شخص من خارج الأسرة يعمل بالأجرة ضمن أجواء العمل العائلي؛

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأنه سيعيق وجود المرأة، ومشاركتها في العمل، كما أن ذلك يتعارض مع مسألة تقليل النفقات التي يحرص عليها هو ووحدته الإنتاجية. وهو يشير إلىأنه لوقام بحساب أجرة أعضاء الوحدة الإنتاجية Self exploitation فإنها قد تعادل القيمة المضافة التي يمكن الحصول عليها، وبالتالي فقد لا يكون هناك جدوى من العمل، ولذلك يتعاون أفراد الاسرة في انجاز العمل، وزيادة الارباح النقدية وبذلك فإن كلام المبحوث **هذا يعزز فكرة أن الفلاحة طريقة في الحياة وليست عمل وظيفي أو إداري.**

وأما تقسيم العمل Division of labour فهو يبتعد كل البعد عن الارتباط بالجنس كمتغير مستقل في تحديد المهام الإنتاجية لكل جندر gender، وإنما يعتمد تحديدها وتوزيعها بين أعضاء الوحدة الإنتاجية على القدرات الجسدية والمهارات الخاصة، وذلك في مختلف مراحل الانتاج تقريباً. وبالمقابل نجد أن تقسيم العمل لدى قبيلة The Gururumba التي تعيش في وادي Asaro في غينيا الجديدة، وتعتمد على زراعة الحدائق أو البستنة يعتمد على الجنس (Haviland, 1983: 189) ويشير أحد المبحوثين ويدعى (ع،٤٥سنة) إلىاستمرار العمل في البستان الذي يملكه حتى بعد انتهاء موسم الثمار، إذ تعتني الوحدة الإنتاجية المتمثلة بالأسرة بسقي الأشجار والعناية بالبستان، مشيراً إلى أن ابنه (ز،٢٢سنة) يتولى اقتلاع "العُلّيق" من البستان؛ لأن لديه القدرة على اقتلاعه، وقد اكتسب ذلك بالممارسة والمران، كما أن ابنه (س، ١٣ سنة) يرعى الماعز التي تمتلكها الاسرة وتلك التي يمتلكها هو شخصياً والبالغ عددها مع بعضها (٣٠) رأساً من الماعز، والتي يفضل اقتناؤها على الاغنام البيضاء، وذلك لقدرتها على التكيف مع الطبيعة الجغرافية الوعرة لمجتمع البحث، وأود أن أشير هنا إلى سبب تفضيل الفلاحين للأغنام السوداء أو الماعز، الذي يتجسد في كونها لا تحتاج إلى عناية كبيرة، وكما ذكرت (غنام) فإنها تتكيف جيداً مع المناطق الجبلية الوعرة، وتستطيع الاعتماد على النباتات الصغيرة التي تنبت بين الصخور في المناطق المرتفعة، وذلك بعكس الأغنام البيضاء التي تحتاج لعناية ونفقات إضافية لتوفير الغذاء الكافي لها، وخاصة في فصل الشتاء (**غنام، ١٩٨٨: ١٧**).

ويشير مبحوث آخر يدعى (ز،٥٠ سنة) إلىأنه أثناء القيام بعملية السقي فإن زوجته تشارك بالسقي، وغيرها من المراحل الإنتاجية مثل قطف الثمار. وكذلك بقيةأعضاء الأسرة بحيث يشكلوا وحدة انتاجية واحدة، لكن ذلك لايعني بالضرورة أن الوحدة الإنتاجية الاسرية ستعيد انتاج نفسها من خلال أبنائها، وأعني تقليد الأبناء لآبائهم في طريقة حياتهم، إذ أشار(س،٦٢سنة) إلىأن بعض أبنائه قد تخلوا عن الفلاحة بسبب البيروقراطية وما تتطلبه من تغير في نمط الحياة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والخلفية الثقافية عند الانتقال إلىالعمل في وظائف في ظل ظروف وعلاقات انتاجية حضرية، كالعمل في المنشآت الصناعية والتي تحتاج إلىقدر كبير من التخصص وتقسيم العمل.

ولقد شاهدت في احدى زياراتي للميدان أثناء موسم الزيتون أحد الاطفال وعمره لايتجاوز (٥) سنوات يركب على حمار، وعلى الحمار كيس من الزيتون، ويمشي الحمار بطريق وعرة ومتموّجة، ثم ينتقل إلىالطريق المعبد قرب ما يعرف محلياً بـ "**بساتين القطاقطة**" الواقعة في حوض "**مصقاع الطاحونة**"، وكان الطفل يمسك بكيس الزيتون بكلتا يديه حتى لايسقط من على الحمار، وتابعت الطفل. لما يزيد على مسافة (٢٠٠)م حتى دخل الحمار إلىأحد البساتين قرب مايعرف بـ "**سد باير**"، وهناك وقف الحمار ونزل الطفل ثم جاء أحد الرجال ليقوم بتنزيل كيس الزيتون، ثم حمل الرجلُ الطفلَ وأركبه على الحمار، ليعود ويستمر في نقل الانتاج لتجميعه وتسويقه **بالجملة**. وعندما سألت الرجل عن الموقف أشار – وهو يبتسم– إلىأن هذا الطفل هو ابن أخيه وهو يقول: "**اللهم صلي على النبي**" اتقاءً للحسد و "**الإصابة بالعين**" والتي يؤمن بها الكثيرون من فلاحي البساتين ايماناً راسخاً. وهي من الأيديولوجيا الدينية للفلاحين، وأشار كذلك إلىأن عملية نقل الإنتاج تتطلب وقتاً كبيراً في ظل التكنولوجيا البسيطة التي تعتمد على الدواب في النقل، خاصة في ظل عدم امكانية وصول السيارات لنقل الانتاج من تلك المنطقة، وتفضيل الحمير على الخيل؛ لأنها أقدر على المشي في الطرق الوعرة، فللإيكولوجيا تؤثر في مستوى التكنولوجيا الذي يعبر عن القوى المنتجة، ومستوى تطورها والتي تساهم بدورها في تحديد علاقات الانتاج الاجتماعية، ودرجة تقسيم العمل، واحداث تغيرات في نمط الانتاج، وبالمقابل نجد بأن البساتين التي تصلها السيارات فإنها لا تقتني الحميرلاستخدامها في النقل، هذا وقد أشار Abujaber إلى قدم استخدام الحيوانات في الاردن وفلسطين منذ نهاية القرن التاسع عشر، واستمرار ذلك فيما بعد؛ لعدم توفر السيارات أو الطرق التي يمكن أن تمر منها السيارات وهي تنقل الانتاج، فكانل ابد من ساتخدام الحيوانات، وبالذات: الخيول والبغال والحمير في مناطق الشمال، والجمال في مناطق الجنوب (Abujaber, 1989, 99-102).

إن هذا التنوع والتعدد في مستوى التكنولوجيا يدخل في مفهوم التمفصل Articulation إذ أنه إلىجانب النمط الانتاجي ما قبل الرأسمالي Precapitalist الذي يستخدم تكنولوجيا بسيطة في الانتاج، هنالك نمط رأسمالي Capitalist يستخدم تكنولوجيا متطورة، وإن تعدد وسائل المواصلات والاتصال الحديثة من مظاهر هذا التطور، ولقد لاحظت اشمئزاز بعض المبحوثين من رؤية الحيوانات التي تستخدم في نقل الانتاج، وهؤلاء المبحوثين ممن اتيحت لهم فرص الانغماس في التكنولوجيا الحديثة، وامتلاك السيارات واستخدام الهواتف الخلوية في تصريف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منتوجاتهم، وتحديد الكميات التي سيقوموا بتسويقها بناءاً على قانون العرض والطلب، حيث كان بعضهم يقوم بالاتصال مع بعض عملائهم في الاسواق المركزية وأماكن أخرى للتسويق وهم يجلسون تحت الأشجار، فلولا هذه التكنولوجيا لما أمكن هذا **الفلاح الذي بات يتحول إلىمواطن مدني (برناردو وويلكنسون، ١٩٩٠)** من تسويق منتجاته.

المرأة ودورها الانتاجي ومكانتها الإجتماعية:-

سبق أن أشرنا إلىأن دور المرأة في فلاحة البساتين لايقل أهمية عن دور الرجل بمختلف مراحل الانتاج، ولقد قابلت احدى الاسر التي تتكون من زوج يبلغ من العمر (٦٥) سنة، وزوجته لا تتجاوز (٥٠) سنة، ولا يوجد لهما أبناء، ويعاني الزوج من داء السكري الذي يؤثر في نشاطه الانتاجي؛ لأنه يحد من قدراته الجسدية، ولكن ذلك لم يمنع العمل في البستان، إذ أن الزوجة كانت قد تولت القيام بالعملية الإنتاجية، مما يعزز أهمية دور المرأة الانتاجي في فلاحة البساتين.

ولقد كانت زوجة هذا المبحوث تقوم بمعظم الأعمال الإنتاجية من سقي وتعشيب وقطف ثمار الرمان وتسويقها من البستان، والذي استملكت وزارة الاشغال العامة جزءً كبيراً منه، ولم يبقَ سوى "**سرب رمان**"، أي عدد من الأشجار المغروسة بنفس الاتجاه، ولقد شاهدت هذه السيدة التي لم تكن تتردد في الحديث مع الرجال الغرباء، إذ كانت تعرض "**بكستين**" من الرمان على جانب الطريق الواقع قرب بستان زوجها في "**حوض الرهوة**"بل إنها كانت تتجادل معهم في السعر، وتبدي استياءها من تدني الاسعار التي قدمها المفاوضون. وبعد ساعة ونصف تقريباً من العرض حظيت ببيع الانتاج المعروض، ثم عادت لتجلس معنا، فأشار زوجها إلىأنها "**بتمون على كل إشي؛ لأنها قايمه بالشغل كله**"، فهو يشير إلىأنها تحتل من خلال نشاطها الانتاجي مكانة مهمة على مستوى الاسرة تجعلها بموقع متخذ القرارات، وهذا الموقع يشير إلى بناء القوة في النسق الأسري. فالعملية الانتاجية ومدى فاعلية المشاركة فيها يحدد مكانة المرأة إلىحد كبير، عل الرغم من تواضع مكانتها وتدنيها بشكل عام.

وبالمقابل فإن أحد المبحوثين ويدعى (غ، ٦٧سنة) يبدي استياءه من زوجته التي ترفض التعزيب معه في البستان، ولذلك فهولا يأخذ لها أي اعتبار كما يقول "**مش حاسب إلها ولا حساب**". وقد ذكر أنه يبحث عن زوجة جديدة مشترطاً فيها أن تكون "**شغّيله**"، أي لها دور مهم في الانتاج. فحتى الزواج لدى فلاحي البساتين، وكذلك مدى الانسجام بين الزوجين، تحدده العملية الإنتاجية.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وفي مسكن أسرة (س، ٦٧سنة) كان علينا (الباحث والاخباري) أن نشرب عدة كاسات من الشاي الذي أعدته زوجة (س)، تلك السيدة التي استقبلتنا بعبارات الترحيب، وجالسنا زوجها، ثم انتقلت إلىتكنيس أرض "**العريشة**" التي يسكنون فيها، ثم قامت بـ "**النكاشه**"، على شجرتي زيتون باستخدام الفأس كأداة. فهي تقوم بأعمال المنزل والمتمثل هنا في إعداد الشاي بالاضافة إلىالعمل في الانتاج من خلال "**النكاشه**" وكان زوجها قد أبدى اعتزازه بها؛ لأنها تقف إلىجانبه في مختلف مراحل الانتاج بقوله "**بتشتغل مثلي وأزود**". وقد أشار (س) إلىأن زوجته ومثلها الكثيرات من النساء كانت في الماضي تجمع الحطب من الاحراش المجاورة للوادي وهي حامل في الشهر التاسع، وكثيراً ما كانت تحدث حالات ولادة أثناء جمع الحطب بعيداً عن المسكن. كما اشارت مبحوثة أخرى وتدعى (ف، ٥٥ سنة) إلىأن إحدى جاراتها وتبلغ من العمر (٣٢) سنة تتسلق الأشجار لقطف الثمار وهي في أواخرمرحلة الحمل، ولا تتردد في ذلك، إذ أنها قد تعودت على هذا النشاط، ولم تعد تواجه صعوبة في هذه الاعمال في البساتين، حتى وإن كان العمل شاقاً في بعض الأحيان وينطوي على بعض المخاطر كالسقوط من على شجرة، ومايمكن أن ينجم عن ذلك من إصابات قد تصل إلىالوفاة وقد حدث ذلك فعلاً وأشرت إليه سابقاً، فالمثال السابق يؤيد فكرة عدم استناد تقسيم العمل في مجتمع البحث إلى الجنس.

إن لدور المرأة في الإنتاج وقدرتها على العمل أثر كبير في اتخاذ بعض القرارات المتعلقة بشكل علاقة الإنتاج الاجتماعية التي يمكن العمل على أساسها، فمثلاً (ي، ٧٠سنة) يشكو من التعب الذي أصاب زوجته (م، ٦٢سنة)، إذ أنها لم تعد قادرة على الإنتاج مثلما كانت في الماضي، "**ايدها على ايدي**" بمعنى أنها كانت تشاركه في كل الاعمال والنشاطات الانتاجية وإلىجانب التعب الذي ألَمّ بالزوجة، فإن التحاق الأبناء بالوظائف الحكومية والتحاق بعضهم بمتابعة تعليمهم في الخارج أدى إلىتراجع في نشاطهم الإنتاجي، ولذلك قام (ي) بتأجير واحد من البستانين اللذان يملكهما بما فيهما من تين ورمان، وكذلك أشجار الزيتون في البستان الثاني مبرراً ذلك بعدم قدرة زوجته على العمل، وكذلك عدم امكانية عمل الأبناء، مضيفاً بأنه لم يعد هنالك تعاوناً بين الجيران في الإنتاج.

أما (أ، ٦٥سنة) فلديها (٩) من الأبناء المتزوجين ذكوراً إناثاً، وقد صارت تعاني من ألم شديد في المفاصل، وهي مشكلة تواجهها الكثير من النساء المسنات في مجتمع البحث، ولعل لهذا الألم ارتباط بكثرة الإنجاب والعناء الذي تعيشه المرأة وتكابد ألمه في فلاحة البساتين من خلال العمل في مختلف مراحل الإنتاج وأعمال المنزل، وعلى الرغم من ذلك فإن (أ) لم تتخلى عن دورها ضمن ما تبقى لديها من قدرات جسدية قد استُنزف معظمها واستُهلك، فهي تشارك في

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العمل وهي جالسة على الأرض، وإن هذا الألم في ظل متطلبات العملية الإنتاجية، وتحديداً التنقل بين البساتين قد جعل (أ) لا تتردد في الركوب مع أي سيارة تمر من الشارع باتجاه المكان الذي تقصده حتى لو كانت السيارة غريبة، ولو استدعى الأمر الركوب في صندوق البكب. أما زوجها فقد أقسم بأن يريح زوجته من كل هذه المعاناة في العام القادم بعدم العمل في البساتين، لتحتج هي بدورها على هذا القسم مبدية حرصها على الحصول على الارباح من النشاط الانتاجي بقولها **"يعني حرام نربحلنا قرشين؟"**.

العمل التعاوني وتغيره:-

اعتاد الفلاحون في الماضي قبل أكثر من (٢٠) سنة تقريباً، على تبادل المساعدة والتعاون في الأعمال والنشاطات المرتبطة بالعملية الإنتاجية دون مقابل نقدي أو أجرة، سواء أكانت نقدية أو عينية حسبما ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ط،٦٢سنة). وكان هذا التعاون يأتي من منطلق الروح الجمعية التي كانت تسود في مجتمع البحث لتجسّد العلاقات الاجتماعية الأولية التي سادت بين الفلاحين والتي شكلتها القوى المنتجة Prductive forces إلىحد بعيد. فتخلف التكنولوجيا التي كانت سائدة في وادي جديتا ولايزال هنالك الكثير منها اليوم، فكان الفلاحون يستخدمون طرقاً وأساليباً ترتبط بالرغبة في استمرار ديمومة الجماعة، مثل التعاون في مختلف مراحل الانتاج. وحتى في المجالات غير الانتاجية، إذ أن ابتعاد مجتمع البحث عن أماكن بيع السلع والحاجات التي تُستخدم في اشباع حاجات الفلاحين كان يتطلب مستوىً أعمق في التفاعل الاجتماعي، وبناء شبكة أقوى من العلاقات الاجتماعية بين الفلاحين على مستوى الوحدات الإنتاجية، والتي كانت على الأغلب أسراً ممتدة extended family. كما أن مبدأ **العونة** يجسّد أهمية عدد الأيدي العاملة في الإنتاج في ظل تدني المستوى التكنولوجي آنذاك. فعدم توفر السيارات التي تنقل الفلاحين من وإلىالبساتين كان يتطلب أن يتشارك الجيران في اقتسام ما بقي بحوزة إحدى الوحدات الإنتاجية من الكاز المستخدم لإضاءة القناديل والمصابيح إلىأن يتسنى لبعض الأفراد منهم الذهاب إلىأماكن توافر هذه المادة حسبما ذكر (ط) والتي قد لا توجد إلا في المدن، وبالتالي فقد اعتاد الجيران على أن يسأل الجار جاره أو جارته إذا كان لديهم الرغبة في أن يحضر لهم بعض الحاجات معه عندما يذهب إلىالمدينة. ومن المهم هنا الإشارة إلىأن ذلك قد تغير اليوم، إذ أن امكانية شراء كل شيء متوفرة من حيث العرض، ويسهل الوصول إليها بل إنها تصل إلىالوادي من خلال باعة متجولين، فباتت كل وحدة إنتاجية مستقلة عن الوحدات الأخرى، **في ظل هيمنة نمط الانتاج الرأسمالي، وتغلغل القيم الرأسمالية مثل: تنامي الفردية، وبروز بعض مظاهر التفكك في البنى الاجتماعية القائمة مثل الأسرة الممتدة وتحولها إلى أسر نووية** وذلك بفعل ما اعترى المستوى التكنولوجي المعبّر عن تطور القوى المنتجة في مجال النقل

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والمواصلات والتسويق، وخلق مجالات عمل أخرى سواء في القطاع الحكومي (العسكري والمدني) أوالقطاع الخاص.وقد أشار Abujaber إلى مبدأ "العونة" بين الفلاحين في القرى والخرب (جمع خربة) في شرق الاردن منذ أواخر القرن التاسع عشر، وذلك في أوقات العمل المكثف، مثل: الحراثة والحصاد، وإذا لم يكن ذلك كافياً، كان يتم استئجار عمالٍ يتقاضون أجرة على شكل طحين أو قمح، وكان ذلك عندما كانت الزراعة هي الميدان الرئيسي للنشاط الاقتصادي ، وعمل معظم السكان به (Abujaber 1988: 85)، **وأما أهم مجالات "العونة" في وادي جديتا فقد تمثلت في:-**

١- **قطف الثمار:** لقد اعتادت الوحدات الإنتاجية في الماضي قبل مايزيد على (١٥) سنة تقريباً على تبادل المساعدة في قطف ثمار الرمان والتين والزيتون، حيث كان هنالك مجال واسع للتعاون؛ لأن كل فلاح يقوم بتسويق منتوجاته في الوقت الذي يراه مناسباً، كأن يكون بعد الفجر أو في المساء، أو ليخرج عند منتصف الليل، فشكّل ذلك امكانية للتعاون في قطف الثمار. لكن التوجّه للارتباط بالسوق قد فرض عليهم أن يقطفوا الثمار في وقت واحد تقريباً، وهو بعد الفجر في أغلب الأحوال مما يحول دون إمكانية التعاون، إضافة إلىدخول العمل المأجور -وهو الأهم- إلىفلاحة البساتين الذي كاد يلغي مبدأ "العونة"، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

وعندما يقوم الجار بالرش فإنه يكون قد قلل من مهاجمة الحشرات لبستانه وبستان جاره، ولذلك فإن الفلاحين يحرصون على التعاون في الرش، فمثلاً (م،٣٥سنة) قام بعملية الرش في بستانه وبستان جيرانه، وتقاسم معهم تكفلة الرش والتي تدخل ضمن التكاليف المتحركة current costs.

٢- **التعاون في الرش:** ويقصد به المساعدة فيما بين الوحدات الإنتاجية المتجاورة خاصة، في رش الأشجار والثمار والأعشاب في البساتين بمواد كيماوية خاصة؛ لمكافحة الحشرات والقوارض التي تهاجم الثمار والأغصان، وهو المجال الوحيد الذي لايزال قائماً، كما ذكر بعض المبحوثين، وذلك لأسباب لها صلة بالعملية الانتاجية، إذ أن رش الجيران لبساتينهم يعني تبادل المنفعة والفائدة فيما بين الجيران، لأن عملية الرش تتضمن القضاء على القوارض والحشرات التي تهاجم الثمار مثل الدبابير والنحل البري الذي يسمى "**الزَقْرُط**" وكذلك الذباب والفسفس والفئران والجرذان والتي لايكاد يخلو منها أي بستان، ومن هنا فإن معظم الفلاحين يستخدمون سموماً خاصة للفئران.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٣- **نقل المنتوج:** لم يكن التعاون يقف عند قطف الثمار بل إنه كان يمتد إلىنقل المنتوجات لتجميعها في مكان تصله السيارات لتحمله إلىالسوق. فكان لابد من تعاون الجيران أو الأقارب في نقله، والتعاون في مصارعة "**الجغرافيا التعيسة**"، على حد تعبير أحد المبحوثين. ولم يكن هنالك نظرة إلىمستوى المساعدة المقدمة حسبما أفاد (ع،٥٢سنة) ليتم ردها بالمستوى نفسه، وإنما كانت المسألة تعتمد على **التعاون كمبدأ** بصرف النظر عن مستوى هذا التعاون. فهذا هو **مبدأ** "**العونة**" الذي كان يُطبق دون مقابل نقدي، لكنه انتقل فيما بعد إلىوجود مقابل عيني مثل تقديم جزء من الإنتاج للوحدة المعاونة مثل "**تنكة زيت**" على سبيل المثال، ثم استمر التحول حتى وصل إلىالأجرة النقدية.

٤- **التعاون في تبادل الأدوات والسلع:** ويقصد بها الأدوات المستخدمة في الإنتاج بمختلف مراحله، مثل: السّلالم الخشبية والفؤوس والمجارف والدواب، بل إنها إمتدت إلى استعارة الأبقار في الماضي، فيذكر في هذا السياق أحد المبحوثين ويدعى (ع) بأن التعاون كان في السبعينات وقبلها يشمل الأدوات والغذاء والحيوانات بقوله "**تعتاز لبن تُودّي على أي واحد من جيرانك أو قرايبك يوديلك جراب لبن، تعتاز قمح نفس الإشي، بأيام الخمسان عند آخر الشتاء يذبحوا بقرة، ويتوزع اللحم على خمس إعيل من الجيران أو القرايب أو النسايب، وكأنه موسم لأكل اللحم، والناس تْسوّي جميد وكشك من اللبن وتودّي لبعضها، كنا نروح على "الزقيلية"(احدى العشائر) جماعة غانمين، وعندهم بقر كثير، نوخذ من عندهم راسين بقر عشان نحرث عليهن، ونتْمنّح منهن، ونرجّعْهن لأصحابهن وذا مات منهن إشي ما علينا غير نْبلّغ اصحابهن، وبخاطرك مع السلامة**"، فهو يشير إلى استعارة الغذاء من قمح ولبن وكذلك الأبقار. لكن ذلك لم يعد موجوداً هذه الأيام، وباتت كل وحدة انتاجية تقتني أدواتها بنفسها، أو تستأجرها، ولا تتردد في رفض تقديمها للجار أو القريب كما ذكر بعض المبحوثين. فقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ص،٤٤سنة) بأنه يُفضّل عدم اعارة أو استعارة الأدوات مثل: "المجرفة" أو "المضخة"، ويرى أن من الأفضل امتلاك كل وحدة إنتاجية لأدواتها الخاصة، بشرائها أو بإستئجارها بالثمن النقدي، خاصة في ظل وجود أشخاص من الفلاحين يقوموا برش البساتين بالأجرة. وإن قبول وتقبل الفلاحين لمبدأ أجرة الأدوات وعدم تبادلها دليل على تنامي الفردية وتجذّرها في مجتمع البحث بالإضافة إلى تطور في القوى المنتجة.

٥- **التعاون في مجالات أخرى:** وتشمل هذه المجالات بعض النشاطات التي تتطلب بعض المهارات والخبرات الخاصة التي تَميّز بعض الفلاحين بإتقانها أكثر من غيرهم، مثل "**تركيب الأشجار**" أو ما يسمى "**التّطعيم**" والذي يرتبط في أحيانٍ كثيرة بأشخاص معروفين من الرجال أو

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النساء على حد سواء، فيقال "**إيده أو إيدها طلْقه**" كما يقول (ج،٤٥سنة)، بمعنى أن الشجرة التي يُطعّمها هذا الفلاح أو تلك الفلاحة ستنمو حتماً.

وبالإضافة إلى المهارة في التطعيم هنالك مهارة أخرى وهي القدرة على تجبير الكسور التي تصيب الحيوانات والأشخاص، مثل: فلاح يُدعى (س،٦٥سنة) ومثل هذه المهارات كانت تُقدّم مجاناً، وتجسيداً لمبدأ "**العونة**" أو الرّوح التعاونية Cooperative spirit، إلا أنها شهدت تراجعاً منذ التسعينات حيث صار (ر) يتقاضى أجرة محددة على كل شجرة يُطعّمها ومقدارها ربع دينار، أما (س) فقد صار يتقاضى أجرة غير محددة مقابل تجبير الكسور، ولكنها تعتمد على ما يسمى "**الإكرامية**". وهذا يجسّد مقولة أحد المبحوثين تعليقاً على هيمنة العمل المأجور بقوله "**كل إشي صار بنباع وبنشرى، ومافيش إشي ببلاش**".

ومن المهم هنا أن نشير إلى ما ذكره Tarawneh من أن الحرّاث كان يعمل في منطقة ديرعلا في موسم الحصاد والحراثة لدى مالكي أراضي آخرين غير الذين يعمل عندهم، وذلك تجسيداً لتحالفات سياسية بين مالكي الأراضي، ولم يكن يتقاضى على ذلك سوى طعامه (Tarawneh, 1989: 65) إلا أن وادي جديتا لم يكن فيه تعاوناً بهذا الأسلوب، لأن مجتمع البحث لم يعرف مثل هذه التركيبة الاجتماعية الاقتصادية، وأعني أن يعمل شخص عند شخص آخر بمهنة حراث، وكأنه جزءٌ من وسائل الانتاج التي يمتلكها شخص آخر هو الشيخ مثلاً، وسيتضح ذلك أكثر في الفصل الخامس.

ويدخل في باب التعاون كذلك تعاون الجيران في تحقيق الأمن والراحة النفسية، والقيام بالأعمال المنزلية وخاصة بين الإناث، ومن ذلك مثلاً ما ذكرته (ب،٤٥سنة) بأنها رافقت جارتها (م،٢٥سنة) عندما ذهبت ال مستشفى بديعة في اربد بقصد الولادة، لتعود (ب) مع زوج(م) بعد توصيل (م)، واستمرت في العناية بها وبطفلها بعد عودتها إلى المسكن، فكانت تعد لها الطعام، وترشدها إلى العناية بمولودها الجديد، ومجالستها حتى لا تخاف من الظلام والوحدة في الليل خصوصاً عندما يذهب زوجها إلى مكان ما. وهذا جعلها لا تتردد في الحديث مع جارها (ي) ومجالسته بل والركوب إلى جانبه في السيارة، فمثل هذه المواقف تتيح للجيران بناء علاقات اجتماعية وثيقة حتى بين الجنسين، فعند مجيء (ي) ووجود (ب) عند زوجته، فإن ذلك يتطلب منه إلقاء التحية عليها والتعبير عن شكره لها، وفي الغالب يتم استخدام عبارات ذات صبغة دينية مثل "**بارك الله فيك**" أو "**الله يقدّرنا على معروفك**"، لترد هي بدورها بأنها لم تقدم إلا "الواجب"، وليقوم بتوصيلها إلى مسكنها بسبب الظلام.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبالمقابل فإنه عندما يأتي عمال الرش مثلاً ويكون زوج (ب) غير موجود فإن (ي) سيقوم بدور جاره، ويتصرف معهم وكأنه مالك البستان، وستقوم زوجة (ب) بإعداد الشاي، وربما الفطور للعمال، ليتناوله منها جارها (ي) بحكم علاقة الجوار الحسنة فيما بينهم. فالجار أقرب اجتماعياً ونفسياً إلى جاره، ومع الأيام تستمر هذه العلاقات وتتعمق بين الجيران، ويتم التعبير عن هذه العلاقات من خلال الزيارات المتبادلة، بل إنه يُعبّر عنها في كثير من الحالات من خلال المصاهرة بين الوحدتين الانتاجيتين المتعاونتين.

المصاهرة كأثر للتعاون والجوار:-

كثيراً ما تُستكتمل العمليات التعاونية بين الجيران ببناء علاقة مصاهرة بين الوحدتين الانتاجيتين المتجاورتين، وخاصة في الماضي، عندما كان الاختيار للزوج أو الزوجة يتم بالأساس اعتماداً على رغبة الأهل. ومن ذلك مثلاً المصاهرة المتبادلة ما بين أسرة (ز) وأسرة (م) والتي حدثت عام ١٩٩٨م. وكذلك ما بين أسرة (ف.ع) وأسرة (أ.ش) عام ١٩٩٨م، وكذلك ما بين أسرة (خ) وأسرة (ع) عام ١٩٩٧م، وغيرها من الحالات الكثيرة.

إن التجاور في البساتين يتيح للجيران فرصة أكبر للتعارف عن قرب، والتعاون فيما بينهم في بعض مراحل العملية الانتاجية كالرش مثلاً، وحتى في الماضي في النقل والتسويق وقطف الثمار، ويترافق مع ذلك تكرار مشاهدتهم لبعضهم البعض، مما قد يشكل نوعاً من التآلف والإنسجام في الأفكار والاهتمامات ما بين الآباء والأمهات، وحتى ما بين الأبناء أنفسهم ومن كلا الجنسين، حيث يوجد هنالك فرص متاحة لإقامة علاقات صداقة أو علاقات عاطفية غير معلنة ما بين الشباب من الذكور والإناث ضمن إطار علاقة الجوار، لتتم ترجمة هذا التآلف والسعي لاستمراره وديمومته من خلال الزواج، والذي هو بنظر المبحوثين علاقة دائمة ومستمرة إلى الأبد، وكما يقول المثل الذي عبر به أحد الفلاحين عن ذلك "**الموت ما بقطع النسب**".

وقد يُعبّر الزواج لدى فلاحي البساتين عن نوع من المصالح الاقتصادية المشتركة التي تحتاج إلى التعزيز حتى تستمر، فقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (أ،٥٧سنة) بأنه كان يتشارك مع (ر،٥٥سنة) في الذهاب إلى عمان؛ للتسويق في السوق المركزي باستخدام (البكب) عندما كان (ز) ينقل المنتوجات، لتسويقها مقابل الأجرة. فكان (أ) يذهب معه ليبحث هناك عن سعر أعلى لمنتوجاته هو ورفيقه (ر) بدلاً من تركها في السوق ليقوم الدّلال أو الوسيط بتسويقها. وكما يقول (أ) في هذا السياق بأن "**اللي بيُحضُر عنزته بتجيب تُوم**"، ليشير إلى أن وجوده في السوق يعني

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنه سيبيع بسعر أعلى، ولذلك كانت أرباحه النقدية أعلى منها في حال عدم ذهابه مع (ر)إلى السوق المركزي. وقد تزوج ابن (أ) من ابنة (ر) عام ١٩٩٥م، وتطورت الشراكة إلى دخول الوحدتين المتجاورتين كطرف واحد في المشاركة في استئجار عدد من البساتين كعلاقة انتاج اجتماعية، والعمل كوحدة انتاجية واحدة.

بروز العمل المأجور ومجالاته:-

سبق أن ذكرنا بأنه لم يكن هنالك عملاً مأجوراً في فلاحة البساتين في وادي جديتا، وتحديداً قبل (٢٠) سنة وأكثر، ثم برز العمل المأجور في مجتمع البحث كأحد عناصر النمط الانتاجي الرأسمالي، ليحل محل "**العونة**" التي كانت تأخذ شكل التبادل بين الفلاحين. ففي الوقت الراهن ازداد الانتاج كماً، وإلى حد ما نوعاً، بازدياد عدد الأشجار ونموها، فمثلاً (ح،٥٢سنة) يذكر بأن بستانه كان ينتج سنة ١٩٧٦م، (٥) تنكات زيت، وفي عام ١٩٩٧م، أنتج (٢٣) تنكة زيت، وباع زيتوناً بمبلغ (٣٠٠) دينار، إذ أن وجود معاصر الزيتون الحديثة ذات التكنولوجيا المتطورة نسبياً عن سابقاتها، ساهم في زيادة الانتاجية، فقد ذكر (س،٦٢سنة) بأن الفلاحين كانوا يتشاركون ويتعاونون في الذهاب إلى المعصرة مع بعضهم في الماضي، وذلك لحاجتهم إلى التعاون في نقل الإنتاج، وقيامهم بعصير الزيتون هناك بأنفسهم بالاعتماد على الحيوانات التي تحرك بعض أجزاء المعصرة القديمة ذات التكنولوجيا المتدنية. ولكن ذلك لم يدم ولم يعد قائماً هذه الأيام، إذ أن تطور القوى المنتجة Productive forces الذي يعبر عنه بتطور التكنولوجيا قد أدى إلى التغير الدائم في العلاقات، حيث صار يذهب كل فلاح ليعصر زيتونه لوحده، ولا عليه سوى توصيل الزيتون إلى المعصرة، بل إن بعض المعاصر ترسل مندوبين لها مع سيارات "بكب" لنقل شوالات الزيتون إلى تلك المعاصر، ليتم عصره بآلات ذات تكنولوجيا حديثه تزيد من الانتاجية.

ولقد انتشرت في مجتمع فلاحي البساتين ظاهرة دفع الأجرة للأبناء على مستوى الأسرة كوحدة إنتاجية، فقد أشار بعض المبحوثين إلى أنهم يدفعون لأبنائهم مبالغ نقدية، وإن كانت رمزية في بعض الأحيان على شكل أجرة، واحتساب ذلك من تكاليف الانتاج المتحركة وقد فسر أحدهم ذلك بأنه في ظل الحاجة إلى المزيد من الأيدي العاملة، فإنه يُفضل أن يدفع الأجرة لأبنائه، ليضاعفوا جهودهم في قطف الثمار، وخاصةً في موسم الزيتون في منتصف شهر تشرين أول، حيث أن قطف ثمار الزيتون يأتي في وقت واحد، بمعنى أن جميع الثمار تنضج مع بعضها، و لابد من الإسراع في قطفها وخاصة في حال بدء سقوط الامطار. ولقد اشار أحد المبحوثين إلى أنه يهدف من دفع الأجرة لأبنائه إلى خلق حب العمل "**والمادة**"، ويقصد النقود وتحصيلها، وقد

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ذكر لي مبحوث آخر يدعى (أ، ٥٢سنة) بأن إصابة زوجته بمرض اعاق قدرتها على العمل قد أدى به إلى الطلب من ابنه (س، ٢٧سنة)، وهو متزوج ويسكن مستقلاً عن أسرة والده، ويعمل حلاقاً في أحد الصالونات، بأن يترك الصالون مؤقتاً؛ ليعمل مع والده في موسم قطف الثمار، فاشترط على والده دفع الأجرة له، فوافق والده على ذلك معتبراً ان إبنه أحق وأولى بتقاضي هذه الأجرة من العمال الآخرين.

وعادة فإن المالك أو المحاصص أو حتى المستأجر للبستان يستأجر عمالاً في حال وجود بعض الظروف التي تتطلب ذلك، فهنالك أحد التجار ويدعى (ي،٤٥سنة) الذي ينشغل بنقل الانتاج وتسويقه بسيارته (البكب)، ويستأجر لقطف ثمار الزيتون الذي يشكل أكبر قطاع للعمل المأجور، **والعمل المأجور هو العامل الحاسم في زيادة أو تقليل التكاليف العامة للإنتاج المستهدف للسوق**، وعادة فإن (ي) يفضل استئجار عماله عربية للقيام بهذه المرحلة من الانتاج، وبأجرة مقدارها (٥٠) فلس لكل كيلوغرام واحد من الزيتون يقطفها العامل عندما تكون الاشجار صغيرة، ومن السهل قطف ثماها، وأجرة مقدارها (٦٠) فلساً عندما تكون الاشجار **(شايحة)** وعالية. لأن قطف ثمارها يحتاج إلى جهود أكبر. ويلتزم العامل بدفع ثمن أي تلف قد يتسبب في حدوثه أثناء قيامه بالعمل، مثل كسر غصن من شجرة، لكن في حال التعاون لم يكن يترتب على أي فلاح معاون لفلاح آخر أية غرامات لو كسر غصناً من شجرة، أو تسبب في تلف جزء من الثمار، لكن من المهم هنا أن نشير إلى ما ذكره Pathak من أن الفلاح في مسار تحوله الاجتماعي والاقتصادي من النمط ما قبل الرأسمالي فإنه يكتسب بعض القيم التي من خلالها يقوم بتعريف نفسه، وتحيد شكل علاقاته مع الآخرين (Pathak, 1994: 72) وتنطبق هذه الفكرة على فلاحي البساتين في وادي جديتا، فالتاجر المدعو (ي) ينظر إلى أن الأشجار رأس مال، وقطف ثمارها استثمار، وعلاقته بالعمال عقداً أو صفقة.

ولا يقتصر العمل المأجور على قطف الزيتون، إذ ذكر مبحوث آخر بأنه استأجر بعض العمال العرب لإزالة ما في بستانه من النبات الشائك المعروف باسم "**العُلّيق**" كما ذكر مبحوث آخر يدعى (غ،٣٢سنة) بأنه استأجر عمالاً لقطف ثمار الرمان؛ لأن زوجته كانت على وشك الولادة، ولم يكن بإمكانه العمل لوحده، فلجأ إلى استئجار العمال. فهذا يدلل على أهمية الدور الانتاجي للمرأة في فلاحة البساتين .

وإلى جانب العمل المأجور فهناك من يصر على العمل بنفسه دون اللجوء إلى العمالة المأجورة، ويعبر عن ذلك أحد المبحوثين بقوله "**مش متخيّل حالي وانا واقف مثل الخواجا، والعمال بتشتغل عندي بالبستان**".

© Arabic Digital Library Yarmouk University

استغلال العمالة الرخيصة:-

لمّا كان الأجر هو العامل الحاسم في زيادة أو تقليل التكاليف العامة للانتاج الموجّه للسوق، فقد برز استغلال الاطفال والنساء بشراء جهودهم في الإنتاج بثمن بخس، إذ امتد العمل المأجور ليشمل مجموعة من النساء يقمن بالعمل مع بعض الوحدات الانتاجية في البساتين بقطف الثمار. فمثلاً إحدى السيدات وتدعى (س،٥٠سنة) تقوم بالعمل مع اسرة (م)، وهي تقطف الزيتون معهم هي وابنها (ك) البالغ من العمر ١٦ سنة بأجرة يومية محددة مقدارها كيلوغرام واحد من الزيت بالإضافة إلى دينارين نقداً لها ولإبنها، وابنها هذا قدترك المدرسة عام ١٩٩٦م بعد أن أنهى الصف العاشر وهو يقول "**أشتغل بدينارين أحسن من كل المدراس، يا زلمه الواحد بالمدرسة مِشْ مْلاقي شِلِن يِشْتري فيه رغيف ساندوش**". فهو يشير إلى تفضيله العمل على الدراسة؛ لأن العمل يوفر له نقوداً تمكنه من شراء بعض حاجاته الاساسية كالغذاء وقد أشار إلى أنه يفضل بيع الزيت الذي سيأخذه هو وأمه ثمناً لجهدهما نظراً لرغبته في "**تحويش**" أي توفير مبلغ من المال "**دفعة أولى**" ليشتري "بكب" ويعمل عليه بالأجرة في البساتين.

ولما كان الأجر هو أكثر العوامل كلفة في الانتاج الموجّه للسوق، فإن بعض المزارعين في منطقة دير علا يلجأون حسبما يذكر Tarawneh إلى تجنب الزراعة المكثفة لانتاج الخضروات، وإنما يقوموا بزراعة أجزاء صغيرة من الأرض ببعض المحاصيل مثل الفلفل، فيتجنبوا بذلك دفع الأجرة للعمال في الإنتاج، وإنما يستثمروا جهود أعضاء الأسرة، ويُصَنّفُ إنتاجهم ضمن النوعيات التي يطلق عليها "صنف أول" إشارة الى جودتها، وبذلك ينقذوا أنفسهم من تكلفة الأجرة، مما يقلل من احتمالية لجوءهم إلى استدانة القروض، ووقوعهم في الاستغلال، (Tarawneh, 1989: 152). ولعل هنالك تشابه مع هذه الحال و في وادي جديتا، وخاصة في أشجار الرمان والتين، حيث أن عددها قليل ويسهل قطف ثمارها ضمن عمل العائلة. كما يمكن تأجيل قطف ثمارها، بعكس أشجار الزيتون التي تمتاز بقصير موسمها زمنياً، والحاجة إلى قطف ثمارها في موعده دون تأجيل.

ولقد أتيحت لي فرصة مقابلة بعض العاملين بالأجرة من الشباب الصغار الذين لا تتجاوز أعمارهم (١٦) سنة، فأشاروا إلى أنهم يعملوا بالأجرة في البساتين في مجالات كثيرة مثل قطف الثمار وسقي البساتين، بأجور يومية تقدر بدينارين يومياً، فجهدهم هنا يتم بيعه كسلعة في السوق.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لقد التقيت مع أحد الشباب يدعى (م،١٥ سنة) الذي يعمل بالأجرة في البساتين، وهو يتمتع بصحة جيدة، وكان يرتدي بنطلون (جينز) بالي، وقميص مبلل بالعرق، وكان يعمل في قطف الزيتون بأجره يومية مقدارها (٣) دنانير لدى أحد المالكين، ويتضمن عمله كذلك حمل أكياس الزيتون على ظهره وتوصيلها الى (البكب)الذي سينقلها الى المسكن، وهو يعمل من الساعة السادسة والنصف صباحاً حتى غروب الشمس، وهذا يعني أن العامل يمضي مايزيد على (١١) ساعة عمل في اليوم دون أن يتقاضى أجراً إضافياً، بل إن أجرته زهيدة. وخلال هذه الساعات الطوال فإنه يقطف مايقارب (٥٠) كيلو غرام من الزيتون حسبما ذكر لي، فإذا افترضنا أن كل (٥٠) كيلوغرام من الزيتون تنتج (١٠) كليوغرام من الزيت، فإن انتاج هذا الشاب يومياً = ١٠كيلوغرام × ٣ دنانير = ٣٠ دينار.

ولو قدّرنا تكاليف نقلها وعصرها بدينارين، فإن المبلغ المتبقي (٢٨) دينار يتقاضى منه هذا العامل الشاب مبلغ (٣) دنانير، ليبقى للمالك منها (٢٥) دينار. وهذه الفجوة بين عوائد الانتاج returns of production المتمثلة في الأجرة wage للعامل، والمنفعة أو الفائدة Profit للمالك، لم تكن لتوجد لولا وجود الملكية الخاصة لوسائل الانتاج، فهذا الشاب يُستغل ليبيع جهده بأجرة زهيدة، ويجد نفسه مضطراً لذلك؛ لأنه لايملك وسيلة الانتاج. وبالمقابل فإن المالك يستولي على قوة العمل باحتكاره لملكية وسائل الانتاج لتعود اليه في النهاية معظم العائدات النقدية للإنتاج.

لكن ما مدى وعي هؤلاء االمستغلّين بذاتهم؟

في الواقع فإن هنالك مستوىً معيناً من الوعي بالذات لدى هؤلاء "العمّال"، فهم يرفضون بعض شروط العمل أحياناً، فمثلاً ذكر أحدهم بأن المالكين وحتى المحاصصين أو المستأجرين يحاولوا استغلال العمال بأقل أجرة ممكنة، لكن هؤلاء العمال يرفضوا بعض العروض المقدمة لهم، ويضعوا في بالهم مستوىً معيناً من الأجرة، لكن لايوجد لهم أي تنظيم أو إطار يُوحّد مصالحهم، ويدافع عن حقوقهم ويواجه استغلالهم، ويُنمّي وعيهم بذاتهم ولذاتهم، ومن هنا فإن المستغلّين لايشكلوا طبقة في مجتمع البحث.

ولايمكن تفسير الاستغلال exploiation ووجوده بمعزل عن **تزايد أعداد العاطلين عن العمل** الذي أشار إليه **Nash والفروقات العالية في الأجور بين العمال على مستوى العالم، وبالتالي فإن العولمة الرأسمالية** حسبما يرى Nash ، وأتفق معه فيما ذهب إليه، **لا تحقق تنمية لشعوب العالم المتخلف، بل إنها زادت من افقارها ومديونيتها وزادت الفجوة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة.** (Nash, 1997, 7-13). وكذلك فإنه تمشياً مع سياسات العولمة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الاقتصادية، وتطبيقاً لبرامج مواجهة المديونية للدولة، **وإلغاء الدعم للمواد الاساسية دون مراعاة لقسوة ذلك على الشعب له دور كبير في الرضوخ للاستغلال** (مـرزوق، ١٩٩٧: ٨٨). وهذا ما يحدث فعلاً في مجتمع البحـث، ففلاحـي البساتين والعمـال المـأجورين فـي وادي جديتـا كمجتمـع محلي ليسوا بمعزل عمـا يجـري فـي الدولـة والمجتمـع الأكـبر مـن رفـع مستمر لاسـعار السـلع، وانتشار البطالة، ورفع الدعم النقدي عن السلع الأساسية، وما إلى ذلك من الظروف التي تجعلهم يرضخون للاستغلال.

وقد أشار Meillassoux (1981: 132-133) إلـى استغلال قـوة العمالـة الرخيصـة cheap labour- power المتمثلـة بالاطفـال والنسـاء فـي المتسـعمرات البريطانيـة فـي جنـوب افريقيا، ومنحهم أجوراً لا توفر لهم مستوى الكفاف.

الرش وعلاقته بالانتاج:-

إن رش الأشجار والثمار في البساتين يشكل عنصراً هاماً مـن مستلزمات الانتـاج، وهـي عملية مستمرة منذ بداية شهر تموز وحتى نهاية الموسم في بداية شهر كانون أول، والذي يختلـف من "**البساتين الفواقا**" عنه في "**البساتين التحاتا**"؛ إذ يستمر في الأولـى حتـى نهايـة شـهر شـرين ثاني، أما في الثانية فإنه ينتهي في أواخر شهر تشرين أول وحتى منتصـف تشـرين ثـاني تقريبـاً، ويكون الرش بمعدل مرة واحدة كل اسبوعين.

ويشير المبحوثون إلى أن هنالك مشكلة تتكرر سنوياً وهي وجود الفئران التي تهاجم ثمار الرمان خاصة، وإذا لم يوضع لها (سم الفئران) فإن انتاج البسـتان مـن الرمـان سيصاب بكارثـة، على حد تعبير أحد المبحوثين؛ لأن الفئران تـأكل الثمـار أو جـزءاً منهـا، بحيث لاتعـود صالحـة للتسويق. ويتم احضار مسحوق سم الفئران من مديرية الزراعـة مجانـاً، أو بشـرائه مـن السـوق، ويتم وضعه بعد خلطه مع بعض حبات القمح في أواني صغيرة يتم تثبيتها على أغصان الاشجار، بانتظار الفئران لتأكل من هذا السم المخلوط بالقمح، مما يعني في النهايـة سـلامة الثمـار، وزيـادة الانتاج، وتحقيق المزيد من الارباح.

ولابد كذلك مـن رش الرمـان: الاغصـان والثمـار ضـد التسّوسّ والتلـف الـذي يصيبهـا، وهنالك عدة أنواع من الأدوية التي تستخدم في الرش، فهناك مادة سائلة تسـمى (كـاراتي) وهنـاك نوع آخر على شكل مسحوق يسمى (لانيت) ونوع ثالث يسمى (دورسبان)، وكلها أنواع جيدة، إلا أن أفضلها وأكثرها تأثيراً حسبما يفيد أحد المهندسين الزراعيـن، وأكـدّ ذلـك بعـض الفلاحيـن هـو

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النوع المسمى (كاراتي)، كما أنه الاغلى سعراً ويعتمد عليه أغلب الفلاحين، ويبلغ سعر العبوة الواحدة منه والتي تتسع لتراً واحداً (١٨) ديناراً.

وأما بالنسبة للتين فإنه في بعض الأحيان يصاب بما يطلق عليه الفلاحون "**الجرب**" وهو عبارة عن حبيبات صغيرة بحجم حبة العدس تظهر على الأوراق والثمار، وتؤدي إلى عدم نضجه ويستخدم لمكافحته بل ويفضل النوع المسمى "لانيت"، وهو مسحوق ضمن عبوات خاصة تحوي كل علبة ١٠٠غم وسعرها (دينارين)، أما عن سبب وجود هذا المرض فيشير أحد المبحوثين إلى أنه يعود إلى نقص المياه التي تروي البساتين، كما تعاني ثمار التين من انتشار حشرات صغيرة تسمى (الفسفس) والتي تفسد ثمار التين وتجعلها غير صالحة للأكل إذا لم يتم مكافحتها بالرش وذلك يعني عدم تسويقها وبالتالي خسارة نقدية.

وهناك أسلوبان يستخدمان في عملية الرش، وهما:-

١) الرش الآلي. ٢) الرش اليدوي

وإلى جانب الرش الآلي واليدوي، هنالك من يلجأ إلى أساليب أخرى أقل تطوراً مثل استخدام الدخان الناجم عن اشعال النار في "**الموقدة**" أو "**الفرن**"؛ لمكافحة وطرد الحشرات التي تهاجم البساتين وتؤذيها. وهو أسلوب فعّال ويستخدمه عدد من المبحوثين ويفضلونه على الرش بمواد كيماوية، إلا أن من سلبياته أنه يؤذي الثمار أحياناً من خلال اكتسابها لوناً يميل إلى الاسوداد ووجود احتمالية إشعال الحرائق وايذاء الأشجار، **وبذلك يتراءى لنا مظهراً آخر للتمفصل مابين نمطين انتاجيين أحدهما يستخدم تكنولوجيا متطورة، والآخر يستخدم تكنولوجيا بسيطة.**

التكاليف المتحركة للإنتاج *Current costs of production*

ويقصد بها تلك النقود التي تدفع ثمناً لبعض متطلبات العملية الانتاجية من رش وقطف ثمار ونقل وتسويق وهي تشمل:

١- **تكاليف الرش:** وتشمل شراء المواد الكيماوية المستخدمة في الرش سواء أكانت لرش الرمان أو التين من مواد سائلة أو على شكل مساحيق، وهي تختلف من بستان لآخر، ومن فلاح لآخر، إذ يعتمد ذلك على عدد الأشجار وموقعها الجغرافي، وعد مرات الرش والنسبة التي يخلط فيها الماء مع المادة الكيماوية المستخدمة زيادة أو نقصاناً، وكذلك رش البساتين المجاورة أو عدم رشها، فقد سبق أن ذكرت بأن المادة الأكثر استخداماً لرش الرمان هي مادة سائلة تسمى (كاراتي) وسعر العبوة التي تستع للتر واحد يبلغ (١٨) دينار ، وتخلط بنسبة (٠,٥) لتر: (٥)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تنكات ماء، أي بمعدل (٠,٥) لتر لكل ١٠٠ لتر ماء، وعلى افتراض أن أحجام الاشجار متقاربة، والمسافات بينها متساوية في البساتين المتجاورة- فيحتاج كل دونم إلى (٥٠) لتر ماءيباً بمعنى أن الرشة الواحدة للدونم الواحد تبغ تكلفتها (٤,٥) دينار لكل دونم في المرة الواحدة.

وبما أن موسم الرش يقارب ثلاثة أشهر بالمتوسط، وفي الشهر الواحد من (٣-٤) رشات فإن تكلفة رش الدونم الواحد خلال الموسم=

٣ رشات × (٤,٥) دينار / دونم ×٣ أشهر =(٤٠,٥) دينار.

ويمكن أن تزداد أو تتناقص هذه الارقام في حال القيام برش البستان المجاور أو عدم رشه؛ لأن عدم رشه يعني زيادة الحشرات، وبالتالي لابد من زيادة النسبة في المواد السامة أو زيادة عدد مرات الرش، كما أن **"البساتين التحاتا"** بشكل عام، وبسبب ما سبق أن أسميناه "المستنقعات الصغيرة" بالإضافة إلى قلة المياه، فإن ذلك يشكل بيئة ملائمة لتكاثر الحشرات بشكل أكثر مما يستدعي زيادة عدد مرات الرش ونسبه.

٣)تكلفة التنقل والمواصلات:-

يلجأ معظم الفلاحين إلى استخدام وسائل حديثه للمواصلات والتنقل، وإلى جانب استخدام وسائل تنقل حديثة، هنالك من يستخدم وسائل غير متطورة تتمثل في الحمير والخيول وتفضيلها على السيارات؛ لأنها أقل تكلفة وتفي بالغرض، (لاحظ الصورة رقم"٥") بل إن الحمير والخيول كثيراً ما تكون هي الوسيلة الاكثر ملاءمة من السيارات في المشي بطرق ترابية وغير معبدة بحيث تتعثر فيها السيارات.

وفي الحقيقة فإن من الصعب حساب هذه التكلفة بدقة لأنها ليست ثابتة، وتختلف من وحدة انتاجية لأخرى باختلاف عدد أعضاء الوحدة الإنتاجية واختلاف "المشاوير". لكن اعتادت معظم الوحدات الانتاجية على استئجار (بكبات) تقوم بنقل جميع اعضاء الوحدة الانتاجية، وأحياناً اشتراك وحدتين انتاجيتين في استئجار (بكب) وتقاسم الأجرة فيما بينهما. وعادة فإن أجرة البكب من بلدة جديتا إلى البساتين تبلغ ديناراً واحداً وكذلك من البساتين الى جديتا، ففي حال تقاسم وحدتين انتاجيتين لأجرة (بكب) ذهاباً وإياباً يعني دفع دينار يومياً. ولو حاولنا احتساب أيام العمل التي تنزل فيها الوحدة الإنتاجية بكاملها إلى البساتين فهي تقريباً من شهر ونصف إلى شهرين ونصف. وبالمتوسط شهرين أي بمعدل (٦٠) يوماً.

(٦٠) يوم × (دينار) = ٦٠ دينار أجرة التنقل والمواصلات للوحدة الانتاجية الواحدة في الموسم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣) المخصبات وتكلفتها fertilizers

يستخدم عدد قليل من الفلاحين مخصبات كمستلزمات لزيادة الانتاج وتحسينه، ويفضل عدد من الفلاحين عدم استخدام هذه المواد وخاصة مخلفات الحيوانات والدواجن؛ لأنها تشكل بيئة ملائمة لتكاثر الحشرات، ومايمكن أن ينجم عن كثرتها من إلحاق الأذى بالبساتين.

وقد اشار أحد المبحوثين إلى أنه يستخدم مخلفات الدجاج كسماد لأشجار الرمان، أما اشجار التين فلايستخدم لها هذه المخلفات. ويقوم بشراء هذه المخلفات "زبل الدجاج" من بعض المزارع القريبة وبسعر (٠,٥) دينار لكل كيس يزن حوالي (٥٠) كغم. ويقوم باستخدامها عند اقتراب انتهاء فصل الشتاء؛ لأنه يشكل بداية نمو الاوراق والأزهار، كما أن استخدامها في الصيف يترك آثاراً سلبية على الانتاج، لأنها تعطي حرارة زائدة تلحق الضرر بالأشجار، وكما يقول مبحوث آخر "**بِتِحْرق الشجر قبل الثمر**" وهو يضع لكل شجرة (١٠) كيلوغرام مرة واحدة.

ولو افترضنا أن الدونم الواحد يضم من (٨٠-١٠٠) شجرة فإن ذلك يعني في المتوسط:

٩٠ شجرة × ١٠ كغم = ٩٠٠ كيلوغرام / دونم.

٩٠٠ كغم ÷ ٥٠ كيلوا غرام = ١٨ كيس من مخلفات الدجاج

١٨ كيس × ٠,٥ دينار ثمن الكيس الواحد = (٩) دنانير للدونم الواحد في الموسم الواحد.

ومن المهم هنا الاشارة إلى أنه لايوجد في مجتمع فلاحي البساتين من يستخدم الهرمونات لتسريع نضج الثمار أو زيادة الانتاج إلا أن هنالك أساليب أخرى مثل "التزييت".

٤) تكاليف النقل والتسويق:-

تشكل هذه التكاليف جزءاً مهماً من التكاليف المتحركة للانتاج، وخاصة في حال التسويق الى الاسواق المركزية لحساب الفلاح نفسه. أما في حال شراء التجار لهذه المنتوجات من الفلاحين مباشرة فإنهم يقوموا بتسويقها بأسلوب "**المفرق**" أو بأسلوب "**الجملة**". من خلال علاقاتهم مع بعض التجار الآخرين.

ومن التكاليف المهمة هنا:-

١) مايعرف بـ "**ثمن الفارغ**"، ويقصد به ثمن "**البكسات**" المخصصة لحفظ الثمار ونقلها، وهي تباع بسعر (١٥) قرش للبكسة الواحدة كبيرة كانت أو صغيرة حيث يبيعها التجار للفلاحين.

٢) **أجرة نقل "البكسات"**: والتي تبلغ (١٠) قروش لكل "**بكسة**" وبالتالي فإن تكلفة ثمن "**البكسة**" وأجرة نقلها تبلغ (٢٥) قرش، أما إذا كان التاجر يشتري الانتاج لحسابه، فإن عليه أن يحضر "**البكسات**"، ويوزعها على عملائه مجاناً.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٣) **ضريبة الكمسيون**: وتبلغ قميتها ٥٪ من أثمان المتوجات بعد بيعها في السوق المركزي، لتذهب لحساب أمانة عمان، أو بلدية الزرقاء أو بلدية إربد، ويعتمد ذلك على السوق الذي تباع فيه هذه المنتوجات.

٤) **أجرة الدلال** الذي يتولى بيع المنتوجات في السوق، وهي تختلف من وسيط لآخر في السوق، إلا أنها تقارب نسبة ٥٪ من ثمن الإنتاج.

فعندما ينتج البستان – أي بستان– في يوم ما مثلاً (٥٠) "**بكسة**" فإن تكاليف النقل والتسويق :–

١) ٥٠ × ١٥ = ٧٥٠ قرش ثمن الفارغ

٢) ٥٠ × ١٠ = ٥٠٠ قرش أجرة نقل.

٣) ٥٪ من ثمن (٥٠) بكسة بعد تسويقها (ضريبة كمسيون).

٤) ٥٪ من ثمن (٥٠) بكسة أ"جرة الدلال".

مجموع تكلفة النقل والفارغ = ٥٠٠ + ٧٥٠ = (١٢٥٠) قرش.

فإذا تم تسويق البكسة بدينار مثلاً فإن "ضريبة الكمسيون".

=٠,٠٥ × ٥٠ = ٢,٥ دينار.

أجرة الدلال ٥٪ أيضاً = ٥٠ ×٠,٠٥ = ٢,٥ دينار

تكلفة نقل وتسويق (٥٠) بكسة بسعر دينار يبلغ (١٧,٥) دينار.

وجدير بالذكر هنا أن التاجر يشتري البكسة بـ (٥) قروش، ويبيعها للفلاحين ب (١٥) قرش بمعنى أن التاجر هو المستفيد الاكبر من الانتاج كما سيأتي لاحقاً عند الحديث عن التمايز بين الفلاحين والتجار.

أساليب زيادة الانتاج والقيمة المضافة:–

يستخدم الفلاحون في مجتمع البحث اساليب متعددة سعياً لزيادة كمية الانتاج مثل مخلفات الدجاج، بالاضافة إلى أساليب أخرى تساهم في زيادة القيمة المضافة دون تحسين في النوعية أو زيادة الكمية المنتجة، وذلك بهدف منافسة التسويق والانتاج قبل الآخرين. وأهم هذه الأساليب:

١) "**التزييت**"، وهو أسلوب يهدف الى تسريع نضج ثمار التين؛ لتسويقها قبل موعد نضوجها الحقيقي مما يكل امكانيةً لتسويق المنتجات في ظل وجود عرض قليل وطلب كبير، وبالتالي الحصول على سعر أعلى يشكل قدراً أكبر من فائض القيمة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالنضج الطبيعي لثمار التين وبدون تسريع نضجها يكون عند منتصف شهر آب، كما أن النوع الذي ينضج أولاً هو مايعرف "بالتين السوادي" لكن "**التزييت**" قد جعل النوع المسمى "**الحماضي**" ينضج قبله لأنه النوع الوحيد الذي يتم تزييته؛ بسبب كثرة الطلب عليه في السوق، وقد ذكر لي أحد التجار في البساتين بأنه قام بنقل أول سيارة الى السوق في هذا الموسم بتاريخ ١٩٩٨/٧/٢٢، على الرغم من أنه يفترض تسويقها على أساس نضوجها الطبيعي في منتصف شهر آب، إلا أنها كانت من الصنف المزيّت.

ومن المهم ذكره هنا أن هذا الأسلوب يدخل في سياسة العولمة الرأسمالية التي جعلت الفلاح كما يقول (لاتوش) يأخذ في الاعتبار كمية النقود التي يُحصّلها، ولايبدو مهتماً بالكيفية، وأن القيمة الوحيدة هي المال والربح (لاتوش، ١٩٩١: ٥)، خاصة وأن لهذه العملية آثاراً سيئةً في بعض الأحيان على طعم ثمار التين، إذ يؤدي الى اصفرار في لونها من الداخل، وفي حال زيادة كمية الزيت المستخدم الذي يعني المزيد من النضج المبكر (المُسرّع)، فإن تناوله يؤدي إلى الاصابة بالمغص والإسهال.

ولقد اشار **سورج وويلكنسون إلى أن العولمة الرأسمالية قد أدت إلى تعمق الاستخدامات الكيمائية، بل الافراط في استخدام الهرمونات والمضادات الحيوية التي تهدف الى زيادة الانتاج وتحقيق الارباح الفاحشة Superprofits**، (سورج، ويلكنسون، ١٩٩١: ٨) وتدخل عملية "**التزييت**" ضمن هذه الاستخدامات من حيث الهدف، الا أن مستخدمي هذه الاساليب يطلقون على "**التزييت**" مصطلح "**التطعيم**"، بعدما صار يأتي بعض الزبائن لشراء التين ويشيروا إلى أنهم لايريدوا تين "**مُزيّت**"، وبات بعض الفلاحين ينشر فكرة أن هذا الصنف من ثمار التين لايمكن أن تصاب بأي نوع من الفساد من داخل الثمار، وأنه يشكل حماية لها من بعض أنواع الكائنات الحية الدقيقة.

كيفية التزييت:-

لابد للقيام بهذه العملية من احضار نوع معين من الزيت، ويفضل "زيت الحلاوة". إذ أنه الأفضل من بين الأنواع الاخرى كزيت الزيتون أو زيت الذرة مثلاً؛ لأن زيت الحلاوة لايترك آثاراً على الثمار من حيث اللون مما يعني ظهور الثمار وكأنها نضجت بشكل طبيعي. ثم القيام بتعبئة سرنج (syring) من الزيت ثم البدء بوخز حبات التين في منتصف أعلى تجويف الحبّة وهي ما تعرف بـ "العين"، وعادة يتم اختيار الثمار الأكبر حجماً لتزييتها وأما عن كمية الزيت فإن (٥)سم٣ من الزيت تكفي لتزييت مايقارب (١٠٠) حبة تين.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولابد لنجاح العملية من ترك مسافات بين الثمار التي يتم تزييتها، اذ أن تزييت جميع حبات التين التي يحملها غصن واحد يؤدي الى اضعافه وذبول ثماره؛ لأن حاجة الثمار إلى الغذاء تتضاعف بعد التزييت، وقد يحدث بينها صراع للحصول على الغذاء.

وبعد الانتهاء من التزييت، ماهي الا فترة زمنية تستغرق (٥) أيام حتى تظهر حبة التين بحجم أكبر بكثير عما كانت عليه قبل التزييت، وتبدو عليها بعض التشققات من الخارج، وهي ماتعرف لدى الفلاحين بقولهم "التين **مُشَطَّب**" وهي علامة النضوج.

وأما ثماره من الداخل فيبدو لونها مشابهاً للثمار الطبيعة، وهو اللون الاحمر المختلط بخطوط بيضاء، إلا أن طعمه أقل حلاوة وكما يسميه الفلاحون "**فاتخ**".

وهنالك من فلاحي البساتين من يحاولون التظاهر بعدم استخدامهم اسلوب "التزييت" وتعمّد اخفاء ذلك؛ تجنباً للانتقادات التي يمكن أن تطالهم من الفلاحين الآخرين، وتحديداً الذي يرفضون هذه الاستراتيجية. فأحد المبحوثين ويدعى (ع، ٧٢ سنة) يقول عن المزيتين: "**الله لايبارك لهم**"، كما أن (أ) يتهمهم بـ "**الغش وقلة الدين**" وإن شخصاً يدعى (هـ، ٤٢ سنة) كان قد ذكر لي جيرانه بأنه من أشهر مستخدمي هذا الاسلوب، ولكنه تظاهر لي برفضه الشديد للتزييت، وفسر هذا الرفض الخادع بأن في التزييت "**مضرة للناس**".

ولقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ف، ٢٤ سنة)، عن والده أنه يخفي قيامه بالتزييت أمام الجيران؛ مفسراً ذلك بانه لايريد أن يشجع الجيران على التزييت؛ لتبقى فرصته في التسويق أكثر حسب مبدأ العرض والطلب. وبالمقابل فقد رأيت شخصاً كان يمسك بيده (سرنج) ويقوم بالتزييت، والى جانبه زوجته وهي تمسك بـ (سرنج) آخر. وكان ذلك في وقت الظهيرة، بمعنى القيام بذلك على مرأىً من الناس ومسمع.

وبالمقابل فإن هنالك عدد من الفلاحين الذين لايستخدموا التزييت وذلك في ظل الطلب الكبير على منتوجاتهم "**غير المغشوشة**"، وللمعايير الدينية دور كبير في هذا المجال إذ يعتقد هؤلاء أن التزييت "**حرام**".

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن المهم هنا أن نشير إلىأن بعض المالكين يفضلون محاصصة أو تأجير أشخاص ممن يستخدمون التزييت؛ لأنهم يحققون لهم ارباحاً أعلى ممن لايزيتوا، وهذا ينعكس سلباً على من لايستخدموا "التزييت" إذ تقل فرصهم في المحاصصة أو استئجار بساتين ذات انتاج جيد، كما أن المبلغ المدفوع أجرةً للاستئجار يزداد في حال وجود التزييت، وبالتالي تقل ارباح غير المزيتين.

التزييت ومقداره النقدي في حساب الفرق في الارباح:-

يشير أحد المبحوثين إلى أنه ربح في هذا الموسم من بستانه الذي يبلغ مساحته دونم واحد تقريباً مبلغ (٨٠٠) دينار، ولو قام بالتزييت لزدات أرباحه بما لايقل عن (٢٠٠) دينار وهو يعقد العزم على التزييت في العام القادم، كما أن نقص المياه قد ألحق به الضرر، حيث أدى الى عدم نضج قسم كبير من الثمار التي بقيت غير ناضجة (**فج**) والتي يقدر ثمنها بحوالي (١٠٠) دينار. وإن استخدام التزييت سيؤدي الى نضج ثمار التين مبكراً، فنسبة الزيادة هي من ٢٠-٢٥٪ تقريباً وهي تمثل الفرق مابين الحالتين :التزييت مقابل عدم التزييت.

٣) إخفاء الثمار الرديئة أثناء تعبئتها:-

اعتاد بعض الفلاحن عندما يقوموا بتعبئة المنتوجات وخاصة ثمار التين وضع طبقة من أوراق التين في "قاع البكسة" أي تحت الثمار، وطبقة أخرى على "**وجه البكسة**" بالأضافة إلى طبقة ورق بين كل طبقة وأخرى من الثمار وكان الهدف في الماضي هو المحافظة على الثمار من الغبار بالاضافة إلى أن ذلك يشكل مظهراً جمالياً. وكما يقول أحد الفلاحين مبرراً ذلك "**العين اللي بتشتري**"، الا أن ذلك تحول فيما بعد ومنذ بداية التسعينات لدى معظم الفلاحين الذين تبنوا قيم السوق ليُشكّل ذلك وسيلة للغش في اخفاء الثمار الردئية ووضعها من الأسفل، وبيعها على اساس أن "قاع البكسة" مثل وجهها، ليحصلوا بذلك علىاسعار اعلى مما تستحق.

ومن الأساليب كذلك ما ذكره أحد المبحوثين ويدعى (غ، ٣٧ سنة) وهو قطف ثمار التين في مساء اليوم السابق لصباح يوم التسويق، للتمكن من قطف أكبر كمية ممكنة وتقديمها على أنها قطفت في ذلك الصباح، وهوينعكس سلباً على النوعية، إذ تصاب الثمار بنوع من الذبول، وتغير في اللون، لكنهم يخفون ذلك بوضع هذا التين "**البايت**" من الاسفل بحيث تصعب ملاحظته.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما التجار الذين يشتروا هذه المنتوجات فقد لجأوا إلى مواكبة ومواجهة هذه الأساليب بالطلب من الفلاحين عدم وضع هذه الأوراق، ورفضهم شراء أي "بكسة" فيها أوراق تين، كما أنهم لجأوا إلى احضار "بكسات" صغيرة لا تتسع الواحدة منها الا لطبقتين حيث تزن (٢,٥) كغم بعد أن كانت تزن ١٢ كغم تين + ورق؛ وذلك لتسهيل امكانية فحص هذه الثمار بسهولة.

وبالمقابل فهناك من الفلاحين من لا يلجأ الى هذه الاساليب من منطلق جودة ثماره التي ينتجها بعكس الفلاحين الذين يستخدموا هذه الاساليب ليس بقصد الغش وايقاع المضرة بالمستهلكين، وإنما لأنهم تبنوا الكثير من قيم السوق التي هي الاطار الاوسع الذي يجعل الفلاحين غير آبهين لصحة وسلامة المستهلكين بعكس الحال لو كان الانتاج موجهاً للاستهلاك الذاتي أو هدية لقريب أو صديق، فكما يقول أحد هؤلاء الفلاحين الذي أشار إلى أنه كان يغش في الانتاج انتقاماً من التجار الذين يستغلوا الفلاحين ويسلبوهم حقوقهم وبالمقابل نجد أن هذا المبحوث "الغشاش" يؤكد أنه عندما يرسل هدية من منتوجات البساتين الى صديق أو قريب فإنه يختار أفضل الثمار وأجودها حتى لو لجأ إلى شرائها من الفلاحين الآخرين.

٣) العمليات التحويلية للإنتاج:-

ويقصد بها تلك العمليات البسيطة في تقنيتها لتحويل منتوجات البساتين من ثمار الرمان والتين الاقل جودة والتي لايمكن تسويقها، أو إذا تم تسويقها فإن مردودها النقدي لايغطي تكاليفها حيث أكد لي بعض الفلاحين بأنهم قاموا بارسال بعض المنتوجات الى السوق المركزي في عمان، وتفاجأوا بأنها لم تحصل سوى "ثمن الفراغ" وضرائب السوق، ولم يأخذ صاحب السيارة التي نقلتها الا نصف أجرته المستحقة، وهو يطالب بالنصف الآخر، وبالتالي فهي لم تغطي تكاليفها (تكاليف الانتاج+ تكاليف التسويق والنقل). ولذلك لجأت معظم الوحدات الانتاجية الى استخدام بعض العمليات التحويلية المشار اليها وهي:-

أ- عمل "دبس الرمان"

يتم اللجوء إلى هذه العملية؛ لمحاولة خلق فائض قيمة لثمار الرمان الحامض الفاسدة والتي تكون مصابة بالتسوس أو التلف، وهو لا يدخل ضمن علاقات الانتاج الإجتماعية مهما كانت وعادة تقوم وحدة الانتاج وفي الغالب هنا تكون العائلة، ويشارك الرجال في ذلك اليوم بعدما كان عملاً أنثوياً الى حد كبير، وكان يُوجّه للاستهلاك الذاتي،أما اليوم فقد صار يوجه للسوق، وبذلك لم يعد هذا العمل مقتصراً على الاناث، ويتم القيام بهذه العملية كمايلي:-

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١. تجميع كومة الرمان وتقسيم كل حبة رمان الى قسمين.

٢. قيام اعضاء الوحدة الانتاجية بعصرها يدوياً، ووضع العصير في اناء.

٣. وضع العصير في طنجرة، ويتم طبخه على نار هادئة الى أن يتحول إلى مادة تشبه رب البندورة، إلا أنها أكثر سيولة، ثم تُترك إلى أن تبرد، لتوضع بعد ذلك في أواني مناسبة من الزجاج؛ ليتم تسويقها بالجملة أو "**بالمفرق**" حيث يصل سعر الكيلوغرام الواحد منها (٣) دنانير تقريباً. وإن كل (٧) كيلوغرام من الرمان الحامض تنتج (١) كغم من "**الدبس**" مع العلم بأن الرمان المستخدم لهذه العملية ليس له مردود نقدي في حال تسويقه وليس عيله طلب، أما القشور الناتجة من عملية العصر فيتم تجميعها وبيعها لتستخدم في انتاج الأصباغ، ويحضر بعض الاشخاص من خارج مجتمع البحث لشرائها.

ب. عمل القُطين:-

ويقصد به ثمار التين الاقل جودة، والتي ليس لها مردوداً نقدياً جيداً، وتتم العملية بتنشيفها من خلال وضعها في مكان مشمس الى أن تجف وتتحول إلى "قُطين" ويتم تخصيص جزء منه للاستهلاك الذاتي في الشتاء عندما ينتهي موسم التين، وتسويق الجزء المتبقي منه، وأما عن أسعاره فإن الكيلوغرام الواحد من "القطين" يباع ب (٦٠) قرش تقريباً، وهي نتاج ٣ كيلو غرام من ثمار التين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع

النشاطات الاقتصادية الأخرى والتسويق

مقدمة:-

إن تحول اقتصاد فلاحي البساتين في وادي جديتا من اقتصاد الكفاف إلى إقتصاد السوق، قد أدى إلى تغير واضح في سلوكياتهم الاجتماعية والاقتصادية، مثل البيع باستخدام "البسطات"، وكذلك الخداع في تصريف المنتوجات الرديئة؛ لتحقيق ربح نقدي أعلى، وامتد التغير ليشمل تسويق بعض أنواع من النباتات لم تكن تباع أو تشترى في ظل اقتصاد الكفاف. كما أن مجتمع البحث لايزال يحتفظ ببعض الحرف القديمة، مثل صناعة السلال، والسلالم الخشبية والتي تقوم على الاستفادة من موارد البيئة المتاحة.

الانتقال من اقتصاد الكفاف الى اقتصاد السوق:-

لقد اتجه فلاحو البساتين لتسويق منتجاتهم من الرمان والتين والمشمش والليمون منذ الخمسينات من هذا القرن، ولقد جاء هذا التوجّه المبكّر إلى التسويق من منطلق أن المنتوجات التي كان يتم بيعها تمثل سلعاً غير أساسية، فالرمان مثلاً غير أساسي بالمقارنة مع القمح أو الحبوب بشكل عام. ولكن التحوّل الذي طرأ على هذا التوجه نحو السوق يرتبط إلى حد كبير بتطور القوى المنتجة productive forces وإمكانية تصدير المنتجات إلى دول مجاورة مثل السعودية ودول الخليج العربي، مما عمق الإنخراط في السوق بعدما كان التسويق يعتمد على نقل المنتوجات على الدواب لبيعها في فلسطين، ولم يكن يشترط بيعها نقداً وإنما كانت هنالك **مقايضة** Barter باستبدال المنتجات بسلع أخرى كالحبوب مثلاً: أما اليوم فهنالك إصرار على الثمن النقدي Cash crops، فسعي الفلاح إلى استبدال منتجاته بسلع أخرى والذي يسمى المقايضة يمكن القول عنه بأنه يدخل في **اقتصاد الكفاف** Subsistence Economy، ولا يدخل ضمن اقتصاد السوق. ولعل ذلك يعد مؤشراً على دخول الرأسمالية إلى مجتمع البحث، والذي يتضمن إزالة الاساس الذي قام عليه اقتصاد الفلاحين، وهو الحصول على المعيشة والفكرة المهمة هنا هي حسبما يذكر **عوده**، بأن التوجه إلى السوق، والتحول من اقتصاد الكفاف إلى اقتصاد السوق لايعني فقط التوجه لبيع فائض الانتاج، وإنما يستند إلى بيع السلع واستبدالها بالنقود، وليس بسلع أخرى (عوده، ١٩٨٣: ٨٥).

أما تسويق النباتات وهي: "**الحُمّيض**" و"**السَّلقلق**" و"**النعنّع البرّي**" التي سيأتي الحديث عنها فهو نشاط جديد ومنذ بداية التسيعنات فقط بعدما كانت تسهتلك محلياً ولاتباع ولا تُشترى. أما اليوم فصارت تباع وتُشترى نقداً. وأود أن أشير هنا إلى أنه حتى أولئك الذين كانوا يذهبوا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لبيع المنتوجات من الرمان والتين وغيرهما لم يكن بعضهم يتقن ذلك النشاط؛ لأن اقتصادهم هو **اقتصاد الكفاف**، إذ أن شَكْلَ الاقتصاد يحدد مسارات الجوانب الثقافية الأخرى. فقد ذكرت لي إحدى المبحوثات وتدعى (ع،٤٥سنة) بأن إحدى زوجات الفلاحين ويدعى (ز، متوفي) وكان رجلاً كريماً وفقير الحال، فذهبت زوجته الى **(دار أبوها)** و "**شحدت**" أي استعارت له حماراً، "**حمل تين**" من عندهم ليذهب ويبيع التين في الغور، فذهب الرجل، وعندما وصل "**هجمن عليه هالنسوان، وكل وحدة تطلب منه شوية تين على أساس إنها بتتوحم**" لدرجة أنه وزّع كل مابحوزته من التين عليهن مجّاناً، مما دفعه إلى بيع الحمار "**عشان يشتري كاز وحلاوة وشغلات لازمة للدار، وسحب حاله وروّح على مرته**"، والتي لم يرق لها ما فعل زوجها، إذ أنها احتارت ماذا تفعل، وكيف تتصرف مع أهلها أصحاب الحمار، وقد استعارته من عندهم على أمل أن يرجع الحمار "**سالم غانم**" وعندما عرف أهلها بما حصل كان موقفهم أن انبسطوا وقالوا عنه "**زلمة شهم وكريم**".

كان ذلك في الخمسينات، أما في هذه الايام فإن مثل هذه المواقف لاتحدث على الإطلاق؛ بسبب التحول الاقتصادي الاجتماعي في التوجّه نحو السوق والاستبدال النقدي Money exchange للمنتوجات، والذي يمكن النظر إليه على أنه توسع رأسمالي.

ويذكر بعض المبحوثين من المحاصصين بأنهم يدفعون ثمن ثمار الرمان التي قد يقدموها لبعض الضيوف، أو تلك التي يرسلوها على شكل هدايا لبعض الاصدقاء أو المعارف، وحتى مالك البستان فإنه إذا أراد أن يأخذ شيئاً من الثمار فإن المحاصص يأخذ مقابلها حسب الحصة المتفق عليها اساساً في علاقة الانتاج الاجتماعية ويبيعها، وهذا يناقض مع ما ذكرته (الصعبي) حول واقع الفلاحة في قرية "اسعره" إذ أن الفلاحين هناك وبعد أن ينتهوا من انتاج محاصيلهم المختلفة، تقوم كل أسرة بتقسيم ما أنتجته إلى ثلاثة أقسام، قسم للاستهلاك الاسري، والجزء الثاني يتم تخزينه كبذار للموسم القادم، أما الجزء الثالث فيتم بيعه في السوق. (الصعبي، ١٩٩٧: ٥١). أما انتاج فلاحي البساتين في وادي جديتا فيوجه معظمه إلى السوق.

وأما بالنسبة للنباتات التي سبق ذكرها وتسويقها، فقد كانت تُستهلك ذاتياً لتشبع حاجة الفلاحين للغذاء بطريقة مباشرة (وليس أدوات مثلاً)، ولكن في ظل تحلل البنى الفلاحية تحت تأثير انتشار الرأسمالية ودخول قيم السوق إلى مجتمع البحث وتحول قسم من الفلاحين إلى تجار ومتنافسين على الانتاج، وتزايد استغلال مصادر الارض وبفعالية متزايدة، فإن هنالك اقبال

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

متزايد على العمل في جمع والتقاط هذه النباتات وبيعها الى تجار أو تسويقها؛ بهدف خلق المنفعة بالاستبدال النقدي Mony exchange.

جمع والتقاط النباتات:-

إن أهم مايميز جمع والتقاط النباتات كنشاط اقتصادي، هو عدم ارتباطه بأية علاقات انتاج اجتماعية كالمحاصصة أو الاستئجاربين مالك البستان وجامع أو ملتقط لهذه النباتات؛ نظراً لعدم ارتباط هذه النشاط بالملكية الخاصة أصلاً، بمعنى أن جامع أو ملتقط هذه النباتات يجمعها من بستانه الذي يملكه وله حق التصرف فيه، أو من بستان استأجره أو حاصص فيه، وإنما هنالك إلى حد كبير نوع من المشاعية في هذا النشاط.

وإضافة إلى ماسبق فإن الجامعين لها لا يمثلوا أي فئة إجتماعية محددة، كأن يكونوا فقراء جداً، أو أميين أو كباراً في السن، أو حتى من الذكور أوالاناث، إنما هنالك تعدداً وتنوعاً في هذه العناصر. هذا وقد أشار Pathak إلى اقتصار ممارسة جمع بعض النباتات مثل أوراق التندا tenda leaf على النساء والأطفال في قرية Mathwad في الهند. (Pathak, 1994: 100). ولقد أتيحت لي فرص مقابلة مبحوثين يمثلون كل هذه الفئات، ومن ذلك مثلاً أن هنالك ثلاثة شباب حاصلين على مؤهلات جامعية من إحدى الجامعات الاردنية، ويعتنقون ايديولوجية تمنعهم من العمل في وظائف حكومية -مع أنها غير متاحة لهم- وذلك لاعتبارات دينية ترى بأن لايجوز العمل في مؤسسات تتعامل مع البنوك "الربوية"، ولذلك فقد اتجهوا إلى الاعمال الحرة ومنها استئجارهم البساتين، والعمل فيها كوحدة إنتاجية واحدة، وهم يعملوا في جمع والتقاط هذه النباتات وتسويقها، لكن لكل واحد منهم إنتاجه الخاص، لكنهم يتعاونون فيما بينهم في الذهاب إلى الاماكن اتي يبيعوا فيها، والنزول إلى الوادي كمجموعة ويفسروا أحدهم ويدعى (الشيخ ع) بأن التقاط النباتات لايحتاج إلى عمليات انتاجية ومستلزمات انتاج، كالرش والسقي وما إلى ذلك.

وأما عن هذه النباتات فهي تنمو في البساتين في أواخر شهر تشرين الثاني، حيث يكون موسم الرمان والتين قد انتهى وكذلك الزيتون، وهذا مالاحظته في زيارة ميدانية يوم ١٩٩٨/١٢/١ وقد تجولت في "**البساتين الفواقا**" و"**البساتين التحاتا**" فلم أسمع أصوات الفلاحين والتي اعتدت على سماعها وهم يقوموا بقطف ثمار الزيتون في يوم ١١/٢٧ مثلاً وهذا الانتهاء من الموسم يعني امكانية الدخول إلى البساتين من قبل غير المالكين أو المستأجرين أو المحاصصين دون أن يمانع أصحابها، بسبب إنتهاء مراحل العملية الإنتاجية، كما أن في جمع والتقاط هذه النباتات فائدة ومنفعة للأرض بالحفاظ على خصوبتها بإزالة هذه النباتات منها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن جمع والتقاط هذه النباتات يتخذ مساره ضمن إطار السعي المنفعة الفردية أو الأسرية، وعادة تقوم بها مجاميع صغيرة من النساء والأطفال يعملن معاً ويتفاعلن بشكل متعاون، وهذه المجاميع تتألف من عدد من النساء والأطفال لا يتجاوز الخمسة، وكل واحدة منهن تجمع النباتات وتضعها في الكيس الخاص بها.

أما بالنسبة للأطفال فمشاركتهم كانت مع أمهاتهم، وتشير (م،٤٥سنة) إلا أن مشاركة الأطفال ازدادت أهميتها بسبب التنافس على هذا النشاط واتجاه الرجال إليه، **تقول (ص، ٤٥ سنة) "صارت الوحدة معاها ابنها عشان يلقط له اثنين ثلاث كيلو يعوض أجار الطريق، خاصة إنه الناس صارت تتسابق على هالشغلة"** فهذا الكلام يبرز لنا وجود تنافس ما بين الجامعين للحصول على المزيد من هذه النباتات وتسويقها وتعظيم المردود النقدي لها، حيث أن هذا النشاط لم يقتصر على النساء وحدهن، وإنما اتجه الكثيرون من الرجال إلى التقاط هذه النباتات والتنافس عليها.

ولقد توجهت بسؤال إلى أحد مالكي البساتين ويدعى (س،٥٧سنة) حول عدم قيامه بالتقاط هذه النباتات وتسويقها، فأشار إلى أن ذلك يحتاج الى **"واحد فاضي"** وأشار إلى أن المردود النقدي لهذا النشاط لايتجاوز مياومات نقدية في حدود (دينارين) لعمل طوال اليوم. والأصعب من ذلك المشوار إلى اربد وغيرها لتسويقها. وبالمقابل فإن (ر، ٤٥سنة)ترى بأن في **"المشوار"** إلى اربد مآرب أخرى، إذ أن فيه الكثير من النفع والفائدة، فهي تذهب إلى الأسواق الشعبية في اربد بعد التسويق؛ لشراء السلع من هناك بأسعار أرخص بكثير من الأسعار في بلدة جديتا.

أما بالنسبة للتسويق فتذكر (ر) بأن لها معارف توصل إليهم هذه النباتات إلى بيوتهم في اربد، وتلجأ أحياناً إلى استخدام الهاتف لتحديد الكمية المطلوبة، والاتفاق على الموعد، وتقول بأنها تشتري بطاقة **'آلو'** لتهاتفهم من أي مكان في اربد، لكنها تواجه صعوبة في معرفة وتمييز الارقام الخاصة بالهاتف، حيث أنها لا تقرأ ولا تكتب ولذلك تستعين بأي شخص يمر من الشارع ليطلب لها الرقم.

إن التغير الذي حصل في جمع والتقاط هذه النباتات من استخدامها للاستهلاك الذاتي إلى انتاج موجّه للسوق، واشتغال النساء بذلك، لهو دليل على تغير مهم في ثقافة فلاحي البساتين، وهو التعلّق بالهدف النهائي لعملية الإنتاج وهو الربح النقدي، كما أن عملية التسويق نفسها هي جزء من التغير الحاصل في زيادة انتشار الرأسمالية فقد كانت هذه النباتات ترسل إلى المعارف

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والأصدقاء مجّاناً دون ثمن نقدي، لكنها اليوم صارت تباع وتُشترى بدون تردد، مع الاستمرار في تقديمها كهدايا ضمن اطار القرابة أوالصداقة أو الجوار، ويمكن تفسير ذلك في ظل دخول قيم السوق الى مجتمع البحث، كالنفعية مثلاً بالنظر إلى الأشياء من خلال مدى نفعها وفائدتها.

وإن من يقوم بجمع وتسويق هذه النباتات فإنه لايحوز إلا على جزء قليل من قوة عمله، ومن ذلك مثلاً أن أحد التجار ويدعى (ص،٤٠) يشتري جهد وعمل بعض هؤلاء من النساء والرجال بسعر (دينارين) لكل ما يجمعه الشخص خلال يوم واحد.

وتشير (ر) إلى أن "**الناس توْعَت وبطلّت تبيع للتجار، لأن الناس اللي بتشتغل هالشغلة كثرت، وصار السعر مش مناسب للتعب اللي بلحقها، يعني الواحد صار يلقط طول اليوم ما يجمعش عشره كيلو**" وبالتالي فقد لجأت هذه السيدة وغيرها من المبحوثات إلى القيام بالتسويق بنفسها، وذلك بفضل استخدامها لجهودها وقدراتها العقلية والجسدية، وحدوث تطور وزيادة في توفر وسائل المواصلات، حيث صارتتذهب لتبيع في اربد، بعدما تقوم بتوزيع ما جمعته في أكياس يزن الواحد منها كيلوغرام واحد. وإن أكثر يوم تبيع فيه هو يوم الجمعة وذلك على ابواب المساجد بعد صلاة الجمعة، وبسعر لا يقل عن (٣٥-٥٠) قرش. وإنّ توفر وسائل المواصلات والاستعانة بها للذهاب إلى اربد للتسويق يعني اختزال حدود المكان وتجاوز (٣٤) قرية من الوادي إلى اربد بزمن قصير نسبياً لايتجاوز (٣٥) دقيقة، لتسويق ماتم جمعه والحصول على سعر أعلى، مما عمّق الانخراط في السوق.

"البعاره": شكل آخر من الجمع والالتقاط

ويقصد بـ "**البعاره**" قيام بعض الأشخاص من فلاحي البساتين بجمع والتقاط الثمار المتبقية على الاشجار، والتي يتركها أصحابها لصعوبة قطفها أو لرداءة نوعيتها. ويقوم بهذا النشاط الرجال والنساء على حد سواء، بل إن بعض الرجال يعملون مع زوجاتهم في جمع والتقاط هذه الثمار، ويكون ذلك بعد انتهاء الموسم.

وعادة يتم توجيه معظم مايجنيه هؤلاء من الرمان أو التين أو الزيتون إلى الاستهلاك الذاتي، ولم يشر أي مبحوث منهم إلى قيامه ببيع ما يجمعه ويلتقطه؛ نظراً لقلة الكمية التي يلتقطها ويجمعها، ولأن الفلاحين لايتركوا وراءهم سوى النوعية التي لايمكن تسويقها، وحتى هذه النوعية فإن بعض الوحدات الانتاجية تقوم بتحويل قسم كبير منها إلى "**دبس**" في حالة الرمان أو "**قطين**" في حالة التين كما ذكرنا سابقاً، لكن تركزهذا النشاط وأعني **البعارة** يكون في ثمار

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الزيتون التي يبقى قسم منها على الأشجار؛ بسبب صعوبة الوصول إليها وهي على الأغصان العالية جداً.

زراعة الفول: دراسة حالة:-

اعتاد بعض الفلاحين على زراعة بعض المحاصيل الزراعية كالبقوليات للاستهلاك الذاتي لأنها كانت تُشكل زراعات هامشية. غير أنه في عام ١٩٩٧م اتجه بعض الفلاحين إلى زراعة الفول بكميات كبيرة بهدف الانتاج للسوق، وجاء اختيار الفول المعروف بـ "**الفول القبرصي**" الذي يتكيف مع نقص المياه، إذ أنه يحتاج إلى كميات قليلة من الماء، وإلى عدد أقل من الايدي العاملة.

لقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ص،٥٢ سنة) وقد اعتاد بعد تقاعده من الجيش على العمل في البساتين ضمن علاقات انتاجية متعددة، إذ تشارك مع شخص من أقاربه ويدعى (م،٤٧سنة) في استئجار أحد البساتين عام ١٩٩٦م، ولكن تلك العلاقة لم تستمر في السنة التالية لعدم تمكّن زوجة (ص) من العمل إلى جانب زوجها ضمن الوحدة الإنتاجية المشتركة، وذلك لانشغالها بمزرعة الدجاج الصغيرة التي أقامها زوجها قرب مسكنهم في بلدة جديتا، ولذلك فإن عدم التكافؤ في عدد الأيدي العاملة بين الأسرتين حال دون الاستمرار في هذه الشراكة، كما أن (ص)استأجر أحد البساتين في عام ١٩٩٧م وكان يعمل فيه لوحده ولكنه لم يكن موفقاً، نظراً لانشغال زوجته عن العمل معه، وكذلك أبناؤه الكبار الذين التحقوا بالقوات المسلحة.

أمازراعة الفول فهي تحتاج إلى عدد أقل من الأيدي العاملة، وحسبما ذكر (ص) فإن بإمكانه استئجار عمال لقطف الثمار، مما يعزز فكرة زراعة الفول، والتخلي عن الشراكة.

لقد استأجر (ص) قطعة أرض من أراضي البساتين تبلغ مساحتها (٥) دونمات بمبلغ (١٦٥) دينار لمدة سنة، تقع في "**حوض الرهوة**" وهي غير مزروعة بأي شجرة، وكما يقال عنها "صليخ" أي لايوجد فيها أشجار. ولها حصة من المياه تبلغ (ساعيتن ونصف)، ويشترك في ملكيتها (٢٧) شريك، مما يشكل عائقا أمام قيامهم بالعمل فيها بأنفسهم، إلى جانب رحيل بعضهم للسكن في الزرقاء للإقامة الدائمة هناك، وانشغال بعضهم الآخر بوظائف حكومية مدنية وعسكرية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولقد استأجر (ص) "تراكتور" زراعي حديث لكي يحرث الأرض، ولكن ذلك "التراكتور" الزراعي الحديث لم يكن ملائماً لطبيعة الارض، وكثرة الصخور بداخلها. ولذلك فقد فضّل استخدام المحراث الخشبي القديم الذي يتلاءم مع هذه الأرض حيث أنه كما يقول (ص) "**بِقَلْبِ الأرض قُلابه**" بمعنى يحرثها جيداً، وذلك مقابل أجرة يومية للحرّاث مقدارها (١٥) دينار، وكان يحرث على حمارين.

ولقد فكر (ص) جيداً قبل أن يختار نوع المحصول الذي سيزرعه، مستخدماً **قانون الأهمية النسبية**، حيث توصّل إلى أنه لافائدة من زراعة البندورة أو الكوسا مثلاً؛ نظراً لارتفاع تكلفتها الانتاجية في الوادي، وانخفاضها نسبياً في الغور مما يعني أنه من غير الصواب أن يقوم بزراعة البندورة، إلى أن توصل إلى اختيار "**الفول القبرصي**"، نظراً لملاءمته لمناخ الوادي وتحمله لقلة المياه، ونضجه قبل الفول الذي يزرع في الغور، إذ أن أراضي الوادي شفا غورية، وهو يتوقع أن ينتج الفول قبل إنتاج الغور، مما يعني وجود عرض أقل من الطلب، ليحصل في النهاية على أسعار جيدة وهذا ما حدث فعلاً.

ولقد تحدث (ص) عن مزايا هذا النوع من الفول، فأشار إلى أن الفلاحين يقولوا عن هذا النوع من الفول "**تُوّارتُه معاه**" بمعنى أنه ينمو ويثمر بسرعة، حيث يثمر وطول النبتة منه (٦) سم بعكس "**الفول البلدي**" الذي يثمر بعد أن يصبح طول النبتة (٣٠) سم، كما أن "**النواره**" الواحد تنتج عدة "**قرون**" من الفول. ويمتاز بكثرة فروعه ممايعني زيادة في الانتاج، ويشير (ص) إلى أنه قام بزراعة (٦) كغم لكل (دونمين)، بمعنى (١٥) كغم للدونمات الخمسة التي استأجرها. وبلغت تكلفة البذور (٢٢,٥) دينار وكان ذلك يوم (٢) تشرين الأول من عام ١٩٩٨م حسبما ورد في دفتر الأجندة الخاص به. ويشير إلى أنه كان من المفروض أن يزرع الفول في (١٥-٢٠) من شهر أيلول، لكنه لم يتمكن من ذلك؛ بسبب الصعوبات التي واجهها في الحراثة. وللتغلب على هذا التأخير فقد قام بعملية "**التنبيت**" التي أرشده إليها أحد المهندسين الزراعين، والتي تتضمن وضع البذار في إناء فيه ماء بحيث تكون النسبة (١٢) لتر ماء لكل (٥-٦) كغم من البذار، وتترك في حفرة في الأرض لمدة (٢٤) ساعة، ثم وضع البذار داخل قطعة من "**الخيش**"، ويلف "**الخيش**" ثم يوضع في مكان يحفر في الارض وفيه مخلفات الدجاج بحيث تكون قطعة الخشب التي بداخلها البذار مغطاة بمخلفات الدجاج من فوق ومن تحت ومن الجوانب، مما يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارتها. وبعد (١٢) ساعة يتم فتح قطعة "**الخيش**" فتكون درجة حرارتها مرتفعة جداً، وتصل إلى (٤٠)م°. ثم يرش الفول بالماء؛ لترطيبه ويترك لمدة (٢٤) ساعة مع تكرار عملية رش الماء ليصبح بعد ذلك جاهزاً للزراعة. وبذلك فإن (ص) بقيامه بهذه العملية قد تدارك

© Arabic Digital Library Yarmouk University

التأخير الحاصل في الزراعة، ثم قام بعد ذلك بعملية بذر الفول يدوياً وكان يترك مسافة من (٤٠-٥٠)سم بين كل مجموعة من "**الاتلام**" لتشكل ممرات بين النباتات بحيث يمكنه القيام بالتعشيب وقطف الثمار بالمرور منها دون عناء أو إيذاء للنباتات، فتوجه (ص) إلى الاستفادة من ارشادات المهندس الزراعي يدل مستوى أعلى من التطور والتفكير بدلاً من الاعتماد على التقنيات الموروثة والتي قد لا تكون ذات جدوى في بعض الاحيان.

أما عن فائض القيمة لديه فقد بلغ (٣٢٠) دينار بعد خصم **التكاليف المتحركة** التي اشتملت على: أجرة الحراثة وثمن البذار وأجرة المواصلات ونقل الانتاج وتسويقه في اربد حيث بلغت هذه التكاليف (١٧٠) دينار، وإن مقدار ال (٣٢٠) دينار هو رقم جيد حسبما ذكر (ص) وشكل له حافزاً على الاهتمام بزراعة الفول في العام القادم، خاصة وأن الفول عنده قد نضج قبل فول الغور، وكان هنالك إقبال على طلب كميات من الفول؛ نظراً لعدم استخدامه أي نوع من الهرمونات أو المواد الكيماوية التي تسرّع الإنتاج حسبما ذكر هذا المبحوث.

صيد الخنازير:-

وهي من النشاطات الملفتة للانتباه في مجتمع البحث، وإن كانت لا تشكل ظاهرة ذات انتشار واسع، إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية الإشارة إليها. فقد تحدث بعض المبحوثين عن الآثار الضارة التي تلحقها بهم "**شلايا**" الخنازير التي تمر من البساتين وتؤذي الإنتاج، وعلى حد تعبير أحد الفلاحين ويدعى (هـ،٤٢سنة) فإنها "**بتوكل الاخضر واليابس**"، إذ أنها تأكل ما تجده أمامها من ثمار رمان أو تين " تم تجميعه ووضعه على الأرض، أو حتى تلك الثمار التي لاتزال على الأغصان الهابطة، بحيث يمكن أن تطالها الخنازير، بالإضافة إلى إيذاء النباتات المزروعة (إن وجدت) مثل الكوسا والقرع وغيرهما. ولقد أشار أحد المبحوثين ويدعى (ز،٤٥سنة) إلى إهتمامه بقتل الخنازير؛ لمنع إيذائها، كما أن في ذلك أجر وثواب من الله حسبما يعتقد؛ لأن في قتلها دفع للأذى .

وعلى العكس من التوجه السابق الذي يسعى إلى إبادة هذه الخنازير بقتلها، نجد ان هنالك من يسعى لصيد هذه الخنازير دون إيذائها، والقيام ببيعها في بعض المناطق من الاردن. إذ أشار أحد المبحوثين ويدعى (ف،ط، ٣٧ سنة) إلىأنه قد أمسك بخنزيرين صغيرين في آب من عام ١٩٩٨، وقام ببيعهما في الحصن بسعر (٥٠) دينار لكل واحد منهما. ولقد تحدث عن صعوبة الإمساك بهذه الخنازير، إذ أنها لا تظهر إلا في وقت الفجر أو الليل، وهي سريعة في الهروب، وقد يتعرض من يحاول الإمساك بها إلى الأذى من خلال دهس الخنازير له، أو عضه. وقد حدث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في شهر كانون الأول من هذا العام، وحاول أحد الفلاحين صيد الخنازير إلا أن خنزيراً قام بعض هذا الشخص في فخذه مما ادى إلىفقدانه للوعي، وتم نقله إلى المستشفى وهو في حالة غيبوبة وتم إجراء عملية جراحية له في فخذه، وكادت هذه المشكلة أن تودي بحياته. وقد قمت بزيارة (ف،ط) للاطمئنان على صحته، وتحدث لي عن ممارسته لهذا النشاط منذ سنتين، وقيامه بصيد الخنازير مع بعض الشركاء له، والذين يعتمدون طريقة في صيد هذه الخنازير، تعتمد على مطاردة الخنزير في الليل، ومحاولة وضع حبل في رقبته يكون قد أعد مسبقاً، بحيث يمكن شد هذا الحبل لإحكام الإمساك بالخنزير تمهيداً لبيعه.

ولقد كان المبحوث يتحدث لي دون تردد، وهذا نشاط يدل على أحد جوانب **التمفصل articulation** ويمثل نموذجاً من الإنخراط في النمط الإنتاجي الرأسمالي، وتجاوز معايير الحلال والحرام التي مازال يتمسك بها الفلاحون الذين يعيشوا ضمن نمط الانتاج ما قبل الرأسمالي، إذ أن هنالك من يقتل الخنازير طمعاً في الأجر والثواب من الله، وامتثالاً لمعيار الحلال، مقابل من يقوم بصيد هذه الخنازير دون الحاق الأذى فيها، حتى لا ينقص ذلك من سعرها؛ طمعاً في الثمن النقدي لها امتثالاً لقيم الربح والنفعية.

بعض أشكال الحرف:-

لقد امتاز مجتمع البحث بالسعي إلى الإستفادة من المواد الخام الموجودة في البيئة المحيطة، والتي يمكن تشكيلها والاستفادة منها في مجالات ذات علاقة بالعملية الإنتاجية، مثل: صناعة السّلال من نبات "**القصيب**" والحبال من شعر الماعز، والتي تراجع اقتناؤها منذ عام ١٩٩٠م بشكل ملحوظ بسبب صعوبة توفير المياه لها، وارتفاع أسعار العلف. وصناعة السلالم من أخشاب شجر الحور، الذي سبق الحديث عنه، وإن كانت هذه الحرف ذات مستوى تكنولوجي بسيط إلا أنها كانت ولاتزال تفي بالأغراض التي وجدت من أجلها، وهي تشمل:-

١. **صناعة السلال:** لقد انتشرت صناعة السلال في الزمن الماضي قبل (٢٠) سنة وأكثر كما ذكر (ع،٤٥سنة)، ولم يكن ذلك يستند إلى نوع من التخصص أو المهارات الخاصة والمتميزة، وإنما كانت كل أسرة تقوم بصناعة مايلزمها من السّلال التي تستخدمها أثناء قطف الثمار المختلفة، وفي ذلك استفادة من موارد البيئة المتاحة وبشكل غير مباشر. لكن تغيراً طرأ على هذه الحرفة، إذ لم يعد "**القصيب**" ينمو في كل البساتين، ولم يعد بالإمكان الحصول عليه بسهولة، بل إنه صار يباع ويُشترى، مما أدى إلى تخصص بعض الفلاحين في إنتاج هذه السلال وبيعها ومن الذين اشتهروا بصناعة السلال شخص قد توفي منذ (٤) سنوات ويدعى (م.أ) وشخص آخر

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يدعى (أ.ع، ٥٥ سنة) وشخص آخر يدعى (أ.م، ٥٠ سنة). وقد امتازوا باتقان صناعتها والسرعة في انجازها.

لقد تحدث لي (أ.م ٥٠ سنة) حول ممارسته لصناعة السلال، فهو يشتري "**القصيب**" الأخضر قبل أن يجف، وذلك لإمكانية تشكيله وثنيه بما يتلاءم مع شكل السلة حيث يوجد في أعلاها يوجد مقبض مقوس يصل الطرفين، وارتفاعها عادة لايتجاوز (٤٠-٦٠سم) حسب الطلب، ويقوم بجدل قطع القصب وتثبيتها من خلال تشبيكها مع بعضها دون استخدام أي مواد أخرى للتثبيت كالأسلاك مثلاً، ويقوم ببيع هذه السلال للفلاحين الذين يحضروا إليه لشرائها، كما أنه ذكر لي بأن بعض محلات بيع الأزهار في اربد والزرقاء تطلب منه بعض الكميات من السلال وبأشكال معنية يقوم بانتاجها لهم حسب الطلب.

٢. **صناعة السلالم الخشبية:** يشيع في مجتمع البحث استخدام السلالم الخشبية لتسهيل قطف ثمار الرمان والزيتون عندما تكون الاشجار ذات ارتفاعات عالية بحيث لايمكن قطف الثمار الواقعة على الاغصان الطرفية من خلال تسلق الاشجار، (لاحظ الصورة رقم"٦"). وهنالك أحد الفلاحين قد تخصص في صناعة هذه السلالم ويدعى (س،٦٩سنة) الذي ذكر بأنه يمارس هذه الحرفة منذ سنوات طويلة، وقد ورثها عن والده. وهو يقوم بشراء أشجار الحور من مالكيهاليقوم بصناعة السلالم منها، وليقوم بعد ذلك ببيعها. وقد أشار إلى أن هذه الحرفة تساهم في زيادة المردود النقدي له، حيث يبيع السّلّم الواحد اعتماداً على عدد درجاته بحيث يتقاضى عن كل درجة دينارين إذا أحضر الخشب هو، أما إذا أحضره صاحب السلم فيتقاضى ديناراً ونصف عن كل درجة، وهو يستخدم أدوات تقليدية ذات تكنولوجيا بسيطة في صناعة السلالم.

٣.**صناعة الحبال:** وهي تعبر عن أداء دقيق في انتاج أداة كانت ذات أهمية بالغة لدى فلاحي البساتين، وخاصة عندما كانت الدواب هي وسيلة النقل الأساسية، حيث كانت الحبال تُستخدم لتثبيت "**الأحمال**" التي توضع فيها الثمار على الدواب. وكان الفلاحون يفضلون استخدام هذه الحبال مع أنها ذات ثمن مرتفع؛ إذ أنها لاتؤذي الدواب بسبب الشد بحيث لاتؤدي إلى احداث خدوش في أجساد الحيوانات التي تحمل الإنتاج. ونتيجة لتراجع استخدام الحيوانات كوسائل للنقل إلى حد ما فقد قلت أهمية هذه الحرفة والتي كانت ولاتزال عملاً جندرياً خاصاً بالاناث.

ولقد اتيحت لي فرصة مقابلة إحدى النساء اللواتي تخصصن في صناعة الحبال وتدعى (م، ٦٠ سنة)، وقد ذكرت بأنها تقوم بصناعة الحبال من شعر الماعز، وعلى من يريد حبلاً أن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يحضر شعر ماعز بعد قصّه، والذي يكون عادة في الصيف، لتقوم هذه السيدة بغزل الحبل وجدله، (م) تتقاضى أجرة مقدارها (٣) دنانير عن كل حبل.

ولابد هنا من الاشارة استخدام الحبل لربطه بين شجرتين على مسافة (٣-٤م) بحيث تشكل مستطيلاً، بعرض نصف متر تقريباً، مربوطان متلر واحد وفي منتصفه يوضع (حرام) أو "بطانية"، ويتم تثبيتها لينام الطفل عليها. ويربط عليها (اشارب) حتى لايسقط مع الحركة، وهو مايعرف باسم "الحذل" وبالتالي فإن الحذل يرتفع بالطفل عن الأرض التي ربما تكون مبلولة بالماء. كما أن هز هذا السرير لنوم الطفل يمكن أن يقوم به وبسهولة طفل آخر بدلاً من تفرّغ الأم وانشغالها بنوم الطفل وإلهائه.

تسويق منتجات البساتين من خلال التجار:-

سبق أن أشرنا في ثنايا هذا البحث إلى تسويق المنتجات قديماً وحديثاً حيثما كان لذلك علاقة بالنص أو الفكرة التي نتحدث عنها، إلا أننا سنركز هنا على التمايز ما بين الفلاحين والتجار، واستغلال التجار للفلاحين وسلب فائض انتاجهم من خلال أساليب متعددة يمارسها هؤلاء التجار، وماهي الاساليب التي يتبناها الفلاحون لمواجهة استغلال التجار لهم؟ وكل ذلك يتم في إطار التسويق.

يبلغ عدد التجار العاملين في مجتمع البساتين (٢٣) تاجراً يشترون المنتجات لحسابهم ويقوموا بتسويقها بأساليبهم الخاصة، كالبيع على جوانب بعض الطرق الخارجية في مناطق مختلفة من الاردن، وبعضهم يقوم ببيع المنتجات في العقبة، كما أن بعضهم يقوم بتصديرها من خلال علاقاته مع بعض كبار التجار في عمان. ولذلك فإنهم يستخدموا تكنولوجيا حديثة في تصريف هذه المنتجات وبمردود نقدي أفضل، فمعظم سيارات هؤلاء التجار (البكبات) سيارات حديثة جداً، وقد ذكر لي احد التجار بأنه يذهب إلى العقبة بسيارته لتوصيل المنتوجات الى هناك ويعود خلال (١٢) ساعة، بينما لو كانت سيارة غير حديثة لما كان ذلك بوسعه. كما أن معظمهم يحملون الهواتف الخلوية التي تساعدهم في تحديد الاسعار التي سيشتروا فيها حسب الطلب، إذ أتيحت لي فرصة مرافقة أحد التجار والذي كان يقوم بإجراء بعض الاتصالات مع بعض عملائه من التجار في مناطق مختلفة من الاردن؛ ليحدد بذلك الكمية التي سيشتريها وأين سيقوم بتسويقها، وكذلك السعر الذي سيدفعه، بل إن أحد هؤلاء التجار ذكر لي بأنه كان يتجه صوب عمان ليقوم بالتسويق هناك، وعندما وصل إلى جرش اتصل مع أحد أصدقائه في السوق الذي

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أخبره بأن العرض في عمان كبير جداً، والأسعار ستنخفض حتماً، فاتصل مع عميل آخر له في اربد، فأخبره بأن العرض قليل جداً، فعاد سيارته (البكب) من جرش عائداً إلى اربد.

وبالمقابل فإن بعض التجار الذين لايستخدمون تكنولوجيا متطورة كالهواتف المتنقلة وسيارتهم قديمة وأقل تطوراً، فهم أقل حظاً في شراء المنتوجات وتسويقها. ولذلك نجد أنهم يميلوا أكثر إلى نقل المنتوجات مقابل أجرة نقدية محددة على كل "بكسة" ليتم تسويقها في الأسواق المركزية في عمان أو اربد أو الزرقاء.

أما عن هؤلاء التجار وخلفياتهم الديموغرافية، فإن (١٤) منهم يسكنون في بلدة جديتا ويطلق عليهم الفلاحون مصطلح "**أولاد البلد**" و (٩) يسكنون في بلدة تبعد عن الوادي حوالي (٩) كيلومتر وتُدعى (الأشرفيّه) وكانت تسمى (**خنزيره**) ولذلك يطلق على هؤلاء التجار التسعة "**الخنازره**". وجدير بالذكر أنه ليس لهذا الإسم وأعني "**الخنازره**" أي دلالة اجتماعية أو اقتصادية تتعلق بالإنتاج أو التسويق، أو أساليب هؤلاء التجار –حسبما ذكر لي بعض الفلاحين– عند الاستفسار عن دلالات هذا المصطلح. **كما أن بعض هؤلاء الذين ينتمون ديموغرافياً إلى بلدة جديتا هم من أبناء أو أحفاد بعض التجار الذين استولوا على الأراضي قديما من خلال العلاقات الربوية التي سبق الحديث عنها.**

ويدخل بيع منتوجات البساتين إلى التجار ضمن **البيع بالجملة**، إذ أن أسلوب **البيع بالمفرق** يقصد منه في الكثير من الأحيان التخلص من سيطرة هؤلاء التجار، واحتكارهم لعملية التسويق وسيطرتهم على الأسعار.

لقد ذكر أحد المبحوثين ويدعى (س،٥٢ سنة) بأن التجار "**الخنازرة**" قد جاءوا إلى البساتين منذ (٦) سنوات تقريباً، وكان مجيئهم في البداية يشكل انفراجاً بالنسبة للفلاحين الذين عانوا من استغلال "**أولاد البلد**"، حيث كانوا يشتروا المنتجات بأسعار متدنية ويقدّم على ذلك مثالاً لايزال يذكره بأنه في عام ١٩٨٨م كان "أولاد البلد" يشتروا "**بكسة**" التين التي تزن ١٢ كغم ب (٣٠) قرشاً، وعندما جاء "الخنازرة" صاروا يشترونها بنصف دينار، ولكنه يعود إلى القول بأنه بعد مجيء الخنازرة بسنتين تقريباً فقد توحدوا في صف واحد نظراً لمصالحهم ومنافعهم المشتركة مقابل الفلاحين الذين لم يوحّدوا أنفسهم، ولم يدافعوا عن حقوقهم المسلوبة بأي شكل من الاشكال، إذ لم يتشكّل لديهم وعياً بذاتهم ولذاتهم حول مسألة استغلال التجار لهم، وإنما لجأ بعضهم إلى بعض الأساليب لتجنب استغلال التجار.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتشير إحدى المبحوثات وتدعى (م، ٤٧ سنة) إلى أن الأسعار التي يحصل عليها الفلاحون عند التسويق للتجار فإنها لا تعادل أجرة الأيدي العاملة لوكانت هذه الأيدي العاملة تتقاضى أجوراً، وقدمت على ذلك مثالاً فأشارت إلى أن أحد التجار "الخنازره" ويدعى (ع.ص) اشترى منهم في يوم السبت ١٩٩٨/٩/١٢م بكسة التين التي تزن (٢,٥) كغم بسعر (٣٠) قرش، وهو سعر متدني جداً بينما تقدر الثمن المناسب لها بأنه من (٧٥-٩٠) قرش.

لقد أتيحت لي فرصة مرافقة أحد التجار والذي لم يطمئن إلى ما أقوم به من بحث ودراسة إلا بعد جهد طويل، وفي يوم من الأيام قال لي: "**شوف كيف بدي أضحك عليهم، ويقصد الفلاحين**"، قال ذلك ونحن نسير في سيارته (البكب) بعدما أجرى اتصالاً هاتفياً مع أحد عملائه في عمان وطلب منه العميل أن يشتري (٦٠٠) بكسة تين ليبيعها له بسعر دينار ونصف للبكسة الواحدة، واتفق معه على أن يتحدث مع الفلاحين بعد قليل ليقول لهم بأنه سيشتري بسعر (٦٠) قرشاً، ثم نزلنا وجلسنا مع مجموعة من الفلاحين، فبدأ يهاتف ذلك العميل الذي كان قد اتفق معه على خداع الفلاحين بالأسعار، وتظاهر بأنه يقول له "**رايح أشتري منك بستين قرش**" فقال له: "**يا زلمة مشان هالجماعة الكويسين خذ مني بدينار وأنا بأشتري منهم ب (٧٥) قرش**"، ثم أتاح الفرصة لهؤلاء الفلاحين لمهاتفة ذلك العميل، والذين بدأوا يقدمون له الرجاء ليزيد السعر، والذي تظاهر بأنه سيوافق على ذلك إكراماً لهم، وليشتري هذا التاجر منهم بسعر (٧٠) قرشاً.

وإن استخدام الهاتف كجزء من التكنولوجيا المتطورة المستخدمة في تصريف المنتجات يساعد التجار على استغلال الفلاحين، وسلب فائض انتاجهم.

. المضاربات بين التجار:-

يتحدث الفلاحون عن المضاربات التي يقوم بها التجار لدرجة أن التاجر يضارب على الآخر الذي يرتبط معه بعلاقة أخوتمن أم وأب، إذ يذكر (ع، ٦٠ سنة) بأن أحد التجار أحضر له ولفلاحين آخرين "**البكسات**"، ووزّعها عليهم ليشتري منهم انتاجهم من التين بسعر (٨٠) قرشاً للبكسة الواحدة، وفي صباح اليوم التالي حضر شقيق ذلك التاجر واشتراها منهم بـ (١٢٠-١٥٠) قرش حسب الجودة. ولم يراعي الفلاحون انهم أخذوا "البكسات" من تاجر آخر، إذ تبنى بعض المبحوثين حسبما ذكر أحدهم ويدعى (ع، ٦٢سنة) مبدأ البيع لمن يدفع سعراً أعلى، مشيراً إلى أنه على استعداد للدخول في هذه المضاربات دون اكتراث لأي اتفاق مع تاجر آخر.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويعلق (ع) على ذلك بأن مثل هذه السلوكات بين الفلاحين ويقصد عدم التزامهم مع التاجر الأول لم تكن موجودة حتى في الماضي القريب، ويضيف قائلاً **"اليوم كلها مادّه، المصاري هي الأساس"**.

وبالمقابل فقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ع،٥٢ سنة) بأنه لايلتزم في التسويق مع أي تاجر سواء أكان **"ابن بلد"** أو من **"الخنازره"**، وإنما يسأل من يأتي إليه ليشتري منه مسبقاً عن السعر الذي سيدفعه هذا التاجر، وإذا حصل الاتفاق فإنه يأخذ منه "البكسات" الفارغة لتعبئة الانتاج، ويلتزم معه في تلك الكمية التي تم الاتفاق عليها. وقد حدث معه أن اتفق مع أحد التجار **"الخنازره"** على أن يبيع له (٣٠) "بكسة" بثمن (٧٠) قرشاً للواحدة، وأخذ منه **"البكسات"**. ثم جاء إليه شقيق ذلك التاجر ليضارب على أخيه، ودفع له سعراً للواحدة (١٢٠) قرشاً بدلاً من (٧٠) قرشاً، لكنه رفض أن يبيعه اياها؛ لأنه يرى أن من العيب أن يخل باتفاقه، لكنه عرض على هذا التاجر أن يبيعه بهذا السعر في اليوم التالي، إلا أن هذا التاجر رفض ذلك، إلا إذا باعه الكمية التي اتفق على بيعها للتاجر الآخر.

وعلى العكس من الموقف السابق يذكر أحد المبحوثين ويدعى (م، ٤٧سنة) بأنه في عام ١٩٩٦م اتفق مع أحد التجار ليبيعه الكيلوغرام الواحد من الزيتون بسعر (٤٥) قرشاً و أخذ منه "البكسات" لتعبئتها. ثم جاء اليه تاجر آخر وسأله عن السعر الذي تم الاتفاق عليه، فقال له (م) بأنه (٥٥) قرش، فعرض عليه أن يشتري منه بـ (٦٥) قرش، فوافق على ذلك فوراً ولم يتردد في ذلك؛ نظراً لرغبته حسبما ذكر بزيادة أرباحه من ناحية، وضرب هؤلاء التجار مع بعضهم لتعميق خلافاتهم، مبدياً توقعه بأن تكون هذه الخلافات لصالح الفلاحين. وقام بتسويق (١٢٧) كغم من الزيتون في ذلك اليوم وكان الفرق بين العرضين:-

١٢٧ كغم × ٢٠ قرش = ٢٥,٤٠ دينار.

ولقد غضب التاجر الأول، وهدد بأنه **"رايح يداويه"**، ويقصد التاجر الأول. لكن (م) لم يأبه للموقف، والمهم عنده أن يحصل على سعر أعلى.

وتشير إحدى المبحوثات وتدعى (م، ٥٢ سنة) إلىأن بعض هؤلاء التجار يماطلون في دفع ثمن الانتاج للفلاحين، ويتأخرون في دفعها لدرجة أن أحدهم اشترى كمية لاتقل عن (٣٠٠) "بكسة" من التين وهرب بها ولم يرجع اليهم. وتعزيزاً لهذه الفكرة فقد ذكر لي مبحوث يدعى (ط، ٤٧ سنة) أنه كان قد بقي له عند أحد التجار مبلغ (٢٥) دينار و (٢٠) قرش عام ١٩٩٧م، فجاء التاجر وأعطى لابن (ط) الصغير (١٥) دينار،وقال للولد **"خذ هاي القلوس اللي ظلت إلكو علينا**

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وسلّم على ايوك".وعندما أخبره ابنه الذي لم يكن يعرف مقدار المبلغ المتبقي لأبيه على التاجر، فخطر في بال (ط) أن هذا التاجر يريد استغلال توصيل جزء من المبلغ عن طريق هذا الولد ليتهم هذا الابن بعد ذلك بأنه قد أضاع جزءاً من المبلغ، وبعدما تأكد (ط) من ابنه وجد أنه لم يعطه أكثر من (١٥) دينار، فما كان من (ط) إلا أن انتظر قدوم ذلك التاجر في اليوم التالي، وكان يمسك بيده عصا طويلة؛ لأنه كان ينوي ضرب هذا التاجر المخادع، وما أن استوقفه حتى بادر التاجر فوراً الى القول بأنه أخطأ في الحساب، وأن ذلك لم يكن مقصوداً، في حين أصرّ (ط) على أن هذا التاجر يريد أن يسرق منه بهذه الطريقة. ولذلك فهو يعي هذه الأساليب جيداً بحكم خبرته، وهو يُحذّر أعضاء وحدته الانتاجية الأسرية من هذه الاساليب والوقوع ضحيه لها.

ولهذه الممارسات التي يقوم بها التجار آثار مهمة في العلاقات بين الفلاحن والتجار ، ومن ذلك مثلاً أن بعض التجار لايقدموا خدمة توصيل بعض الفلاحين بسياراتهم عندما يجدوهم في طريقهم ممن لا يلتزموا بالبيع لهم. أما بالنسبة للفلاحين فقد ذكر أبو (ز، ٥٧ سنة) بأن "**الخنازره**" قد اتفقوا على مرشح واحد لكل بلدهم للانتخابات النيابية لعام ١٩٩٨م، ووقفوا جميعاً إلى جانب هذا المرشح، وقاموا بعدة زيارات إلى بلدة جديتا؛ سعياً منهم للحصول على الأصوات، إلا أن الفلاحين وجدوا في ذلك فرصة للتعبير عن استيائهم من هؤلاء التجار، وتعميم هذا الشعور على كل من ينتمي إليهم أو يؤيده هؤلاء "**الخنازره**" ورفضوا التصويت له، وبرروا ذلك باستغلال التجار لهم. وقد يكون في ذلك نوعاً من القولبة أو النمطية الجامدة stereotypeإلا أن ذلك لا يعنينا.

البيع بالمفرّق قديماً وحديثاً:-

لقد شكّل البيع "بالمفرّق" أقدم أسلوب لتسويق المنتجات لدى فلاحي البساتين، لكن بعد فتح الطرق التي تمر منها السيارات في منتصف السبعينات لتسهيل دخول السيارات التي تحمل المواد اللازمة لبناء القنوات الاسمنتية انخرط الفلاحون في السوق، وازداد الانخراط في التسعينات ببيع المنتوجات الى التجار الذي يشكلون سوقاً متنقلة لشراء المنتوجات، والذين كان قيامهم بشراء المنتوجات من الفلاحين في البداية نشاطاً لمصلحة الفلاحين بإعفائهم من أجرة النقل وثمن الفارغ والضرائب التي تدفع على المنتوجات عند تسويقها في الاسواق المركزية. وكذلك تحديد السعر قبل البيع، وبذلك لم يكن الفلاح ينتظر ثمن انتاجه الذي يبقى مرهوناً للعرض والطلب في السوق المركزي، لكن هذه الحال لم تدم طويلاً، إذ أن التجار باتوا يستغلون الفلاحين. وازاء استغلال التجار للفلاحين بشراء منتوجاتهم بأسعار لا ترضي الفلاحين مما أدى إلى لجوءالكثيرين من الفلاحين الى تبني استراتيجية البيع "بالمفرق" بأساليب متعددة كإقامة "**المعرشات**" على جوانب

© Arabic Digital Library Yarmouk University

البساتين والطرقات، والبيع على الحمير في القرى الاخرى، ولجوء بعض الفلاحين كذلك الى نقل المنتوجات وبيعها عل البسطات في اربد ودير ابي سعيد ومناطق أخرى مثل الزرقاء.

إن إقامة "**معرّش**" أمام البستان وعلى جانب الشارع؛ لعرض المنتجات وبيعها يرتبط بالعمل في ذلك البستان، إذ لايقدم فلاح آخر ليعرض منتوجاته في ذلك "**المعرّش**" الذي هو ملك لفلاح آخر. ويكون "**المعرّش**" عادة على شكل غرفة صغيرة لها زوايا من سيقان الأشجار، وتُغطى بالقصّيب من جميع الجهات؛ لتوفير الظل والمحافظة على المنتوجات من الغبار وأشعة الشمس التي تؤذيها، وذلك في عدة أماكن في الوادي، عند مداخل البساتين، وعلى جوانب الطرق حيث تمر السيارات القادمة من عجلون الى الكورة أو العكس، أو تلك السيارات القادمة للشراء والتنزّه ممن يطلق عليهم الفلاحون "**السوّاح**" وبذلك فإن الشوارع الفرعية أيضاً تشكل أماكن لعرض المنتوجات وبيعها، فنجد من يعرض التين والرمان لبيعه من الرجال أو النساء او الذكور من الشباب، ونجد كذلك أن بعضهم يقوم بالنداء على التين أو الرمان بصوت مرتفع عند قدوم سيارة أو إعطاء اشارات وايماءات حركية كنوع من الدعاية، مثل حمل سلة من التين، واطلاق بعض العبارات مثل " **أحلى من العسل ياتين**" ونجد كذلك نوعاً من التنافس مابين البائعين للنداء بصوت أعلى واستمالة الزبائن.

ولقد تحدث لي أحد المبحوثين عما يسميه "**أساليب الزعرنة**" ويقصد بها الخداع في بيع المنتوجات بأسلوب "**المفرّق**"، فذكر أن أحد الفلاحين جاء إليه شخص غريب **(مش من البلد)** وسأله عن "**رمان كويّس**" ليشتري، وكانت تبدو على هذا الرجل علامات عدم المعرفة والخبرة بالرمان "**الكويّس**" فقال له الفلاح: "**عندي رمان زَعرُوري بِعجبَك**" والرمان الزعروري هذا نوع من الصنف الحامض، يمتاز بحموضته الشديدة، وهو قليل الانتشار في البساتين، وقد سمي بهذا الإسم تشبيهاً له بنبات شائك جداً يسمى "**الزّعرور**" بحيث يؤذي الإنسان، فاشترى الرجل بعد أن قدّم له ذلك الفلاح حبة رمان حلوة ليأكلها وقال له "**هذا زعروري**". فوافق الرجل على الشراء، واشترى الحامض على أنه حلو.

كما أن بعض الفلاحين يطلقون بعض الالفاظ المغرية للشراء على الرمان الحامض كقولهم "**رمان شرابي**" ليوحي بأنه مخصص لعمل الشراب أو العصير، على الرغم من أن في ذلك قدر من التضليل، إنما هو لغايات التسويق وبذلك فإن الكثيرين من الفلاحين لايتخلوا عن الغش والخداع كميكانزم لبيع منتوجاتهم الاقل جودة،وإن هذه السلوكيات تعبر بالضرورة عن نمط إنتاج ما، هو الموجّه للفلاحين.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما بيع المنتوجات في القرى المجاورة والغور بنقلها على الدواب، فهو يُشكل عودة الى الماضي، وتمسكاً بتكنولوجيا أقل تطوراً سادت في الخمسينات والستينات والسبعينات من هذا القرن. إذ أشار (ع، ٥٧ سنة) إلى أنه كان يبيع المشمش على الدواب في الغور مع والده وأبناء خالته في أوائل السبعينات، حيث كان معظم انتاجهم يُوجّه للبيع بالمفرّق؛ للحصول على ثمن نقدي، أو المقايضة بسلع أخرى. وأكد ذلك مبحوث آخر يدعى (ح، ٦٢ سنة) بأن معظم منتوجاته هو وإخوانه والفلاحين بشكل عام كانت تباع أو يتم استبدالها في الضفة الغربية باستخدام الحمير والخيول لنقلها، خاصة وأن الأسعار كانت في الضفة الغربية أعلى منها في اربد أو الغور، وهو لا يزال يتذكرأن حوالي (٥٠) كغم من التين كانت تباع بحوالي (٨٠) قرش في الخمسينات، ولا يشترط البيع إنما كانت عمليات تبديل المنتوجات من الرمان والتين والمشمش بسلع أخرى، مثل: صاع قمح، أو مد شعير، أو صاع ذرة.

ولقد قمت بمقابلة بعض الفلاحين ممن يبيعوا علىالحمير في هذه الأيام ومنهم (ع، ٦٣ سنة) الذي أشار الى أنه بهذا الأسلوب يمكن التخلّص من استغلال التجار، والحصول على ربح نقدي أعلى. فقد حصل في موسم ١٩٩٨م على مبلغ (٥٦٠) دينار من بيع التين والرمان وكان قد حصل على مبلغ (٣٠٠) دينار في موسم ١٩٩٧م من البستان نفسه عندما كان يبيع المنتوجات للتجار، كما أشار الى أنه لم يعد هنالك مقايضة عندما يبيع منتوجاته وانما كله (**كاش**).

وذكر هذا المبحوث كذلك أن الزواج في الخمسينات كان من الطقوس التي تقام في بداية الصيف عند اقتراب موعد نضج ثمار الرمان والتين وذلك بعد الانتهاء من فصل الشتاء، مشيراً الى أنه كان يحدث هنالك تنافساً بين أهل الزوج وأهل الزوجة على هذه اليد العاملة (الزوجة الجديدة)، فأهل العريس يريدون الزواج لتساعدهم في العمل في البساتين، وكذلك اهل العروس، وقد أشار الى أنه قد تزوج في بداية الموسم وكان أهله يُجهزون له "حمل التين" ليذهب لبيعه في الغور باستخدام الحمار كوسيلة نقل، فكان ينطلق بعد منتصف الليل ليعود في مساء اليوم التالي دون أن تتاح له فرصة قضاء وقت طويل مع زوجته، إذ أنه عندما يعود في مساء اليوم التالي يكون "الحِمل الجديد" بانتظاره ليذهب لبيعه عند الفجر، مما دفعه الى القيام بإحراق عدد من الأشجار، ويعني أشجار التين التي في بستانهم، وذلك للتخلص من عبء الانتاج الكبير من خلال الحرق، والتظاهر بأن ذلك لم يكن مقصوداً، وانما كان قصده حرق الأعشاب الضارة، وبالتالي ستتاح له فرصة الاستمتاع بحياته مع زوجته بالإضافة الى الراحة الجسدية من عناء الذهاب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والإياب. أما اليوم فقد تغير هذا الطقس وصارت حالات الزواج والخطوبة تتم بعد الموسم حيث تكون الأسرة قد جمعت مبلغاً من المال اللازم لهذه المناسبات.

ومن المهم هنا الإشارة الا أن بعض الفلاحين قد بدأ يتشكل لديهم وعياً بذاتهم ازاء استغلال التجار لهم، وصاروا يستأجرون (بكبات) ويتشاركون في دفع أجرتها، لنقل منتوجاتهم لبيعها بأسلوب "المفرّق" في الزرقاء واربد وعمان على البسطات ومن هؤلاء (ع.م)، (ج،ض)، (س.ع) وفلاحين آخرين، وقد أشار (ج،ض) الى أنه يبيع يومياً (٣٠)كغم من التين بسعر (٣٥) قرش للكيلو الواحد، بمعنى تحصيل سعر (٩) دنانير ثمناً لها عند بيعها "بالمفرّق" لكن ارسال الكمية نفسها للسوق، أو في حال بيعها للتجار فإن مردودها النقدي لن يتجاوز (٥) دنانير في افضل الأحوال، وبالتالي فإن الفرق بين الحالتين: = (٤) دنانير على مستوى تسويق (٣٠)كغم، فكيف يكون الفرق عندما يقوم الفلاح بتسويق منتوجاته بهذا الأسلوب عندما تصل الى (٣٠٠٠)كغم.

ومن المهم هنا أن نذكر بأن هذا الأسلوب وأقصد المشاركة في استئجار (بكب) والبيع على البسطات هو أسلوب جديد ووجد فقط منذ سنتين، وذكر لي أحد هؤلاء الفلاحين بأنه يبيع على بسطة وابنه (س: ٢٢ سنة) على بسطة أخرى، حتى لا يحصل هنالك زيادة في العرض في المكان نفسه، وانعكاس ذلك سلباً على الاسعار. وقد ذكر (ص: ٥٢سنة) الى أنه يقوم بتسويق ثمار الزيتون من خلال بيعه على البسطة في سوق الزيتون في اربد قرب سوق الذهب القديم، شرق مبنى بلدية اربد.

ولقد أشار أحد المبحوثين الى أن هنالك من يأتي إليه الى بستانه للشراء دون أن يقوم بعرض منتوجاته على الشارع، لأن الشارع لا يصل الى بستانه، وهو يقول بأن جودة الثمار التي ينتجها، وابتعاده عن التزييت وما يسميه "**الغش**" قد جعل بعض الزبائن يأتون اليه كل عام لشراء كميات كبيرة، وهو يقوم ببيع الرمان اعتماداً على سعر الحبة الواحدة، أو من خلال الوزن. وهو يرى بأن البيع بالعدد أسهل من البيع بالوزن، مع أن بعض الثمار من الرمان يصل وزنها الى (٦٠٠) غم لكنه يقوم بتصنيف هذه الثمار حسب حجمها. ولقد ذكر هذا المبحوث بانه أرسل هذا الموسم (١٩٩٨م) (٩) كيلوغرام من الرمان الحلو الى السوق، فحصل على (٣) دنانير ثمنا لها، وهو سعر زهيد بنظره، لكنه باع الكمية نفسها للزبائن الذين يأتون اليه ليشتروا "بالمفرق" أو حتى "بالجملة"، باعها بـ (٤,٥)دينار، فما بالك عندما يبيع (٥٠٠كغم)؟

(١) كغم ـــــــــــ ٣قرش

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٠٠ ← ؟

٣٠×٥٠٠ / ١ = ١٥٠٠٠ قرش = (١٥٠) دينار عند بيعها في السوق.

وعند بيعها بالمفرّق: ٥٠×٥٠٠ = (٢٥٠٠٠) قرش = (٢٥٠) دينار.

ولدى بعض الفلاحين فإن كمية الانتاج تصل الى (٢٥٠٠)كغم من الرمان، ويصل سعر الكيلو غرام الواحد الى (٨٠)قرش. أما في السوق فلا تتجاوز (٥٠) قرش في أفضل الأحوال، وكذلك التجار فانهم لا يشتروها بأكثر من ذلك.

ولقد ذكر لي بعض المبحوثين من الفلاحين بانهم يقوموا بتخزين الرمان، وهو ما يطلقوا عليه "**ذخر الرمان**"، إذا لم تعجبهم الأسعار، ولم يتمكنوا من البيع بالأسعار التي يعتقدوا أنها مناسبة، حيث يحفظ الرمان بكميات كبيرة لبيعها في الشتاء بأسعار عالية تصل الى دينارين للكيلو غرام الواحد، لكن المشكلة التي تواجههم هنا أن الثمار التي تُخزن يجب أن تكون ذات جودة عالية، وخالية من الخدوش؛ لأن مخالفة ذلك يعني فسادها وخسارة ثمنها.

استراتيجية تقليل النفقات:-

يلجأ فلاحو البساتين الى بعض الأساليب ذات المستوى التكنولوجي البسيط في اشباع حاجاتهم الأساسية في ظل تبني الفلاحة كطريقة في الحياة، ومن ذلك استخدام الفرن (**الطابون**) في اعداد الخبز وشوي الدجاج واعداد "**الفطاير**"، وكذلك "**الموقدة**" لطبخ الطعام واعداد الشاي والقهوة، ولهذه الأساليب دور مهم في تقليل النفقات باعتمادها على تكنولوجيا بسيطة تستخدم مواد أولية رخيصة وليست ذات تكلفة نقدية عالية، ولذلك يشيع استخدامها في الأيام مع وجود بدائل أخرى لها. فبالإمكان شراء الخبز جاهزاً من المخابز، وبالإمكان استخدام أجهزة للطبخ تعمل على الغاز كوقود، وهنالك الكثير من الوحدات الانتاجية التي تستخدم هذه الأدوات ذات التكنولوجيا المتطورة، إلا أن هنالك من يصر على استخدام تلك الوسائل الأقل تطوراً، لأن لها وظائف أخرى لا تقدمها الوسائل الحديثة مثل قتل الحشرات بالدخان المنبعث من "**الفرن**" **والموقدة**، بالاضافة إلى الاقتصاد في النفقات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفرن (الطابون) ووظائفه الاجتماعية:-

لقد كنت ألاحظ اثناء زياراتي الى الوادي انبعاث الدخان من بين الأشجار بلونه الرمادي المائل الى السواد، وبرائحة مميزة مرافقة له. وهي منبعثة من نواتج احتراق الحطب المستخدم لاستمرار اشعال النار في "**الموقدة**"، أو في "**الطابون**" أو "**الفرن**" كما يسميه بعض المبحوثين.

والفرن هو وعاء مبني من الطين الذي يتكون من التراب الذي يخلط بالماء، ويضاف له القليل من التبن، ليزيد تماسكا حسبما ذكر لي (ح، ٥٥سنة) ويراعى أن يكون التراب من نوع يعرف في مجتمع البحث باسم "**تراب حوّر**" وهو تراب يمتاز بلونه الأبيض المائل للاصفرار، وفي العادة فهو غير صالح للزراعة، وإنما يستخدم في عمليات اعداد الطرق، ويستخدم في بناء الأفران كما ذكرت (م، ٥٠سنة) لأن له خصائص مثل انه "**يحمى بسرعة ويظله حامي لفترة طويلة**"، بمعنى أن يكسب الحرارة بسرعة ويفقدها ببطء، وبذلك يمكن توفير الحطب المستخدم كوقود.

وتقوم النساء عادة ببناء الفرن واعداده، وهذا لا يعني تخصص النساء بهذا العمل دائما فقد ذكر لي (ح) بانه قام باحضار التراب من منطقة قريبة من البساتين، وقام بخلط التراب مع الماء والتبن باستخدام "لكريك" وقامت زوجته (م) وجارتها (ع) بتجهيز الفرن، والذي يبلغ نصف قطره من الأعلى حوالي (٨٠) سم، وارتفاعه (٥٥)سم وهو يتسع من الأسفل ليصل نصف قطره الى (١٠٠)سم؛ وذلك ليتّسع الى عدد اكبر من الأرغفة أو المواد المراد اعدادها من خلاله، وله في أحد جوانبه من الأسفل فتحة يبلغ نصف قطرها (٢٥)سم وشكلها دائري تعرف باسم "**الصنّور**" وتستخدم لإخراج نواتج الاحتراق بما في ذلك الرماد أو ما يسميه المبحوثون "**السكن**" بلفظ حرف الكاف:(H)، وهو الرماد الناجم عن احتراق الحطب، ويمتاز بنعومته وبلونه السكني، كما يستخدم "**الصنّور**" لإدخال الحطب لاستمرار اشعال النيران. وبعد الانتهاء من عملية الخبز لا بد من إغلاق "**الصنّور**" للمحافظة على دفء الفرن من الداخل ليبقى ساخناً اطول فترة ممكنة. وقلما يستخدم الفلاحون هذه الأيام مخلفات الحيوانات "**الزبل**" في المحافظة على دفئه لمدة يومين هي موعد الخبز في المرة القادمة حسبما ذكرت (م) إذ كان يتم "**طمر**" أي إحاطته الفرن بهذه المخلفات، وبالتالي فإن اشعاله في المرة القادمة لم يكن يكلف سوى القليل من الحطب، والذي لم يكن توفيره سهلاً لأن الحكومة كانت ولا تزال تمنع الفلاحين من تقطيع الأشجار من الأحراش القريبة. ولهذه الأفران واستمرار اشعالها وانبعاث الدخان منها فائدة مهمة هي مكافحة القارص والناموس وغيرها من الحشرات المؤذية للانسان والأشجار. ويُغطّى الفرن عادة بغطاء من الحديد يعرف باسم "**الصمامه**" وكأن الاسم ماخوذ من "**الصَمّام**" لأنه يقوم باغلاق الفرن اثناء

© Arabic Digital Library Yarmouk University

عملية الخبز مما يزيد درجة الحرارة في الداخل، وفي وسط "**الصمامة**" يوم مقبض يوضع فيه "**المقلاع**" لإزاحته وإخراج أو ادخال قطع العجين أو المواد المراد شويها، و"**المقلاع**" عصا مستقيمة الشكل يبلغ طولها حوالي متراً واحداً، وسمكها لا يتجاوز (١٠)سم. ويستخدم "**المقلاع**" لتحريك الأرغفة أو الصواني داخل الفرن والتي توضع فوق حجارة صغيرة مفروشة على أرض الفرن للمحافظة على نظافة الخبز، وهنالك حاجز صغير بين المنطقة المفروشة بالحصاوي و"**الصنور**"، وذلك حتى لا يدخل الرماد الى الخبز، وتقوم النساء عادة بالخبز باعتباره عملاً منزلياً اعتادت المرأة على القيام به، وكأن ذلك دوراً جندرياً محدداً، ولقد أشارت الصعبي (١٩٩٧: ٢١) إلى استخدام الموقدة وكذلك "الفرن" لدى فلاحي "اسعرة"، لكنها ذكرت بأن السبب يعود إلى ارتفاع اسعار الخبز عام ١٩٩٦م، بمعنى أن الهدف النهائي هو توفير النفقات.

وعادة فإن كل (٣-٤) وحدات انتاجية عائلية تشترك في فرن واحد من حيث اعداده وبنائه واستعماله، فقد ذكر لي (و) بان اسرته ساهمت مع أسرة (س) واسرة (ف) في بناء غرفة صغيرة من الحجر والطين، وبداخلها الفرن، عندما كانت الإقامة في الوادي دائمة للكثيرين من الفلاحين، ولكنهم كما ذكر (ف) انتقلوا الى السكن في جبال جديتا للابتعاد عن المخاطر التي كانت تلحق بهم من جرّاء الاشتباكات مع الفصائل الفلسطينية أو مايعرف باسم 'الفدائيين' مما دفع الفلاحين إلى اللجوء الى الجبال الوعرة العصية على "**المهاجمين**".

ولقد اشارت (ع، ٦٥سنة) إلى أنه في الماضي كان الفرن يحتاج إلى جهود أكبر بكثير لاعداده من الجهود المطلوبة هذه الايام، حيث أنه كان يحتاج إلى تجهيز مبنى خاص به، وهي "**خشة**" على شكل غرفة صغيرة لحمايته من الأمطار، وتبنى جدرانها من الحجر والطين وسقفها من الخشب والقصيب، ويوضع فوقه الطين حتى يجف، وعلى إحدى زواياه يوجد "مزراب" لتسريب المياه من فوق السطح، كما أنه يحتاج إلى بقعه من الارض لاقامة المبنى الخاص به، لأن السكن على مدار العام الذي كان سائداً في البساتين كان يعني السكن هناك اثناء فصل الشتاء، وبالتالي لابد من حمايته من الامطار.

واشتركت مجموعة أخرى من الوحدات الانتاجية في تجهيز فرن عام ١٩٩٦م، وتجدد اشتراكهم فيه هذا العام ١٩٩٨م، ما بين اسرة (ع)وأسرة (س) وأسرة (ج) وجميعهم متجاورون في البساتين التي يعملون في انتاجها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد أشارت (س، ٧٥سنة) إلى أن بعض الوحدات الانتاجية كانت تتفاخر بأنها قد جهزت فرناً لوحدها لينتفع منه الجيران والاقارب.

وأما عن الوظائف الاجتماعية للفرن فقد كان يُشكّل مكاناً لالتقاء النساء وجلوسهن لساعات طويلة، وتبادل الخبرات أثناء الانتظار والجلوس هناك فيما يتعلق بمهارات الطبخ، والعناية بالأطفال، ومسائل أخرى كثيرة تتعلق بالمواقف الحياتية المختلفة، من خلال الاحاديث المشتركة فيما بينهن. كما أنهن يتناقلن أخبار الناس المجاورين وخاصة مايتعلق حسبما ذكرت (س) بأمور الزواج والحمل والولادة والعلاقات الأسرية. ومن المهم ذكره هنا أن هذه الوظيفة للفرن مازالت قائمة إلى حد كبير حسبما أكدت (س).

ولقد كانت الفتيات تتعاون مع أمهاتهن في أعمال العجن والخبز، وبالتالي فقد شكل الذهاب إلى الفرن فرصاً لهن للإلتقاء مع بعضهن إذ تشير (ج) إلى أن الزيارات إلى البيوت لم تكن متاحة للفتيات بحرية مما عزز من اهمية الفرن الاجتماعية.

وبذلك نخلص إلى القول أن للفرن وظائف اجتماعية مهمة، بالإضافة إلى فائدته في مكافحة الحشرات المختلفة من خلال الدخان المنبعث من نواتج الاحتراف، وكذلك الاقتصاد في النفقات.

الموقدة:-

وهي أداة ثابتة للطبخ واعداد الشاي والقهوة وغلي الماء، وهي بمثابة أجهزة الغاز المستخدمة في المنازل، حيث تكثر المواقد في البساتين ولايكاد يخلو أي بستان من موقدة أو أكثر، وهي تُبنى من الحجارة والطين حيث يصل ارتفاعها إلى (٣٠-٣٥)سم، وعلى ثلاث جهات حيث تبقى الجهة الرابعة مفتوحة لادخال الحطب وإخراجه، وتنظيفها من الرماد، وفي اعلاها نجد أسياخاً من الحديد مصفوفة بشكل طولي وعرضي، تتشابك مع بعضها ليوضع عليها الاناء المراد الطهي به مثل الطناجر وأباريق الشاي وأسياخ الشوي. (لاحظ الصورة الرقم"٧").

وإن استخدام هذه الوسائل يوفر الكثير من الجهود على الفلاحين مثل توفير النفقات التي ستدفع على شكل أجور للمواصلات للذهاب إلى المخابز لشراء الخبز، كما أن تكلفة شراء الخبز أكبر بكثير من تكلفة الخبز بالفرن وكذلك توفير ثمن الغاز السائل.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الخامس

التفاعل الاجتماعي *Social Interaction*

مقدمه:

يبرز هذا الفصل شكلاً مهماً من أشكال التفاعل الاجتماعي، ألا وهو الصراع على ملكية وسائل الانتاج وآثار هذا الصراع الاجتماعية والاقتصادية، ومحاولة ابراز هذه الآثار من خلال تقديم دراسة حالة، وإلقاء الضوء كذلك على التمايز مابين الفلاحين والتجار، واستغلال التجار للفلاحين، والاستيلاء على جزء كبير من فائض انتاجهم.

التمايز الاقتصادي والاجتماعي بين الفلاحين والتجار

يستولي التجار ومالكو السيارات (البكبات) العاملون في **وادي جديتا** على قدرٍ كبير من الريع النقدي لفائض انتاجهم البساتين، وذلك من خلال قيامهم بشراء الانتاج بأسعار رخيصة وتسويقه بأسعار مرتفعة، وتحصيل أرباح عالية باستغلال الفلاحين. ويُعبّرعن ذلك قول أحد التجار: "**شُغلي بالوادي شهرين احسن من راتب أستاذ مدرسة لسنه كامله**". فهذه العبارة تشير الى تمايز اقتصادي واضح يتمتع به التجار. أما العاملون بنقل الانتاج بسياراتهم، وتقاضي أجرة مقابل ذلك، فهم ليسوا أقل حظاً من التجار، إذ ذكر لي أحدهم بأن التاجر قد يتعرض في يوم من الأيام لخسارة، إلا أن من يعمل في نقل الانتاج لا يمكن أن يخسر؛ لأنه يتقاضى أجرته المحددة مهما كان سعر هذه المنتجات.

ولو حاولنا حساب المردود النقدي الذي يحصل عليه من يقوم بنقل الانتاج بسيارته (البكب) مقابل الأجرة لقلنا:

يحمل (البكب)الكبير، أو ما يطلق عليه (ديانا): (٥٠٠) "**بكسه**"، وتبلغ أجرة نقل الواحدة منها: (١٠) قروش

٥٠٠ × ١٠ = ٥٠٠٠ قرش = ٥٠دينار

فهو يحصل يومياً على مبلغ (٥٠) دينار مقابل كل نقلة الى السوق المركزي، وهذا على افتراض أنه يقوم بنقلة واحدة في اليوم، إذ أن هنالك من يقوم بنقلتين في اليوم الواحد.

أما (البكب) الصغير فهو يحمل (٣٠٠) "**بكسه**"

٣٠٠ × ١٠ = ٣٠٠٠ قرش = ٣٠ دينار

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن مظاهر تمايز التجار واستغلالهم للفلاحين: تحكّمهم بأسعار المنتوجات، وإن كان بعض الفلاحين يعي هذه السيطرة ويرفضها من خلال قيامه التسويق بنفسه، وما ذكرناه في الفصل السابق من أن بعض الفلاحين بدأوا يتشاركون في استئجار (بكبات)؛ لنقل منتوجاتهم، وقيامهم بتسويقها من خلال "**البسطات**". وكذلك عودة بعض الفلاحين الى ثقافة الماضي وذلك بتسويق منتجاتهم بأسلوب "**المفرّق**" من خلال نقلها باستخدام الحمير، وبيعها في الغور أو في بعض القرى المجاورة.

ويدخل التجار في مضاربات فيما بينهم، والفلاحون هم الضحيّة، اذ أن هذه المضاربات لا تقلل من قوة سيطرة التجار، وإحكام قبضتهم على الفلاحين بشراء منتوجاتهم بالأسعار التي تراعي مصالح التجار فقط، وإنما تصل إلى درجة استغلال التجار لأقاربهم. فقد ذكر لي فلاح يدعى (أ،٦٧ سنة) بأن ابن أخيه الذي هو احد التجار المشهورين في الوادي يستغل عمه ويشتري منه بالأسعار نفسها التي يشتري فيها من الفلاحين غير الأقارب، وفي ذلك اشارة إلى الأسعار المتدنية.

ومن المهم هنا أن نشير الى استراتيجية مهمة يستخدمها بعض التجار للسيطرة على منتجات الفلاحين، وهي قيامهم بمنح الفلاحين قروضاً نقدية دون فوائد أو مع فوائد مقابل سدادها على شكل انتاج من الرمان والتين، وهنا يجد الفلاح نفسه مجبراً على التسويق لذلك التاجر الدائن مهما كان السعر الذي يدفعه هو دون غيره.وهذا يتوافق تماماً مع ما أشار إليه Tarawneh في دير علا، حيث يذكر أن التجار العاملين في الحسبة Commissioners يقدموا قروضاً للفلاحين هناك، ويكون التسديد من انتاج هؤلاء الفلاحين (Tarawneh, 1989: 151).

كما أشار إلى ذلك جاك يوشيباداس (pouchepadass) بأن ما نسبته ٢٧٪ من الأرز المقشور في بيهار و أوريسّا في عام ١٩٤٠ وصلت إلى السوق بواسطة ما يسمى (بانيا) أي التاجر المرابي في القرية، وما نسبته ٤٠٪ من القمح. بمعنى أنه هذا التاجر المرابي يستولي على هذه المنتوجات بدل القروض التي قدمها للفلاحين بفوائد عالية، ويستد منهم الانتاج بأسعار رخيصة في الفترة التي يُجبر فيها الفلاحون على السداد، ومن هنا يأتي تحكم التاجر بالأسعار وتحديدها. (عوده، ١٩٩٧: ١٤٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهنالك أسلوب آخر يتبعه التجار وهو عدم شراء المنتوجات في آخر الموسم من الفلاح الذي لم يكن يُسوّق له في بداية الموسم، إذ أن بعض التجار يتركون التسويق قبل انتهاء الموسم عندما تقل جودة التين وتدني أسعاره، وبالتالي حدوث نقص في أرباح التجار، مما يؤدي الى وجود مشكلة لدى الفلاحين في تصريف منتجاتهم، وهو بمثابة عقاب مُوجّه من بعض التجار لبعض الفلاحين لا لشيء سوى أن هؤلاء الفلاحين حرموا هذا التاجر أو ذاك من أرباح معينه ذهبت لتاجر آخر، ولذلك فإن هذا الأسلوب قد أدى ببعض الفلاحين الى محاولة الالتزام بتسويق منتجاتهم لتاجر محدد، حتى لو كان يدفع أسعاراً أقل.

وبالإضافة الى ما سبق، فإن بعض التجار يعمدوا الى تقديم بعض الخدمات للفلاحين، والتي من شأنها أن تحقق لهم المزيد من الأرباح، ومن هذه الخدمات توصيل الفلاحين الى بساتينهم أو مساكنهم بـ(البكبات)، فقد ذكر لي أحد الفلاحين ويدعى (ص، ٤٧ سنة) بأن أحد التجار ويدعى (ع) يقوم بشراء بعض الحاجات والسلع التي يطلبها بعض الفلاحين من السوق، ويوصلها لهم ويدفع ثمنها، ويأخذ ثمنها من الانتاج. وقد صدف أن تعطّلت سيارته (البكب) ذات يوم، وقد اعتاد على توصيل أحد الفلاحين وأسرته الى بستانهم، فقام باستئجار (بكب) آخر، ودفع أجرته وارسله اليهم ليوصلهم، مما يوقع الفلاحين في شباك هذا التاجر، ونجدهم يخجلوا من بيع منتوجاتهم لغيره حسبما ذكر (ص)، حتى لو كان السعر الذي يدفعه (ع) أقل.

ولقد قابلت أحد الفلاحين ويدعى (س، ٤٧سنة)، وكان يعمل سائقاً مع أحد التجار، فذكر لي بأن من التجار من يسرق من انتاج الفلاحين عندما يقوم بنقله الى السوق لتسويقه مقابل أجرته، وهذا ما وجده بنفسه عندما كان يعمل مع أحد التجار، إذ كان هذا التاجر يقوم بتنقيص "**البكسات**" لتعبئة "**بكسات**" جديدة ويبيعها على أنها له، وذكر لي فلاح آخر يدعى (ع، ٣٧سنة) بأنه تاكد من أن بعض هؤلاء التجار، يقوموا ببيع بعض "**البكسات**" على الطريق قبل وصول السوق، فقد كان يرافق احد التجار الى السوق المركزي في عمان، وفي الطريق قام ببيع (٥٤) "**بكسه**" تين بسعر دينار ونصف لكل "**بكسه**"، وفي السوق باع الواحدة بدينار، فكان أن احتسب الـ(٢٤) بالسعر الذي باع فيه في عمان وهو السعر الأقل، وأخذ الفارق في المبلغ له.

إن كل هذه الأساليب والسلوكيات تجسد تمايز الفلاحين الاقتصادي والاجتماعي واستغلالهم كذلك، والفلاحون يدركون جيداً استغلال التجار لهم، وينظرون للتجار نظرة كراهية، لدرجة أن من الفلاحين من يُشجّع أطفاله على إلحاق الضرر بالتجار، وذلك من خلال

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خدش "**بكبات**" التجار، وهذا ما يفسر ما لاحظته أكثر من مرة بمحاولة بعض الأطفال سرقة بعض "**البكسات**" الفارغة من "البكبات". وأشار أحد الفلاحين ويدعى (س، ٤٧ سنة) الى أن أطفاله يفعلون ذلك، وهو يعتز بفعلهم هذا مشيراً إلى أن هذه السرقة لا تعادل شيئاً مما "**يسرقه**" التجار من الفلاحين.

إن تمايز التجار واستغلالهم للفلاحين يعني استمرار تراكم الفائض النقدي لدى هؤلاء التجار، ويمكن تفسير ذلك من خلال **ما جاء به Frank حول تناقض السلب contradiction مع التجميع approporation في تحليله للتخلف السائد في تشيلي**، ففلاحو البساتين في وادي جديتا يمثلون **المنتج المباشر** الذي يعمل في البساتين، وهم كثر **ويبيعون انتاجهم** من الرمان والتين **بأسعار رخيصة، وتتضاعف هذه الأسعار حتى تصل الى المستهلك**، ويكون للتجار قسط كبير من الأرباح لزيادة رؤوس أموالهم ولمالكي (البكبات) التي تعمل في الوادي. وبهذه الطريقة **يتم سلب فائض القيمة من المنتج المباشر** الذي يعني خسارته، **وبالمقابل تجميع الفائض** للتجار وزيادة أرباحهم، بمعنى أن الربح والخسارة وجهان لعمله واحدة.(Frank, 1967: 6).

وإن استمرار استغلال الفلاحين exploitation قد يؤدي الى نتائج ومؤشرات خطيرة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للفلاحين، لدرجة أنهم قد لا يستطيعوا تأمين الاحتياجات الأساسية لهم ولأسرهم. فقد ذكر أحد الفلاحين ويدعى (ع، ٥٦ سنة) بأنه لم يتمكن في هذا الموسم من تأمين أجرة المواصلات لأبنائه في ذهابهم الى المدارس، بسبب انخفاض ما حصل عليه من أرباح في العام الماضي. مما يعني أن هؤلاء الأبناء قد تصبح لديهم توجهات سلبية نحو الدراسة وما قد ينجم عن ذلك من الفشل وصعوبات الحياة. وفي المقابل تزايد تراكم رأس المال لدى التجار وانعكاس ذلك على ملكياتهم بزيادتها، وتحسن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، فنجدهم يستبدلون سياراتهم بأخرى أكثر تطوراً، وبعضهم يقوم ببناء مشاريع انتاجية جديدة بما يخدم تجارتهم، وهذه من مؤشرات وجود الرأسمالية حسبما يرى Alavi بأن وجود الرأسمالية يعني استمرار اقتطاع جزء من الفائض، وإرجاعه للعملية الانتاجية، لتطوير القوى المنتجة، بمعنى اعادة الاستثمار لصالح الرأسماليين (Foster -carter, 1978: 69-71).

والتمايز بين الفلاحين والتجار لا يعني وجود حواجز نفسية أو اجتماعية معقدة بين هاتين الفئتين، إذ نجد أن التجار يجالسون الفلاحين و يشربون عندهم الشاي. بل إن أحد التجار "**الخنازرة**" تزوج من ابنة أحد الفلاحين بعد سنتين من العمل المشترك من خلال علاقة هذا

© Arabic Digital Library Yarmouk University

التاجر مع الفلاح، حيث كان الفلاح يقوم بتأمين وتوفير كميات الانتاج المطلوبة للتاجر من الفلاحين، ويتعاقد معهم، ويتقاضى مبلغ (١٠٠) فلس من التاجر عن كل "**بكسه**" رمان أو تين يؤمنها له، وقد أدى ذلك في النهاية إلى زواج ذلك التاجر من ابنة هذا الفلاح، واستمرار تلك العلاقة الاقتصادية الاجتماعية بينهما.

وفيما يتعلق بالتمايز بين الفلاحين أنفسهم، فإنه لا يوجد بينهم تمايز اجتماعياً، فجميعهم ينتمون الى فئة الفلاحين، وإن كان هنالك بعض المظاهر التي قد يبدو أن فيها نوع من التمايز، إلا أنها ليست ذات تأثير في حياة فلاحي البساتين، كالمساكن مثلا من حيث عدد مرافقها، أو المواد التي تبنى منها، فليس لها أي ارتباط بالوضع الاقتصادي أو المكانة الاجتماعية. ومن ذلك مثلاً أن أحد أكبر مالكي البساتين في الملكية ويدعى (م، ٥٧ سنة) ويملك (٣) بساتين، ويعمل بها هو وأسرته، إلا أن ذلك لا يميزه عن الفلاح الذي يملك بستاناً واحداً، أو من لا يملك شيئاً. إذ أن الفلاحة قد شملت كل مناحي حياتهم، فتبنوها كطريقة في الحياة، فنجد أن الفلاح يرتدي ملابس العمل باستمرار، حتى في الأوقات التي تتطلب غير ذلك.

ولا يوجد هنالك تمايز بين مالك ومستأجر أو محاصص، إذ لم أجد أن هنالك مصطلحات تدل على هذا التمايز مثل "**قطروز**" أو "**ناطور**"، وهذه من خصوصيات مجتمع البحث، وقد لانجد مثل هذا التجانس في مجتمعات أخرى، فقد ذكر Tarawneh مثلاً بأن شيوخ عشائر العدوان قد أحضروا "قطاريز" ليفلحوا أراضيهم من نابلس والقدس، وفيما بعد من العشائر الفقيرة (Tarawneh, 1989: 66).

كما أشارت غنام إلى أن أهالي خربة الوهادنة يظهرون في السلم الاجتماعي كما يلي: الموظفون الملاك، الموظفون غير الملاك، الملاك المزارعون، الحرفيون والمهنيون، العمال المأجورون والرعاة (غنام، ١٩٨٨: ٦٨).

الدور الاقتصادي والاجتماعي "للحرامي" وتغيره.

لقد اشتهر مجتمع البحث في الأربعينات والخمسينات والستينات بكثرة قيام الفلاحين بالسرقات من القرى الواقعة في شمال الأردن، وحسبما ذكر لي بعض كبار السن من المبحوثين فإن السرقات كانت تشمل السلع الموجهة لاشباع الحاجات الأساسية للفلاحين وأسرهم، بمعنى أن هذه السرقات التي كان أكثرها من المواشي كانت للاستهلاك الذاتي، حيث كانت تستهلك على مستوى الجيران أو الأسرة الممتدة extended family.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن المثير هنا أن هذا السلوك -**في نظر المبحوثين**- لا يُشكّل مصدراً للخجل، أو التنكّر لهذا السلوك واستنكاره، بل إنهم يتفاخرون بذلك. وعندما يعيب عليهم أي شخص من قرية اخرى هذا الماضي، فإنهم يردون عليه وبكل تفاخر بقولهم "**اللي كان يِسْرِقْ أحْسَن مِنْ اللي كان يِتْخَبّى بالفُرِنْ مِن الخُوف**"، وفي ذلك إشارة وتلميح الى أن سكان القرى الأخرى كانوا ضعافاً.

لقد كانت السرقة تمثل مهنة لعدد كبير من أبناء عشائر "**الفلاحين**"، وساهم في امتهانها الجهل الذي ارتبط بالفقر، وعدم قدرة الفلاحين على استغلال الأراضي وزراعتها بشكل أفضل لاشباع حاجاتهم الأساسية، كما ساعد على ذلك كثرة عمليات رهن أراضيهم الى الدائنين. وتجسيداً للجهل الذي كان سائداً، فقد ذكر لي أحد الفلاحين، ويدعى (م، ٧٢ سنة) بأن بعض "**الحراميّه**" وكان هو منهم، فذهبوا لسرقة البطاطا من إحدى المناطق القريبة، ولم تكن لديهم فكرة حول ما يسمعوا عنه، ويقال له البطاطا، فقاموا بسرقة نبات البطاطا الذي يوجد فوق سطح الأرض، دون سرقة الثمار التي تكون تحت التراب، وذلك لجهلهم بزراعة مثل هذه المحاصيل، إذ أن زراعاتهم كانت تركز على الحبوب مثل القمح والشعير والذرة قبل توجههم الى زراعة الأشجار.

وقد أشار المبحوثون الى أن الكسب والعيش لمعظم الفلاحين في الستينات وماقبل كان يقوم على السرقة، لدرجة أن من لا يَسرق لا يُعطى زوجة، "**ما حدا بناسبه**"، ولذلك كان الرجل يتباهى بالسرقة وذكر لي أحد الفلاحين ويدعى (ط، ٥٧ سنة) بأن شاباً يدعى (ح) تقدم لخطبة إحدى الفتيات في عام ١٩٥٣م، فأشار الناس الى فقره، وعدم ممارسته للسرقة، وبالتالي فإنه لا يستطيع أن يؤمن لها العيش، ولم يوافق أهل الفتاة على تزويجه. فما كان منه إلا أن ذهب إلى أحد أصدقائه من القرى المجاورة، واحضر من عنده شاة، وتظاهر للناس بأنه سرقها، وانتشر الخبر على أنه سرق، وبالتالي فقد كان ذلك مدعاة لموافقة أهل الفتاة على تزويجه إياها بعدما أثبت قدرته على تامين الطعام، مع العلم بأنه لم يسرق، وإنما تقمّص دور السارق "**الحرامي**". وهو لم يكن يسرق لاعتقاده بأن ذلك "**حرام**"، وبهذه الطريقة فقد احتل مكانة اجتماعية أكسبته الأهلية لاختيار زوجة -كما يقول المبحوثون- "**بنت ناس**".

لقد ساد الاعتقاد لدى الفلاحين في الفترة المشار اليها بأن زوجة "**الحرامي**" وأسرته لا تجوع، وكما يقول احد المسنين بأن "**الحرامي ما كان يمد إيده لحدا عشان يعطيه صاع قمح،**

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أو مُد شعير'، إذ أنه سيعتمد على نفسه في تأمين هذه الاحتياجات من خلال سرقتها مع أصدقائه أو شركائه، حيث أن الكثير من السرقات كانت منظمة وجماعية الى حد كبير.

ويذكر هذا المبحوث بأنه السرقة أو "**الحرمنه**" كانت ذات علاقة بجانب اجتماعي مهم، وهو أن من اشتهر بالسرقة كان يشتهر بالكرم، ويروي حادثة في هذا السياق حدثت مع أحد الفلاحين ويدعى (ح، متوفي)، حيث ذهب هذا الفلاح الى قرية "**زوبيا**"، وسرق رأسا من الغنم، وفي اليوم التالي جاء إليه ضيوف، فقام اليهم واستقبلهم، وعرف أنهم يبحثون عن رأس الغنم الذي سرقه، فرحّب بهم، وذبحها لهم، وأعدّ لهم الطعام، وبعد أن اكلوا أخبرهم بما حصل. فما كان منهم إلا أن شكروه على حسن الضيافة والكرم، وكان ذلك أساساً لقيام علاقة صداقة بينه وبينهم. فالحرامي لا يسرق ليبيع، وإنما "**ليطعم جماعته ويقوم بواجب الضيوف**". كما ساد لديهم **عرف** Norm بأن من العيب عليهم أن يسرقوا من أبناء مجتمعهم المحلي.

وبشكل عام فقد ساعدت البيئة الايكولوجية لوادي جديتا، وإحاطة الجبال العالية به، والتي كانت كهوفها مأوىأميناً لبعض "**الحرامية**" يبعدهم عن ردود الفعل التي يمكن أن تنشأ من جرّاء هذه السرقات، كما أن هذه السرقات عبرت عن شكل معين من العلاقات الاجتماعية.

أما عشيرة "**الربابعه**" فقد منعتهم معتقداتهم الدينية التي سبق الحديث عنها في الفصل الثاني من السرقة باعتبارها "**حرام**"، من المنظور الديني وكان امتناعهم عن هذا "**الحرام**" وعدم حاجتهم له من خلال اشتغالهم بالتجارة.

أما اليوم فإن السرقة لدى معظم فلاحي البساتين هي سلوك مرفوض، ويتصدى له الفلاحون، وكثيراً ما تحدث بينهم مشاجرات تعبر عن الصراع حول المياه، وكذلك سرقة الثمار والأدوات فهي مرفوضة. ولم يعد لمن يسرق مكانة مرموقة، بل إنه ينال عدم احترام الفلاحين له.

لقد ذكر لي احد الفلاحين حالة سرقة حدثت معه في موسم ١٩٩٧م، حيث قام (٥) شباب من غير أبناء الفلاحين أثناء الليل بقطف (٦) أكياس زيتون من بستانه، وتوجهوا لبيعها في السوق المركزي بعمان، والذي أوقعهم في يد العدالة هو أن كل سيارة تدخل الى السوق المركزي، فإن هنالك توثيق لرقم السيارة، وأسماء الأشخاص الذين يركبون فيها، ومن هنا فقد

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كانت أسماء هؤلاء الشباب مسجّلة هناك، وكذلك رقم السيارة التي كانت معهم، مما أوقعهم في الشبهة التي قادتهم الى الاعتراف، وثبتت عليهم الجريمة.

استراتيجية حراسة البساتين

إن في حراسة البساتين تجسيد لرفض الفلاحين للسرقة كسلوك، ومع ذلك فهي موجودة في مجتمع البحث، فلقد ذكر (ن، ٤٤ سنة) بأن هنالك الكثير من السرقات التي تحدث في الوادي، وخاصة في الليل، وهي تشمل سرقة المياه كوسيلة انتاج، بالإضافة الى سرقة الثمار والأدوات. ولا يتهاون الفلاحون بشكل عام مع السرقة من بساتينهم، إذ ذكر أحد الفلاحين ويدعى (ز، ٤٢ سنة) بأنه لا يتردد في إطلاق العيارات النارية في الهواء كلما أحس بأصوات الكلاب تتنابح، أو عند الاشتباه بوجود محاولة للسرقة.

ويستخدم فلاحو البساتين عدة أساليب للوقاية من السرقة أهمها:

١) **استخدام الكلاب:** لقد لفت انتباهي كثرة وجود الكلاب لدى الوحدات الانتاجية في مجتمع البحث، ولا تكاد الكلاب تهدأ بالوقوف عن النباح إذا ما شاهدت أحد المارة من الشارع في الليل. ويعتمد بعض الفلاحين على الكلاب في حراسة البساتين التي لا يتواجدوا فيها في الليل، (لاحظ الصورة رقم"٨") وهذا لا يعني أن جميع الفلاحين يستخدموا الكلاب في الحراسة، إذ أن منهم من ينام في البساتين، وفي حال تعدد البساتين التي يعمل فيها هو وأسرته فإنه يتم تقسيم الحراسة فيما بين الأب والأبناء الذكور.

٢) **إشعال قنديل وإبقائه في البستان أثناء الليل:** وذلك للايحاء بأن هنالك أشخاص في البساتين يحرسونه، مما يشكل عائقاً أمام من يفكر بالسرقة، وقد ذكر أحد المبحوثين ويدعى (م، ٤٧ سنة) بأن بستان أحد الفلاحين كاد يحترق من هذا الأسلوب، ولذلك فإن فيه خطورة، بينما استخدام الكلاب للحراسة لا يُعرّض البستان لمثل هذه المخاطر.

٣) **استخدام جهاز "الراديو":** وذلك بترك الجهاز يعمل في البستان اثناء الليل، ليوحي بأن هنالك أناس في البستان، بحيث يختلط على من يفكر بالسرقة وجود من يحرس البستان، لأنه ليس كل صوت راديو يعني أنه للحراسة ولا يوجد أحد في البستان، وليس من السهل تمييز ذلك بسبب تشابك الأشجار وكثافتها.

الصراع على ملكية وسائل الانتاج

يُشكّل الصراع conflict على ملكية وسائل الانتاج لدى فلاحي البساتين في وادي جديتا شكلاً هاماً من أشكال التفاعل الاجتماعي، ويدور حول ملكية الأرض والأشجار والمياه

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بين الأقارب الذين هم في الغالب شركاء في ملكية هذه الوسائل، فالملكية المشتركة لهذه الوسائل وما ينجم عنها من خلافات متعددة بين الأخوة، أو أبناء العم تُعبّر عن هذا الصراع، ويتجسد الصراع بأشكال مختلفة مثل اطلاق النار فيما بين اطراف الصراع، وتقطيع الأشجار، والعنف الجسدي، واللجوء الى المحاكم...

إن **تنامي الفردية** كقيمة value في مجتمع فلاحي البساتين قد عمّق الصراع بين الشركاء في ملكية وسائل الانتاج، إذ يتحدث أحد المبحوثين ويدعى (ب، ٤٧ سنة) حول الملكية الجماعية فيصفها بأنها "**سيئة كثير**"، ويقدم على ذلك مثالاً، فيشير الى أنه يشترك في ملكية أحد البساتين مع اخوين من أمه وأبيه، وأخ ثالث من أبيه، بالإضافة الى أمه وزوجة أبيه، وتبلغ مساحة البستان (١,٥٠٠) دونم، وفيه أشجار رمان وزيتون. ويحاول كل واحد من الشركاء شراء حصص الآخرين ليملكه بمفرده، وقد اعتادت أرملة والده على أن تحاصص في هذا البستان، وفي موسم ١٩٩٧م طلب منها (ب) أن لا تقطف من ثمار شجرة العناب الموجودة في البستان لأنه ينوي قطف ثمارها وارسالها هديه لبعض أصدقائه، إلا أنها لم تستجب لهذا الطلب، وقالت له "**الشجر والأرض إلنا وإلك**"، وقطفت ثمار العناب، وقامت ببيعها، فما كان من (ب) إلا ان قام بقطع تلك الشجرة تعبيراً عن غضبه، إلا أنه احس بالندم فيما بعد، وهو يتساءل "**شو ذنب الشجرة**". ويستطرد قائلا بأن والده قد تزوج هذه المرأة عام ١٩٧٨م؛ لوجود خلافات بين هذا الأب وأبنائه حول مسائل عائلية خاصة بهم، فهددهم بأن يتزوج لينجب لهم شركاء في الميراث الذي سيتركه بعد وفاته ومن ضمنه هذا البستان. وبالفعل فقد تزوج وأنجب أول طفل فزاد بذلك عدد الشركاء، فما كان من أحد أبناء هذه الشخص إلا أن قام بمحاولة وخز والده ببعض الحقن الطبية التي تؤدي إلى عقم حتى لايكون هنالك مزيداً من الشركاء وبالفعل نجح في ذلك، إذ لم ينجب هذا الأب غير الطفل الأول قبل أخذ الحقن، وقد توفي وعمر طفله (٩) سنوات، وإن هذا الأسلوب يذكرنا بالكيفية التي من خلالها تقوم بعض شعوب الصيد والجمع بتنظيم مجتمعاتها من حيث العدد حتى لايحدث هنالك صراع على الموارد، وهذه الكيفية تشمل الوأد والإجهاض، واستخدام الأعشاب التي قد تتدخل وتوقف الإخصاب والحمل (Haviland, 1983: 182) ويشير (ب) إلى أن أرملة الأب تصر على أن تكون حصتها وحصة ابنها في البساتين وليس في الأراضي الأخرى، وكذلك يرغب الشركاء الآخرون لأنفسهم، ومن هنا فقد اختلف الشركاء فيما بينهم، وتعمق الخلاف لدرجة أنهم لا يزوروا بعضهم إلا في المناسبات، وقد منعت أرملة والدهم ابنها من زيارة اخيه عندما اجريت له عملية جراحية.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويشير (ب) إلى تباين مدى الاهتمام والعناية بالبساتين بين المالكين، فشريك يريد ان يرش الأشجار، وآخر يعارض نكاية بشركائه، وثالث لا يوافق على دفع النقود لعمل جدار استنادي للبستان، وينعكس ذلك على الانتاج سلباً، وعلى علاقاتهم الاجتماعية، وعُمق وشكل تفاعلهم الاجتماعي من جرّاء الاختلاف أساساً على الملكية.

ولقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ي، ٨٤ سنة)، بأنه تعاقد مع احد الأشخاص ويدعى (أ.ف، متوفي) الذي امتلك (٤) دونمات من أراضي الوادي منذ زمن التسوية في الثلاثينات، ليقوم (ي) بزراعة الأشجار فيها مقابل امتلاكه نصف البستان، وكان ذلك عام ١٩٥٤م، وبالفعل فقد بدأ (ي) بتشجير الأرض، وسقي الأشجار والعناية بها وكان يحرص على أن تكون الأشجار ذات نوعية جيدة. وبعد (٥) سنوات أثمرت هذه الأشجار، وصار الشريكان يتقاسمان الانتاج مناصفة منذ عام ١٩٥٩م حتى عام ١٩٦٧م. ومن المهم ذكره هنا أن هذا العقد بين (ب) و(أ.ف) لم يكن موثقاً خطياً، وإنما كان اتفاقاً شفهياً، وقد حاول (أ.ف) شراء حصة (ي) ليملك البساتين بمفرده إلا أن (ي) رفض ذلك. وبينما كان (ي) يعمل في البستان عام ١٩٦٣م، جاء إليه أحد ابناء شريكه، وبدأ بقطف الرمان حتى قطف (١٥٠) حبة رمان، وكان (ي) يراقبه من بعيد، فسأله (ي) حول عدد حبات الرمان، فأجاب بأنها (١٠٠) حبة رمان معتقداً بأن (ي) لا يتقن مهارة العد، وإزاء ذلك غضب (ي) وقال لابن شريكه: "**ما حدا بقدر يضحك علي**"، وأشار الى أن العدد (١٥٠) وليس (١٠٠)، وجرى بينهما خلاف ادى الى تشابك بالأيدي، وهدد (ي) بحرق الأشجار لإيقاع الضرر بشريكه، عقابا له على فعلة ابنه، وبالفعل احرق، ولكن شريكه وقف الى جانب ابنه، واستاء من هذا التهديد، وقام بطرد (ي) من البستان، وتراجع عما تم الاتفاق عليه شفهيا باقتسام ملكية البستان، فقام (ي) بحرق بعض الأشجار، وبقي (أ.ف) يملك البستان لوحده حتى وفاته.

ويمتد الحرص على ملكية وسائل الانتاج إلى زراعة الأشجار في الطريق المرسوم بين البساتين، وكذلك في الأرض المخصصة لمسيل الماء الجاري، والذي يخصص له (٣) أمتار، فنجد مثلاً في الكثير من الأماكن بأن مسيل الماء لم يعد له سوى متر واحد، وليس لذلك علاقة بسحب المياه، بمعنى قيام الفلاحين بغرس الأشجار في مسيل المياه بسبب قلة المياه، وكفاية متر واحد من عرض الأرض لها، إذ أن هذا الاعتداء موجود قبل سحب المياه كما أكد بعض الفلاحين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أن امتداد الكثير من أغصان الأشجار في البساتين الى الشوارع، وحجبها الرؤية أمام السيارات وخدشها وعدم قيام الفلاحين بتقليمها لهو تجسيد لارتباط الفلاحين بالهدف النهائي لامتلاك وسيلة الانتاج والعملية الانتاجية وهو الربح النقدي، وذلك من خلال بيع ثمار هذه الاغصان وكذلك الاشجار المتعدية على الطريق كجزء من الانتاج، على الرغم من أن الكثير منها معرض للغبار الذي ينبعث عند مرور السيارات أو حدوث الزوابع، وبالتالي فهي أقل جودة.

وقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ب، ٥٧سنة) بأن إحدى الوحدات الإنتاجية قامت بغرس بعض الاشجار في الشارع، فاشتكى عليهم (ب) إلى الجهات المختصة، وكما يقول "**اشتكيت على النسوان قبل الزلم**"، وذلك حسبما يذكر؛ لأن نمو هذه الاشجار يعني اعاقة وصول (البكبات) إلى بستانه، مما يعني التأثير في مستوى التكنولوجيا التي سيستخدمها في الانتاج، فلن يصل إليه التراكتور الزراعي الذي يرش البساتين وكذلك البكبات مما يعني إجباره على تبني تكنولوجيا أقل تطوراً مثل استخدام الدواب في النقل وهو لايرغب بهذه الوسائل. وقد حكمت المحكمة على الأشخاص الذين قاموا بغرس هذه الأشجار بإزالة الضرر باقتلاع الأشجار التي زرعوها (**راجع الملحق حيث يوجد هنالك صورة عن قرار المحكمة**).

ومن المهم هنا أن نذكر بأن الاغصان الزائدة تمتد أحياناً بين البساتين المتجاورة لتتشابك مع أشجار الجيران، مما يؤدي إلى حدوث الصراع بين هؤلاء الجيران، فقد ذكر لي (أ،٦٢سنة) بأنه تدخّل لإنهاء خلاف بين اثنين من جيرانه قام أحدهما بتقطيع أغصان أشجار جاره الداخلة إلى بستانه، وتم إنهاء الخلاف بدفع ثمنها. وكثيراً ما تعبر زراعة بعض أنواع الأشجار عن الصراع بين الشركاء أو الجيران، فمثلاً غرس أشجار الحور يعني أن جذور هذه الأشجار ستمتد إلى أرض الجيران بسبب سرعة نموها وكثرة انتشارها تحت الأرض وبالتالي فهي تمتص المياه والأملاح المعدنية من أرض الجيران، مما يعني تضرر ذلك الجار الذي امتدت جذور أشجار الحور إلى أرضه، من خلال تدني جودة انتاجه وبالتالي تقليل ثمنه النقدي، فهو صراع خفي في الكثير من الاحيان.

ويمتد الصراع ليشمل المياه كوسيلة انتاج مهمة، ويتصارع عليها الفلاحون باستمرار وهذا الصراع يتجاوز كل أشكال القرابة، وحتى علاقة الجوار؛ لأن ملكية وسائل الانتاج هي من المتغيرات المستقلة في العملية الانتاجية، فمثلاً يذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (س، ٥٨سنة) بأنه لايتردد في ضرب من يحاول سرقة المياه من بستانه، مشيراً إلى أنه أمسك بخاله

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهو يسرق المياه من حصة بستان (س) في موسم ١٩٩٨م من خلال قيام هذا الخال بإحداث ثقوب في قناة المياه؛ لتنساب المياه إلى بستانه، وكان ذلك في الوقت المخصص لري بستان (س)، فما كان من (س) إلا أن أمسك بخاله، وألقاه على الأرض، "**بَطَحتُه وكُنْت بدّي أحُط راسُه بالقناه**"، ولم ينقذه من ذلك سوى تدخل بعض الفلاحين من الجيران الذين هرعوا إلى المكان عندما سمعوا صوتهما وهما يتشاجران.

الآثار الاجتماعية والاقتصادية للصراع على ملكية وسائل الانتاج:-

لقد ترك الصراع على ملكية وسائل الانتاج آثاراً اجتماعية واقتصادية كثيرة في حياة الفلاحين المتصارعين، سواء أكانوا من الأقارب على مستوى الأسرة الواحدة، أو الأقارب على مستوى الفخذ Phratry أو العشيرة clan أو حتى الجوار. ويمكن توضيح هذه الآثار من خلال سياقة بعض الأمثلة الأثنوغرافية المستمدة من الميدان.

يمتلك فلاح يُدعى (غ، ٧٥سنة) ثلاث بساتين في وادي جديتا، ويتفرغ لفلاحة واحد منها، ويؤجر الاثنين الآخرين؛ لعدم قدرته على العمل وحده، وهو يعاني من خلافات عائلية بينه وبين زوجته التي ترفض العمل معه، حيث تقف إلى جانب أبنائها الذين يطالبونه بأن يتنازل لهم عن ملكية البساتين الثلاثة التي يملكها، ولكنه يرفض ذلك حسبما ذكر لي؛ من منطلق أن ملكيتها تمنحه قوة لايريد التخلي عنها في حياته، ويشير إلى أنه لو تخلى عنها، فإن أبناءه لن يقدموا له أي دعم مادي للانفاق على حياته الخاصة، إذ لايوجد له مصدر آخر للدخل غير إنتاج هذه البساتين. ولم يتردد (غ) في أن يبوح لي بأنه تعرض للضرب من أحد أبنائه بسبب هذا الخلاف، ولم يتمالك نفسه من البكاء وهو يقول ذلك، وهو يبدي أسفه الشديد؛ لأن خلافاته مع أبنائه حول ملكية البساتين قد جعلته يفقد مبالغ طائلة سيحصل عليها هو وأبناؤه لو عملوا معه في فلاحة البساتين الثلاثة، بدلاً من أن يؤجر منها اثنين، كما أن هذه الخلافات كما يرى- قللت من احترام الناس له ولأبنائه إذ يقول: "**الواحد منّا صار بْعين الناس قدّ النمّله**".

وجدير بالذكر أن زوجة (غ) قد عزّبت معه عام ١٩٩٦م، لكنها لم تكن تعمل معه بالمستوى المطلوب. وإنما كانت تكتفي بتصنيف الثمار وتجميعها، وهي بذلك تُعزّز موقف أبنائها بخلافاتهم مع والدهم.

ويذكر فلاح آخر يدعى (ش،٦٢سنة) بأنه قد زوّج ابنته من أحد الاشخاص من أبناء عشيرته، وقد شجّعه على ذلك حسبما ذكر لي، أن والد العريس "ملاك"، إذ يملك (٣٤) دونم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من أراضي البعل في جديتا وبستانين في الوادي، وبالتالي فإن حياتها ستكون هانئة مع زوجها بسبب كثرة أملاك والده ومردودها النقدي، خاصة وأن هذا الشاب هو الابن الوحيد لوالده، هكذا اعتقد (غ) إلا أن والد الزوج لم يكن يعطي ابنه من انتاج هذه البساتين أو من أرباحها شيئاً، ولذلك فقد عانى هذا الإبن من كثرة الديون، مما أدى به إلى الهجرة للسكن في اربد ليعمل في عمل اضافي بعد الدوام في المدرسة، ولم يعد يزور والده حتى في الاعياد والمناسبات، وهذه من الآثار الاجتماعية الهامة التي تشير الى بعض مظاهر التفكك في مجتمع فلاحي البساتين.

ولقد تحدث لي أحد الفلاحين ويدعى (ر،٦٣سنة) حول خلافاته هو وإخوانه على اقتسام بستانين ورثوهما عن والدهم بعد وفاته، وكان خلافهم يتركز حول من يكون نصيبه في "**البساتين الفواقا**" ومن يكون نصيبه في "**البساتين التحاتا**"، حيث يفضل الجميع "**البساتين الفواقا**" وذلك بسبب جودة انتاجها، وزيادة ارباحها، إلا أنهم توصلوا إلى حل مؤقت يقتضي انقسام هؤلاء الاخوة الشركاء الى قسمين هما ١) (ع)+ (ر)+ أختين ٢)(م) +(أ) +(الأم) وكل قسم له الحق في التصرف بانتاج أحد البساتين لمدة سنتان، ثم ينتقل الى البستان الثاني وهكذا تستمر العملية، لكن ذلك حسبما يذكر (ر) ينعكس سلباً على الانتاج، لأن الواحد لايهتم بالبستان لأنه لا يملكه بهذه الطريقة كما أن وصلهم لهذا الاتفاق جاء بعد صراع طويل، وقد وصل ذلك الصراع إلى قيام أحدهم بإحراق عدد كبير من أشجار البساتين تعبيراً عن هذا الصراع.

ومن الصراعات الحادة على ملكية وسائل الانتاج في البساتين ما ذكره (ف،٤٧سنة) بأن أبناء شخص توفي عام (١٩٩٤م) لم يتفقوا على اقتسام (٣) بساتين ورثوها عن والدهم بالاضافة إلى عدة قطع أراضي بعل، ولقد امتدت جذور هذا الصراع إلى عام ١٩٩١م عندما قام والدهم بمنح أحدهم وكالة بأملاكه تمنح حق التصرف بها لهذا الابن لانه كان يعتني بوالده وقد أبقاه في بيته، وكانت زوجة الابن هذا تهتم بوالد زوجها، فتقوم بإطعامه وغسل ملابسه، فكانت هذه الوكالة مكافأة لهما، لكنها شكّلت نبعاً للصراع بين الاخوة أبناء هذا الأب، واحتدام الصراع فيما بينهم وبين أخيهم ووالدهم لدرجة أنهم لم يحضروا دفن والدهم عندما توفي، وبعد وفاته فقد فقدت تلك الوكالة فاعليتها من الناحية القانونية، ولم يتفق الورثة من الاخوة والاخوات على اقتسام الميراث، لأنهم بدأوا يتصارعون على التملك في الوادي؛ لرغبتهم في الحصول على التعويضات النقدية بسبب سحب المياه، ولولا مسألة التعويضات هذه لتنافس هؤلاء الاخوة على ملكية أراضي أخرى من التركة مزروعة بأشجار الزيتون وهي ذات مساحات كبيرة وانتاج جيد. والذي يحدث اليوم هو أن واحداً من هؤلاء الورثة ليس له أي مرتب شهري، الا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنه أمضى عمره وهو يعمل في البساتين، ولذلك فهو يقوم بالاستيلاء على انتاج البساتين الثلاثة، ويعزّب في واحد منها هو واسرته، ويقطف من ثمار هذه البساتين ويبيعها. ويتنافس بقية إخوانه على قطف الثمار دون أن يعزّبوا في البساتين لدرجة أن بعضهم يرسل زوجته وأبناءه لقطف الثمار وهي لا تزال "**عَجُر**" أي غير ناضجة. مما يؤدي الى حدوث المشاجرات بين أبناء الاخوة.

ولقد تدخل "**أهل الخير**" حسبما ذكر (ف) للإصلاح فيما بين هؤلاء الأخوة الشركاء، إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل ليستمر الصراع فيما بينهم عامل فرقة وتفكك، إذ لم يعد هؤلاء الاخوة متضامنين مع بعضهم كما كانوا في السابق متكاتفين اجتماعياً واقتصادياً قبل مشكلة الوكالة والميراث.

ولقد ذكر لي أحد المبحوثين ويدعى (ط، ٥٦سنة) بأنه كان قد خطب فتاة وعقد قرانه عليها عام ١٩٧١م، وكان أحد بساتين والده بجانب بستان والدها حيث تجاورت الاسرتان، وتعمقت صداقتهما بهذه المصاهرة التي لم تدم، إذ أن (ط) قد طلّق خطيبته بسبب وفاة شقيقه (م) الذي كان متزوجاً وله (٣) أبناء، وذلك ليتزوج (ط) من أرملة أخيه، ومع أنه لم يكن راغباً بهذا الزواج لتعلقه بخطيبته، إلا أن ذلك لم يكن باختياره، فهو لم يتمكن من مقاومة ضغوطات والده عليه، حيث أن والده كان يحتل قمة الهرم في السلطة وبناء القوة على مستوى أسرتهم الممتدة، حيث أنه حاول إجباره على هذا الزواج، كما أغراه بنقل ملكية أحد البساتين التي يملكها لهذا الابن بمجرد زواجه من أرملة أخيه. كما هدده بحرمانه من الميراث إذا لم يوافق، فالاب استخدم الحرمان من ملكية وسائل الانتاج كسلاح يشهره في وجه من يخالف آراءه وبالفعل فقد تنازل لابنه (ط) عن ملكية البستان بعد ما تزوج، ثم تنازل عن ملكية البستانين الآخرين لاثنين آخرين من أبنائه، وحرم بناته واثنين من أبنائه بحجة أنهما كانا يخالفانه في الرأي، وقد أدى ذلك إلى غرس الفرقة والخلاف بن أبناء هذا الاب، وانقسموا اجتماعياً واقتصادياً إلى فريقين: فريق يضم الذين نقلت لملكيتهم وسائل الانتاج مقابل الذين لم تنقل لهم هذه الوسائل، وتنامى الصراع فيما بينهم لدرجة أنهم لايشاركون بعضهم بالمناسبات الخاصة الا المآتم "**على عين الناس**"، حتى لايكونوا عرضة لتشفي الآخرين بهم، لكن كما يقول (ط) "**اللي بالقلب بظله بالقلب**" كما أنه لم تحدث علاقات مصاهرة بين الفريقين، في حين أقيمت (٣) علاقات مصاهرة بين أبناء الفريق الذين امتلكوا في البساتين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتستطرد (ك) لتضيف بأن زوجها الذي طلّقها كان يعمل في القوات المسلحة بعيداً عن أقاربه بسبب ظروف العمل، كما أن مسكنه بعيد عن مساكنهم مما قلل من فرص تفاعله مع أقاربه واختلاطه بهم بمعنى تقليل عمق العلاقات الاجتماعية حيث تقول" **كان يروّح من الدّوام يوم الاربعاء ويمشي الجمعة، وبعض الاسابيع ما يروّح عشان يخفّف المصروف وأجار الطريق**" حيث أن عدد أفراد الاسرة (١١) فرد، ولا أحد يعمل سوى زوج (ك) وبذلك فإن نسبة الاعالة كانت مرتفعة جداً.

لقد كانت (ك) تعمل في البساتين الثلاثة مع بناتها، حيث كان لديها (٨) اناث و (٣) ذكور، وأكبر أبنائها التحق بالقوات المسلحة عام ١٩٨٢م والاثنان الذكور هما الاصغر من بين الابناء والبنات. أما البنات فهن صبايا تعرضن الى الكثير من الاستفزاز من أقارب والدهن عندما كُن يعملن في مختلف مراحل الانتاج. وكانت أرباح انتاج البساتين الثلاثة تصل إلى (٢٠٠٠) دينار سنوياً، بالاضافة إلى المزروعات التي كانت تُوجّه للاستهلاك الذاتي مثل الملوخية والكوسا والفاصوليا.

لقد تقدّم أقارب زوج (ك) أكثر من مرة ليخطبوا من بناتها، لكنها كانت ترفض ذلك، وتقنع زوجها "**انهم طمّاعين بالرزق، مش بالنّسب**" وتقصد ب"**الرزق**" هنا وسائل الانتاج في البساتين التي هي الارض والاشجار والمياه، كما أنها كانت ترفض مصاهرتهم لأنهم حسبما تذكر "**يعاملوا المرأة كأنها حيوانة**"، والكثيرون منهم لم يترددوا في تعدد الزوجات، إذ أن منهم من تزوج صبية من أجيال بناته وهذا ما فعله زوجها بعدما طلقها عام ١٩٩٧م، إذ تزوج وعمره (٥٧) سنة من صبية عمرها (٢١) سنة.

ونتيجة لرفض (ك) تزويج بناتها لهؤلاء الاقارب الطامعين بملكية البساتين، فقد صاروا يضايقونها هي وبناتها ببعض السلوكات الاستفزازية غير اللائقة، ولقد كانوا يعمدون الى إلحاق الضرر بوسائل الانتاج التي تملكها (ك) هي وزوجها مثل "**تخليع تركيب الاشجار**"، وذلك بعد انتهاء وقت التطعيم (التركيب) حتى لا تتمكن من اعادة العملية الا بعد سنة كاملة، لأن للتطعيم موعد محدد. ومن أساليبهم كذلك جعل الاشجار الصغيرة تموت من خلال غلي الماء حتى يكاد يتبخر ثم سكبه على جذور الاشجار، وهذا سيؤدي الى موتها (يباسها) ولا أحد يستطيع أن يتبين أنهم قاموا بذلك لأنه لايوجد دلائل، ولا تتضمن العملية استخدام أي مواد كيماوية، ولكن (ك) كانت تدرك ذلك، لأنها كما تقول- تعلّمت هذا الاسلوب عندما كانت طفلة- وقد تربت فيما بينهم بحكم القرابة الدموية، كما أنهم كانوا يقوموا بتقطيع الاغصان الداخلة الى بساتينهم من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دراسة حالة: الصراع على الملكية وآثاره الاجتماعية والاقتصادية:-

ذكرت لي إحدى المبحوثات وتدعى (ك، ٥٤سنة) بأنها تزوجت عام ١٩٦٣م، وكان مهرها بستاناً تبلغ مساحته (٧٠٣)م٢، ولم يتم توثيق ذلك في عقد الزواج؛ حتى يتمكن أقاربها من الاستيلاء على ملكيته دون أن يحق لها المطالبة به في المستقبل لو حدثت هناك مشاكل انفصال أو طلاق. ولذلك تم تسجيل مبلغ (١٠٠) دينار في عقد الزواج بدل هذا المهر، مع أن ثمنه يزيد عن ذلك بكثير، وتم نقل ملكية البستان لها، إذ أن والدها متوفي وليس لها إخوان وإنما لها أخت واحدة، وقد اعتاد الفلاحون على نقل ملكية الارض التي تُقدم بدل المهر لوالد العروس أو إخوانها.

وقد تزوجت (ك) من ابن عمها والذي هو ابن خالتها أيضاً، وقد أجبرها والد العريس الذي هو عمها على الزواج من ابنه، وكان هدف عمها من هذا الزواج هو الطمع في ملكية وسائل الانتاج التي تملكها هذه الفتاة، إذ أنها كانت قد ورثت هي وأختها عن والدها بستاناً بعد وفاته، ومنذ ذلك اليوم فقد استمرت الخلافات بين (ك) وأقارب زوجها حول ملكية البساتين، والتصرف بانتاجها ومردوده النقدي، لتصل الخلافات الى هدم أسرة (ك) عام ١٩٩٦م، بعد (٣٣) عاماً من الصراع.

لقد قامت (ك) بشراء حصة أختها عام ١٩٧٩م من البستان الذي ورثتاه عن والدهما، والذي تبلغ مساحته (١,٧٢٦)دونم، وذلك بثمن بسيط وهو (٣٠٠) دينار، وهو أقل مما يستحق بكثير لأن الهدف كان التصدي لزوج (ش) الذي كان يحاول أن يجبر زوجته (ش) على أن تتنازل عن حصتها في البستان، وفيما بعد أبدت (ش) رغبتها بمبلغ إضافي ثمناً لحصتها التي تنازلت عن ملكيتها لأختها (ك)، إلا أنها رفضت ذلك مما أوجد خلافاً بين الاختين (ك) و (ش). ولقد كانت ردة فعل زوج (ش) على بيعها حصتها لأختها أن قام بطردها من البيت، وتزوج امرأة ثانية، وقال لزوجته (ش): "**رُوحي خلّي أختك تنفعك، وتشُوفلك عريس جديد**"، وبالفعل فقد جاءت (ش) لتسكن في منزل أختها لتبدأ بسلسلة من الشكاوي على زوجها في المحاكم والمطالبة ببعض الحقوق المتعلقة بالمصاريف والنفقة وأتعاب المحاماة وضم الابناء، لكن (ك) تعتبر أن كل ما حدث أقل ضرراً من تنازل (ش) عن حصتها في البستان لزوجها الذي كان يرغب بالانتقام من (ك) بعد أن يصبح شريكاً لها في ملكية البستان، وليتمكن من تنفيذ رغبات أقاربه الذين هم أقارب (ش) و (ك) حيث ينتموا جيمعاً إلى فخذ واحد من إحدى عشائر "**الفلاحين**".

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أشجار (ك)، ولا تستطيع هي عمل ذلك بأشجارهم الداخلة الى بستانها، كما أنهم حاولوا إجبارها على البيع ليشتروا هم، لكن الاثمان التي كانوا يتقدموا بها لم تكن تتجاوز ٣٥٪ من الثمن المستحق ولم يتجرأ أي شخص من خارج نطاق هؤلاء الاقارب على شرائها لأنه لن يسلم من إيذائهم.

لقد وصلت المضايقات والاستفزازات التي كانت تتعرض لها (ك) هي وبناتها الى المستوى الذي لم تتمكن معه من العمل في البساتين، مما دفعها إلى تأجير البساتين الثلاثة، ولقد سارع اقاربها الى محاولة استئجارها، الا أنه لم يحصل الاتفاق بسبب تدني المبالغ التي تقدموا بعرضها فقامت بتأجيرها لشخص يقال له (م،٤٥سنة) وهو ينتمي إلى عشيرة أخرى، إلا أنه متزوج من احدى بنات هؤلاء الأقارب على افتراض أن هذا الشخص لكونه"**تسييهم**" فإنه سيدرك كيف يتعامل معهم، ويواجههم ويتصدى لأطماعهم، فلقد استأجر البساتين الثلاثة بمبلغ (١٣٠٠) دينار عام ١٩٩٦م وبمبلغ (٩٢٥) دينار عام ١٩٩٧م. وكان أقارب (ك) يحاولون السرقة من البساتين التي استأجرها (م)؛ للإضرار به، وتجسيد عدم ارتياحهم له، لكنه كان يعزّب في أحد البساتين التي استأجرها مع أن التعزيب هناك غير مرغوب لأسباب جغرافية، ولم يكن يتهاون معهم بل إنه "**شاف واحد منهم يحاول يسرق، فمسكه وربطه بشجرة رمان مثل ما يربط الحمار**" وبذلك فإنهم لم يتمكنوا من مواجهة هذا المستأجر.

وفي ذلك العام فقد تقاعد زوج (ك) من القوات المسلحة، مما أتاح له الفرصة لمجالسة أقاربه والتفاعل معهم ومشاركتهم في مناسباتهم الاجتماعية، فكانوا يثيروه ضد زوجته لدرجة أنه قام بتطليقها عام ١٩٩٧م، وتزوج من إمرأة ثانية، وقام بإطلاق النار على زوجته المطلقة وبناتها يوم عيد الاضحى، وتم حبس هذا الرجل، مما دفع (ك) الى الرحيل هي وبناتها وأبنائها لتسكن في قرية أخرى عند زوج بنتها الذي عاملهم وكأنه "**أب للجميع**".

والمفاجأة الكبرى أنه في يوم ١٩٩٨/٦/١٥م حضر (م) الذي استأجر البساتين الى منزل (ك) ليخبرها بأن أشجار البستانين اللتان تملكهما لم يبقى منهما سوى شجرتين، إذ تم تقطيعهما. فتوجهت فوراً الى متصرفية لواء الكورة لتقديم شكوى حول هذه القضية (انظر صورة الشكوى في الملحق).

وقد قامت الجهات المسؤولة بالبحث عن الذين فعلوا ذلك، وتمت الاستعانةبكلاب الاثر التي أشارت الى بعض أقارب (ك) الذين هم أقارب زوجها، وتم تقدير الخسائر والاضرار التي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لحقت بالاشجار من خلال لجنة من خبراء الزراعة، ولقد قدّرت الاشجار التي تم تقطيعتها بـ (١٣٨) شجرة متنوعة وبثمن (٢٠٠) لكل شجرة تين و(٢٥٠) دينار لكل شجرة زيتون و(١٥٠) دينار لكل شجرة مشمش. وترى (ك) بأن هذا المبلغ قليل وتتهم بعض المسؤولين بتلقي الرشوة من هؤلاء الاقارب؛ لتقليل هذه الاثمان واعتبار عدد الاشجار أقل من خلال احتساب كل مجموعة من الاشجار شجرة واحدة بسبب تشابك سيقانها ليصبح العدد (٥٧) شجرة بعد أن كان (١٣٨) شجرة.

وهنالك نقطة مهمة جداً وهي اختيار توقيت تقطيع الاشجار، وهو ثاني يوم بعد خروج زوج (ك) من السجن، إذ أنه كان قد سُجن بسبب قيامه باطلاق النار على مطلقته وبناته، ليكتمل السيناريو بوفاة هذا الشخص في صباح اليوم التالي لليلة تقطيع الاشجار، وتم اختيار ذلك التوقيت لايقاع الشهبة بذلك الرجل على أنه قام بذلك انتقاماً لسجنه، وقد تم الاشتباه ببعض الاشخاص الذين اعترف بعضهم بأنهم فعلوا ذلك، إلا أن هذه القضية لم تنته بعد.

الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لهذه الحالة:-

تتمثل أهم الآثار الاقتصادية بمايلي:-

١. خسارة (ك) للمردود النقدي لتأجير البساتين في موسم ١٩٩٧م بالاضافة إلى عدة سنوات قادمة، حتى تستعيد الاشجار نموها وبالتالي انتاجها.

٢. ازاء مالحق أسرة (ك) من الفقر، فقد لجأت الى "**البعارة**" وهو شكل من أشكال الجمع والالتقاط لثمار الاشجار؛ وذلك بهدف تأمين الاحتياجات الاساسية للأسرة، بعدما كانت (ك) تملك وسائل انتاج كثيرة وكما تقول "**ملاكة** " وغنية، كما أنها صارت تلجأ الى التقاط الزعتر من بعض المناطق في جديتا لتبيعه في الزرقاء؛ وذلك لتؤمّن العيش الكريم لها ولأسرتها.

أما أهم الآثار الاجتماعية فكان أنه لم يتزوج من بناتها الثمانية سوى ابنتاً واحدة كانت قد تزوجت قبل تأزم المشاكل، مع أنهن جميعاً في سن الزواج لأن حكم المجتمع كان قاسياً على هذه الفتيات بالنظر الى اسرتهن نظرة سلبية.

وأما الآثار النفسية لهذه الحالة فهي مرتبطة بالجانب الاقتصادي الاجتماعي لها، إذ أن (ك) تشعر بالضيق والتوتر تجاه الفقر والآثار الاجتماعية التي لحقت بها، وألمّ بها "**حمل هم البنات**" بالإضافة إلى استيائها من **الاجراءات الحكومية المعقدة التي تعيق احقاق الحق (هكذا ترى المبحوثة).**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم تقف المسألة عند هذا الحد بل إن قدراتها الجسدية قد هزلت كثيراً من هذه التراكمات، ولم تعد كما ينبغي. وهنالك أثر مهم تذكره هذه المبحوثة وهوأنها لم تكن متدينة قبل حدوث تأزم المشكلة، أما اليوم فهي ملتزمة بالصلاة، وباتت تتوجه الى الله بالدعاء لينتقم لها.

العلاقات الاجتماعية بين الجيران:-

ترتبط العلاقات الاجتماعية بين الوحدات الانتاجية المتجاورة بالعملية لانتاجية، بمعنى أن العملية الانتاجية بما فيها من تعاون وصراع وأرباح وخسائر هي التي تُشكل العلاقات الاجتماعية وتحدد عمق التفاعل الاجتماعي density of social interaction بين الجيران، وكانت العلاقات الاجتماعية بين الجيران في وادي جديتا تتسم بالأولية، بمعنى أن الجار يأخذ باعتباره وجود جيرانه عندما يقوم بسلوك ما، ولكن ذلك تراجع اليوم وباتت تميل لتصبح علاقات ثانوية secondary relationships. كما تراجع تأثير القرابة kinshipوأصبح أقل تأثيراً في تحديد هذه العلاقات. فمثلاً أحد الفلاحين ويدعى (س،٦٥سنة) يشير الى أنه لا يبيع منتوجاته لابن أخيه الذي هو أحد التجار في الوادي؛ لأنه لايعامله معاملة تنم عن القرابة، كأن يدفع له سعر أعلى من باب المودة، وإنما يشتري منه الانتاج مثلما يشتري من الفلاحين الآخرين، ولذلك فإن (س) لن يدعو ابن أخيه المذكور على خطوبة ابنه المقررة بعد انتهاء الموسم حيث سيخطب ابنه الجيران.

ولقد ذكر أحد المبحوثين ويدعى (ص،٤٨سنة) بأن علاقات الجيران كانت في الماضي لاتقل أهمية عن علاقة القرابة الدموية kinship بين الكثيرين من الفلاحين، إذ أن الفلاح عندما يرحل فإنه يبقى ينادي جاره بمصطلح "**ياجارنا**" أو "**ياجارتنا**" وكأنّ هذه المصطلحات جزءٌ من مصطلحات القرابة kinship terminology إذ أن الجار قد ينادي على جارته وأن يقول لها "**ناوليني هالسلة يا جارتنا**" ولا تتردد الجارة بالحديث مع جارها، كأن تطلب منه مساعدة ما مثل قولها "**بالله يا جارنا هالجحش انهزم مني، وتعمل معروف تشوفلنا إياه**" فيمكن أن تتحدث الجارة مع الجار بكل بساطة واريحية، وكذلك إلقاء التحية من الرجال والنساء على حد سواء.

وكان يصل عمق التفاعل الاجتماعي المعبر عن التعاون كما تشير احدى المبحوثات وتدعى (ف،٥٢ سنة) إلى أن أسرتها في فصل الشتاء كانت تتقي الامطار بالنوم عند الجيران وكأنهم أسرة واحدة في الغرفة المبنية من الحجر والطين؛ لأن أسرتها كانت تسكن في غرفة يتسرب الماء من سقفها. والأعمق من ذلك ما ذكرته (ز، ٤٧ سنة) بأن الجارة كانت كثيراً ما كانت تقوم بإرضاع طفل جارتها في حال مرض أمه، أو عدم تواجدها، وانشغالها بالانتاج،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حيث يوجد الكثير من علاقات الاخوة والامومة القائمة على أساس الرضاعة في مجتمع البحث، وكان ابن الجار قبل (١٥) سنة وأكثر يقطف من ثمار بستان جيرانه دون أن يثير ذلك غضبهم، لكن لانجد مثل هذا التسامح في هذه الايام، فمثلاً إحدى المبحوثات أشارت إلى أن جارها (ش،٦٥سنة) وهو كما تقول "**ختيار مشيب**" قام بتوجيه الفاظ وشتائم نابية لابن ابنها؛ لأنه قطف حبة رمان من إحدى أشجار هذا الجار "**الختيار**" على الرغم من أن علاقتهم، كجيران علاقة حسنة، لكن الهدف النهائي للعملية الانتاجية وهو الربح كان هو الدافع لسلوك هذا "**الختيار**".

بناء القوة وتغيره في الاسرة كوحدة إنتاجية:-

لقد أشار الفلاحون الى سيادة الاسرة الممتدة extended family في الماضي وتحديداً في الستينات وبداية السبعينات وما قبل، وكان الاب أو الجد يحتل رأس الهرم في تقاسم السلطة والقوة التي تمنحه حق اتخاذ القرارات وادارة الصراع؛ بسبب مكانته ومركز الاسري بحكم عمره وما يفترض أن يرتبط به من خبرات، لدرجة أنه كان يتدخل في أدق تفاصيل السلوك الشخصي لابنائه وزوجاتهم. ولاتزال بعض هذه الافكار تدور في أذهان بعض المبحوثين من كبار السن حتى في ظل التحول الى الاسرة النووية كوحدة بنائية أساسية في مجتمع فلاحي البساتين، إذ قابلت أحد المبحوثين وعمره يقارب (٦٥)سنة وكان يبدي استياءه من عدم امتثال زوجات أبنائه لآرائه. وهو يستعيد بعض الامثلة من الماضي البعيد التي كان فيها الجد- على حد تعبيره- "**يحكم ويرسم**".

ويمكن الحديث عن بناء القوة في النسق الاسري وعن الادوار والمكانات من خلال الحديث حول بعض المواقف التي تتجسد من خلالها درجة قوة الفرد في النسق الاسري، وكيف تفصح هذه القوة عن نفسها من خلال توزيع الادوار، واتخاذ القرارات.

لقد وجد في الماضي (قبل ٤٠ سنة وأكثر) شكل من أشكال السيطرة داخل الأسرة يمكن أن نطلق عليه ما أشار إليه عوده (١٩٨٣: ٢٨) ليعبر عن علاقات القوة والسيادة في الوحدة الانتاجية وهو مصطلح العبودية الابوية patriarchal slavary ويتجسد ذلك من خلال ما رواه لي أحد الفلاحين الذين أفنوا شبابهم في العمل في البساتين، ولم يحصلوا في النهاية على أي جزء من ملكية وسائل الانتاج في البساتين، فيصف (ح،٦٧ سنة) حالته في الخمسينات والستينات فيقول بأنه كان هو وإخوانه وزوجاتهم وابناؤهم ملكاً لأبيه، وحتى جهودهم فقد كانت تحت تصرفه ضمن الوحدة الانتاجية العائلية الممتدة، فكان الواحد منهم ينفذ كل ما يطلبه منه

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أبوه مثل: الرعي بالاغنام وقطف الزيتون أو الذهاب لبيع انتاج البساتين على الدواب، دون أن يمتلك الواحد منهم حق الرفض. وبالمقابل فإن الابن يأكل ويشرب هو وزوجته وأبناؤه مقابل هذا الاعمال، وحتى زوجات الابناء فقد كانت الواحدة منهن تذهب لتحمل الماء على رأسها لاستخدامه في المسكن، كما كان عليها أن تعمل "**مثل الزلمة وزيادة**" فقد كانت الزوجة تحمل مع زوجها أو شقيق زوجها ما يسمى ب "الوساطية" عندما يذهب ليبيع أو يقايض المنتوجات، والمقصود "**بالوساطية**" كمية من الانتاج توضع على ظهر الدابة في وسط أحمال الرمان أو التين أو المشمش؛ وذلك بسبب صعوبة الطريق ووعورتها ولذلك كانت تحملها على رأسها إلى الانتهاء من الطريق الوعرة، فكأن المرأة بهذا المثال جزءاً من وسائل الانتاج، ويستطرد (ح) فيشير إلى أن والده كان يضرب الواحد من الابناء، وكذلك زوجاتهم إذا أخطأ أو قصّر في أداء عمل ما. أما الرفض فهو غير وارد، لأن ذلك ليس بمقدور أي واحد من أعضاء الاسرة. ولا ينسى مبحوث آخر ويدعى (ع،٤٥سنة) كيف أن والده ضربه بعصا سنة ١٩٦٣م، فأحدث جرحاً عميقاً في رأسه، ولا تزال آثارها حتى اليوم حسبما يعتقد هذا المبحوث، إذ لم ينمو فيها شعر الرأس، وجاء ذلك عقوبة من والده لأنه تسبب في خلع غصن كبير من احدى اشجار الزيتون، وحتى زوجة الابن- كما يشير- (ع) لم يكن لديها القدرة على رفض أي عمل يوكل لها ولايستطيع زوجها أن يتدخل.

فالاب أو الجد كان يحتل هذا الدور الذي يرتبط بالمكانة بصفته الاكبر سناً، وذلك حسب التقاليد المحلية الموروثة التي تمنح الاب السلطة بسبب أبوته وعمره، لكن ذلك لم يعد قائماً هذه الايام، إذ نجد أن الاسرة النووية nuclear family هي الوحدة البنائية الاساسية في مجتمع فلاحي البساتين، وتراجعت سلطة الاب فيها، لتتحدد مكانة الفرد من خلال مساهمته في الانتاج، وإن كان ذلك لاينطبق على الاناث الى حد كبير، لأن المرأة كانت ولاتزال، تحتل مكانة أقل من مكانة الرجل الذي يقوم بنفس دورها الانتاجي في مجتمع البحث، ولعل في ذلك امتداد للماضي الذي قلل من مكانة المرأة، ودورها في اتخاذ القرارات الاسرية كالزواج مثلاً، لكن الزوجة اليوم لها دور مهم في الانتاج ولذا فإن لها مكانة أكثر أهمية من مكانتها في الماضي وتستطيع المشاركة في اتخاذ الكثير من القرارات المتعلقة بالاسرة.

أما الابناء فيحتل الذكور منهم مكانة أعلى من مكانة الاناث، وذلك لأنه كما يشير (ر،٥٦سن) إلى أن الولد لديه "**ادراك أكثر من البنت**".

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن التغيرات المهمة التي طرأت على الاسرة الفلاحية، اضمحلال سلطة الاب على الابناء وتراجعها، وذلك بسبب الاستقلال الاقتصادي للأبناء من خلال اشتغالهم بوظائف مدنية أو عسكرية وصار ذلك يؤمن لهم دخلاً يقلل من حاجتهم الى الانتماء العميق للأسرة.

أما شكل الاتصال في الوحدة الانتاجية اليوم فهو اتصال أفقي، بمعنى أن الابن يناقش الاب أو الأم في بعض القضايا التي تهم الاسرة أو أحد أعضائها دون الاستعانة بطرف ثالث، كأن يستعين الابن أو الابنة بالأم للاتصال مع الاب، بينما كان شكل الاتصال عمودياً في الاسرة الممتدة، إذ لم يكن بمقدور الابن أن يطلب من رئيس الاسرة أي طلب دون وساطة طرف ثالث كالأم أو الاخ الاكبر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المراجع العربية

- أحمد، غريب سيد،
  ١٩٨٩: **علم الاجتماع الريفي**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

- البخيت، محمد عدنان،
  ١٩٩٢: **المرافق العامة في شرقي الأردن (الينابيع والآبار والبرك والطواحين والمعاصر)**. بحث مقدم للمؤتمر الدولي الخامس، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية.

- بوشيباداس، جاك،
  ١٩٩٧: الاقتصاد الفلاحي والسوق في الهند، ص ص: ١٢٧-١٥١ في **المجتمعات الفلاحية في العالم الثالث**، ترجمة أحمد البعلبكي، بيروت: معهد الإنماء العربي.

- تيرنر، بريان،
  ١٩٨١: **ماركس ونهاية الاستشراق**، ترجمة: يزيد صايغ، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

- توما، توفيق،
  ١٩٨١: **الريف أرض ومجتمع**، بيروت: الشركة الشرقية للمطبوعات.

- دائرة الأراضي والمساحة، جدول تسوية أراضي حوضي ١٤، ١٦ من أراضي قرية جديتا.

- دائرة الأراضي والمساحة، جدول تسوية أراضي حوضي ١٨،١٩ من أراضي قرية جديتا.

- دائرة الأراضي والمساحة، جدول الحقوق المتعلقة بالأراضي المفروزة والماء الخاصة بعين ماء البيضاء، وعين ماء التنور.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• دائرة الأراضي والمساحة، سجلات الأموال غير المنقولة المتعلقة بأراضي جديتـــا، الخاصـــة بالأحواض، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩.

• السمالوطي، نبيل،
١٩٨١، **علم اجتماع التنمية**. دراسة في اجتماعيات العالم الثـــالث، بـــيروت: دار النهضة العربية.

• سورج، برناردو. ويلكنسون، جون،
١٩٩٠ الفلاح يتحول إلى مواطن، التغيرات التكنولوجية الاجتماعية فـــي البلـــدان النامية، ص ص ٣-١١، **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**، العدد (٢٤) اليونسكو.

• شحادة، نعمان،
١٩٩٠ ١ **مناخ الأردن**، عمان: دار البشير.

• الشريرة أيمن،
١٩٩٦ **ناحية الكورة في قضاء عجلـــون (٨٦٤-١٩١٨م)** عمـــان – الجامعـــة الأردنية. (رسالة ماجستير غير منشورة).

• الصعبي، فدوى
١٩٩٧ **الفلاحة في عالم متغير، دراسة أنثروبولوجية في قرية "اسعرة" الأردنيـة**، اربد جامعة اليرموك، (رسالة ماجستير غير منشورة).

• عودة، محمد
١٩٨٣ **الفلاحون والدولة، دراسة في أســـاليب الانتـــاج والتكويـــن الاجتمـــاعي للمجتمع التقليدي**، بيروت: دار النهضة العربية.

• غنام، فرحه،
١٩٨٨ **ملكية الأرض والزعامة، دراسة ميدانية لاحدى القرى الشفاغورية فـــي شمال الأردن**، اربد: جامعة اليرموك. (رسالة ماجستير غير منشورة).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• فالرشتاين، ايمانويل،
١٩٩٨ **اعادة بناء الرأسمالية والنظام – العالم**، ص ص ٣٨-٥٠، **مجلة شؤون الأوسط**، العدد (٧١)، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق.

• لاتوش، سيرج،
١٩٨٨ العولمة ضد الأخلاق، ترجمة: عفيف عثمان، **مجلة شؤون الأوسط**، العدد (٧١). بيروت، مركز الدراسات الاستراتيدية والبحوث والتوثيق.

• مرزوق، نبيل،
١٩٩٧ حول العولمة والنظام الاقتصادي العالمي الجديد، ص ص ٧٠-٨٩، **مجلة الطريق**. العدد (٤) السنة ٥٦.

• المقدم، مها سهيل،
١٩٩٥ **المجتمع القروي بين التقليدية والتحديث دراسة نظرية ميدانية**، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

• الملكاوي، محمد،
١٩٩٤: **الطواحين المائية في وادي كفرنجه في العصر المملوكي المتأخر ومستهل العصر العثماني**، اربد: جامعية اليرموك، (رسالة ماجستير غير منشورة).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المراجع الأجنبية

- Abujaber, Raouf

  1989 **Pioneers over Jordan. The frontier of settlement in Trans Jordan. 1850-1914**. London: L.B Touris and Co. LTS.

- Bagechi, A.K

  1982 **The political Economy of underdevelopment**. Cambridge, Cambridge unipress.

- Bernstein, L.S

  1973notes on Capital and Peasantry.

- Bunce, M

  1982 **Rural settlement in an urban world**. London.

- Clammer, J

  1985 **Anthropology and political economy: Theoritical and Asian perspective**, London: Macmillan.

- Cook, S

  1977: "Beyond the formen: Towards a revised Marxist Theory of precpitalist formations and the transition to capitalism Vol. (4), p.p 360-280 in **journal of peasant studies.**

- Dugget, M

  1975 Marx on peasantss in (2) p.p 159-181. **Journal of peasant studies.**

- Firth, Raymond

  1981 **"Element of social organization"** London: watts corporation.

- Foster- Carter, A.

  1978 The modes of production controversy p.p 47-77. In **JLR.** No. 107.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- Frank, A.G

  1967 **Capitalism and underdevelopment in Latin America: historical studies of Chile and Barazil.** Monthly review press.

- Giacaman, R. Tamaris, S

  1996 **"ZBEDAT. The Social Impact of Agricultural Technology the life of a peasant community in the Jordan valley.** Birziet University.

- Grossman, L.S

  1984 **Peasants, subsistence and development in the High lands of Papua New Guinea,** New Jersey: Princeton University.

- Haviland, W

  1983 Patterns of subsistence p.p: 157-197 from **Cultural Anthropology**. 4th edition.

- Hindess, B. Hirst, p

  1975 **Precapitalist modes of production** London: routledge and paul.

- Hirst, p. Enew, J. Tribe, k

  1977 Peasantry as an Economic category. In **Journal of peasant studies.** 4

- Huang, p.c

  1985 **The peasant Economy and social change in North China.** California. Stanford University press.

- Keydar, C

  Paths of rural transformation in Turkey. p.p 163-179 from: **Sociology of Developing Societies the Middle Eastk,** edited by Talal Asad and Roger owen. New Yourk: monthly review press.

- Laclau

  1971 "Feudalism and capitalism in Latin America" p.p 19-37 from **New left Review** No, 67.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- Meillassouc, c

  1981: **Madiens, meal and money: capitalism and the Domestic community**. Cambridge. Cambrid University.

- Nash, J

  1996 Global Integration and subsistence insecurity p.p 7-30. In **American Anthropologist.** 96 (1).

- Pathak, Akhilesbwar

  1994 Contested Domains. The state. Peasants and forests in contemporary India, New Delhi sage publication.

- Prattis, J

  1987 "Alternative views of Economy in Economic Anthropology p.p 8-44 in John Clammer (ed) **Beyond the New Economic Anthropology** Martins press.

- Qutaifan, Wafa`

  1990 Al-Aluk. p.p 60-111 in **part-time farming Agricultural Development in the Zarqa River Basin. Jordan** edited by, Mundy, m. smith, R. Saumarez. Irbid: Yarmouk University.

- Redfield, R

  1960 **The little community and peasant society and culture**. Chicago University press.

- Tarawneh, m.F

  1989**Aspects of Rural Transformation in the Jordan Valley: The case of Deir Alla.** Irbid, Yarmouk University unpublished master's thesis.

- Wolf, E.R

  Peasants. Englewood cliffs: prentice- Hall.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

This study describes the state of groves peasantry in Judiatta Valley as it is a dynamic sector, especially during the past nine years after the withdrawl of waters specified for watering the groves and the consequent change in pre-capitalist mode of production, with emphasis on its articulation with the capitalist mode.It discusses this in light of the theory and the extent of its suitability for application in the research community. Both articulation and mode of production were used as tools of analysis of collected data.

The study ended at important conclusions such as:

1) Groves peasantry is a mode of production while at the same time it is a way of life not merely an occupations, due to its economic structure, it shapes the remaining componants of social formation present in the research community.

2) The change in grove peasantry is external and not in response to internal dynamics. One of the most important external factors which cause change is the permeation of capitalism in the research society as a result of the peasant affiliation in the market's economy.

3) Usurious relations have played and still play an important role in the take over excess peasants production by capitol holders in addition to the means of production owned by the Peasants. As a result of the Peasants borowing from these usurers whose existance came as a continuance of merchant usurers in the research community since the 1930s of this centuary. Therefore the history of the research community is the history of usurious relations.

4) There is a clear cut economic distinction between farmers and merchants in the research community as Peasants suffer as a result of the

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

decline of their economic situation in general while merchants enjoy special economic situations.

5) The conflict among farmers for ownership of production means is an important form of social interaction. This conflict goes beyond all forms of kinship, affinity or neighborhood.

6) The withdrawl of spring waters specified for watering the groves led to the rise in grove prices instead of leading to a drop of these prices if they were to be sold. This was due to the compensations presented by the government to those who take legal action and demand compensation for the damages which befall them as a result of the water withdrawl.

7) Peasantry is subsiding as a way of life under the effects of bureasucracy which led to the immigration of many peasant's sons for work and education and what these conditions require as to the abandonment of groves peasantry to a large extent.

8) The division of lepour in a grove peasants society depends on physical abilities and necesarry work skills with no regard to sex in work division.

9) Work in grove production is a family work in the first place in addition to the emergence of other forms of work such as: hired work and cooperative work.

10) A woman's status is marked by her modesty in the research society and her unsuitebility to her important role in the various stages of the production process.

11) The many cases of affinity among the neighbouring production units are one of the important phenomenon in the research society which are linked to the production process.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملاحق

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جدول رقم (١)

توزيع ملكيات العشائر ومقارنتها عند التسوية مع الزمن الحالي

المصدر *١) من ملفات تسوية أراضي جديتا

٢) سجلات الاموال غير المنقولة المتعلقة بأراضي جديتا للأحواض (١٤،١٦،١٨،١٩)

العشيرة	مساحة ملكيتها عند التسوية (دونم)	مساحة ملكيتها حالياً (دونم)	عدد القطع تسويه	عدد القطع حالياً	عدد الذكور تسوية	عدد الاناث تسويه	عدد الذكور حالياً	عدد الاناث حالياً
بني مفرج	١٢٤,٣١٠	٧٢,٩٣٨	٤٩	٢٨	٩٥	٤	٤٢	٩
بني ملحم	١١٤,٨٩٤	٩٧,٠٨٨	٨٠	٧٠	١١٠	١٨	١٩٩	٤٥
الزيوت	٨٦,١٣٦	٧٣,١٨٥	٤٠	٤٧	٥٤	٥	٥٠	٢٠
الربابعة	٦١,١٨٣	٨٠,٠٥٠	٢٤	٤٧	٤٤	١	٨٠	٢٣
الكساسبة	٧٠,٠٧٠	٦٧,٥٣٩	٤٤	٤٧	٤٤	٥	١٣١	٥٠
الزقيلية	٢٣,٤٠٥	١٨,٠٦٥	٥	١٢	١٣	–	٣٠	١١
الخطاطبة	٣٩,٧٦٥	٦٨,٣٠٩	٣٢	٦٢	٦٨	٧	١٢٦	٣٩
حورية	٢,٧٧٩	٢,٧٧٩	٢	٢	٤	–	٤	–
مسيحي	٣,٣٩٩	١,٨٧٢	٣	٢	٢	١	١	٢
ربابعة+ زقيلي	٢,٢٠١	٢,٢٠١	١	١	٢	١	١٠	٤
مفرج+ زيوت	٥,٩٠٧	٤	٢	–	٤	١	–	–
مفرج+ ربابعة	٠,٩٨٣	–	١	–	٢	١	–	–
مفرج+ ملحم	١,٥٦٩	–	١	–	١	١	–	–
كساسبة + خطاطبة	١,٩٦٧	–	١	–	٢	–	–	–
مفرج+ كساسبة	–	٠,٧٢٤	–	١	–	–	٢	٥
ملحم+ خطاطبة	–	٢,٧٤٤	–	١	–	–	١٠	١٤
زيوت + عقيل + غرايبة	–	٦,٥٧٦	–	٣	–	–	٣٠	١٤
زقيلي + القضاة	–	٢,٠٥١	–	١	–	–	١	٤
ملحم + زيوت	–	٤,٩٤٢	–	٢	–	–	٨	–
خطاطبة + ربابعة	–	١,٠٥٢	–	١	–	–	٢	–
زيوت + ربابعة	–	٣,١١٩	–	١	–	–	٣	٤

*: من المهم هنا الإشارة إلى أن ملفات التسوية وسجلات الأموال غير المنقولة هي المصادر الأولية في هذه البيانات، وقمت بإعداد هذا الجدول بالاعتماد على تلك البيانات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جدول رقم (٣)

توزيع ملكيات العشائر حسب الاحواض

المصدر*: جدول تسوية الحقوق المتعلقة بأراضي جديتا للأحواض (١٤،١٦،١٨،١٩).

العشيرة	حوض المعاريض بالدونم	حوض مصقاع الطاحونة بالدونم	حوض الرهوة بالدونم	حوض ملحم بالدونم	المجموع
بني ملحم	–	–	٤٣,٤٦٦	٧١,٤٢٨	١١٤,٨٩٤
الخطاطبة	–	٢,٤١٣	٣٦,٤٦٦	٠,٨٧٧	٣٩,٧٥٦
الربابعة	٩,٥٣٨	٧,٨١٣	٢٧,٢٦٤	١٦,٥٦٨	٦١,١٨٣
الزيوت	٩,٦٠٣	٢٢,٨٩٧	٣٢,٧٢٠	٢٠,٩١٦	٨٦,١٣٦
الكساسبة	–	–	٣٠,٩٢١	٣٩,١٤٩	٧٠,٠٧٠
بني مفرج	٩,٩٣٠	٣٥,٦٠٣	٤٥,٠٧١	٣٣,٧٠٦	١٢٤,٣١٠
الزقيلية	٢٣,٤٠٥	–	–	–	٢٣,٤٠٥
حورية	–	–	–	٢,٧٧٩	٢,٧٧٩
الطواحين المائية	–	٠,٣١٢	٠,٨٩٥	٠,٦١٩	١,٨٢٦
ربابعة+ زقيلية	٢,٢٠١	٠,٣١٢	–	–	٢,٢٠١
مفرج+ زيوت	١,١٥١	–	٤,٧٥٦	–	٥,٩٠٧
المسيحية	–	٣,٣٩٩	–	–	٣,٣٩٩
مفرج+ربابعة	–	٠,٩٨٣	–	–	٠,٩٨٣
مفرج+ ملحم	–	–	١,٥٦٩	–	١,٥٦٩
كساسبة+ خطاطبة	–	–	١,٩٦٧	–	١,٩٦٧

* قمت بالاعتماد على جدول التسوية للحصول على البيانات الأولية، ثم أعددت هذا الجدول بما يحقق هدف البحث.

* *أوردنا الطواحين المائية ضمن ملكيات العشائر لأنها كانت موزعة على العشائر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

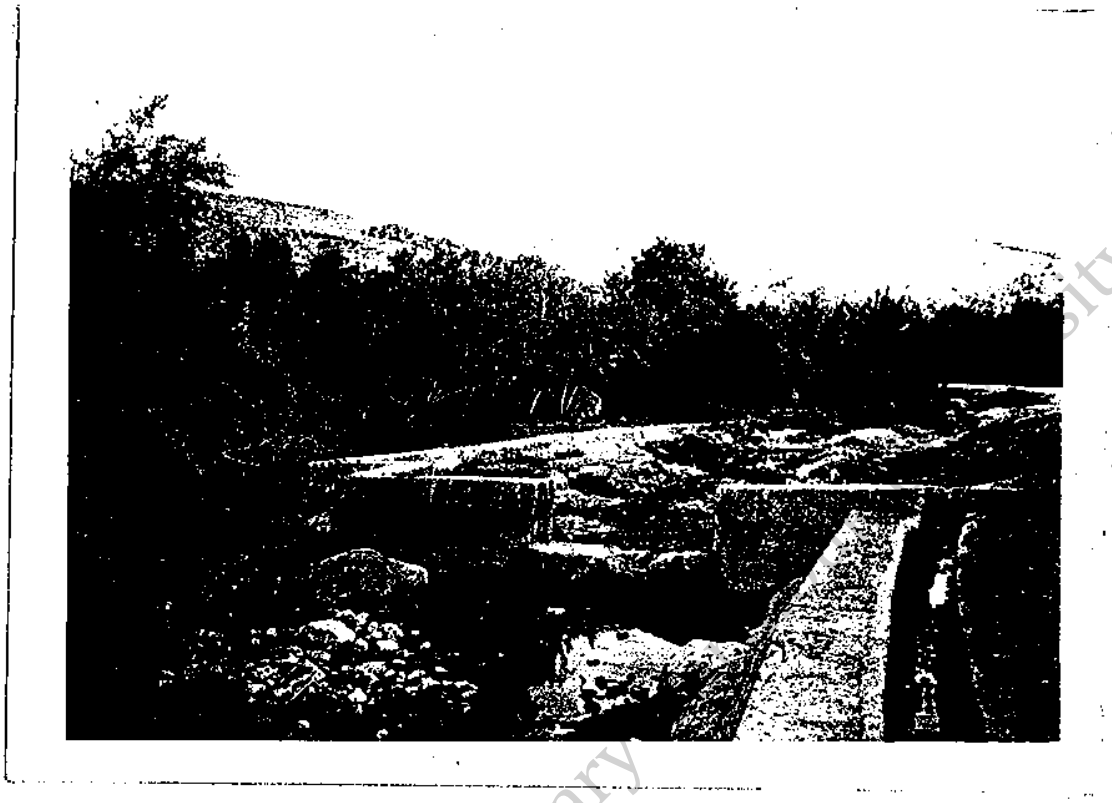

صورة رقم (١)
توضح هذه الصورة بقايا أحد سدود المياه في وادي جديتا

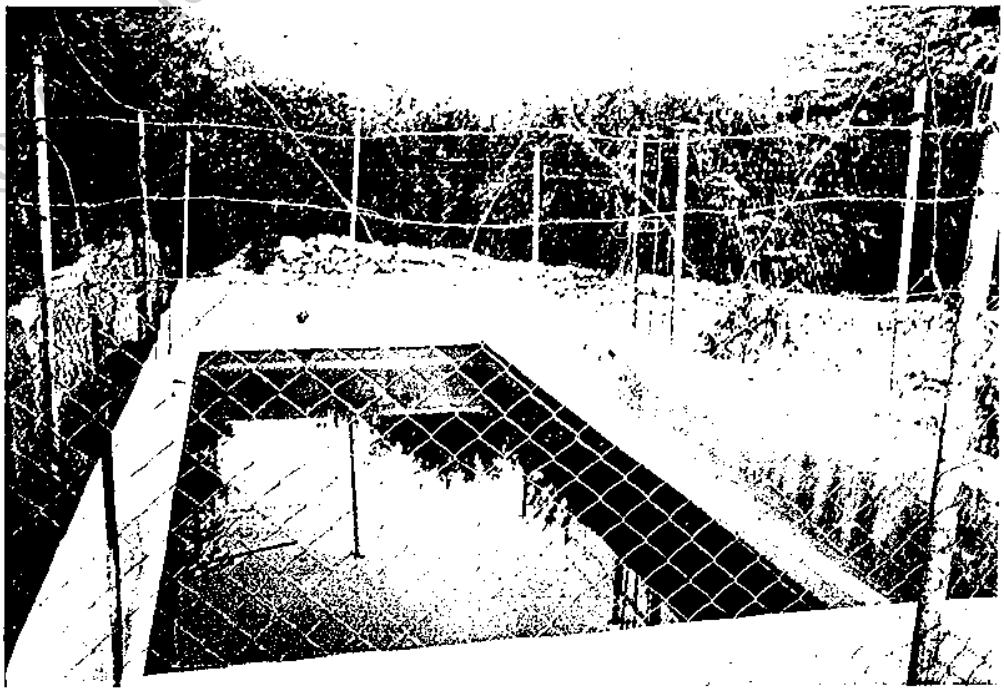

صورة رقم (٢)
صورة لأحد آبار المياه التي تستعمل لتجميع مياه الشتاء

© Islamic Digital Library University

صورة رقم (٣)

توضح هذه الصورة قيام أحد الفلاحين بإزالة الأشجار القديمة واستبدالها بأصناف أخرى تتكيف مع نقص المياه

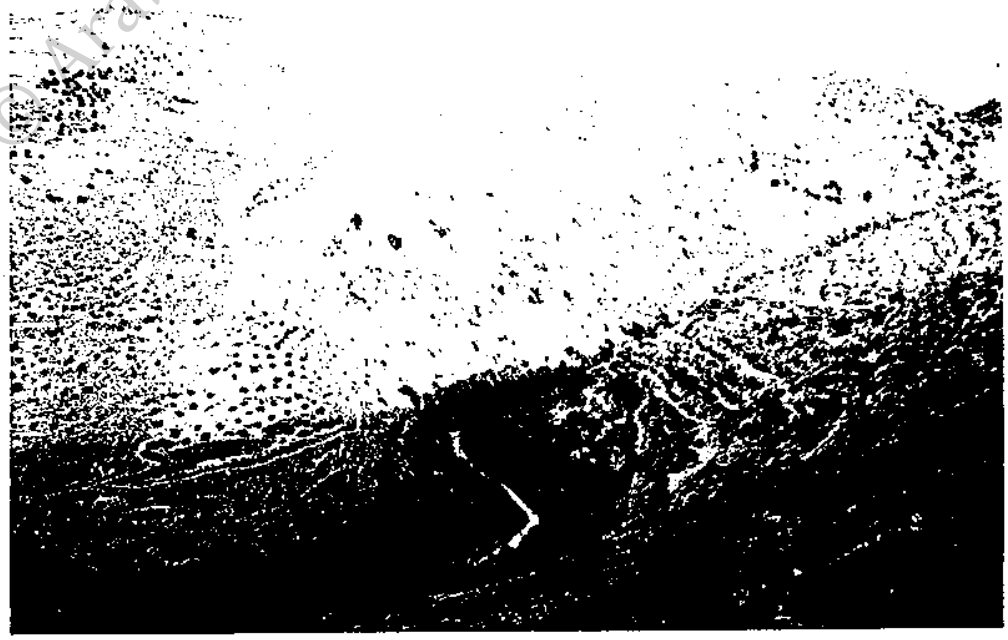

صورة رقم (٤)

توضح هذه الصورة حقل حوض المعاريض، وإحاطة الجبال العالية به

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صورة رقم (٥)
توضح هذه الصورة استخدام الفلاحين وسائل نقل حديثة
والى جانب استخدام الدواب للنقل

صورة رقم (٦)
توضح هذه الصورة استخدام السلالم المشبهة للاستعانة
بها لقطف الثمار بسبب ارتفاع الأشجار.

Digital Library

صورة رقم (٧)
توضح هذه الصورة استخدام الموقدة في عمليات
الطهو وإعداد الشاي .

صورة رقم (٨)
توضح هذه الصورة استخدام أحد الكلاب لحراسة البساتين .

© Digital Library-Yarmouk University

رقم ٦٥٧٩٨

صورة قيد تسجيل الأموال غير المنقولة

اسم الحوض المعاريض / المدينة / المحافظة / اللواء / القضاء

اسم الحي / القرية جديتا / امير الكرة

رقم الحوض	١٤	المشروحات	رقم اللوحة /
رقم الحي	—	نوع الارض صدري ـ حجر	مقياس الرسم ٥٠٠
رقم القطعة	٤٣	الصخور ـ	المساحة
		سلم مدل تقريب المياه	متر مربع دونم
			رقماً ١٧٥٦
			كتابة —

اسم المتصرف	الحصص
[illegible] محمود الصباح السليمان	١/٢

REVENUE H.K. OF JORDAN

ان الاموال غير المنقولة المبينة اوصافها اعلاه مسجلة باسماء المتصرفين المذكورين وقد اعطي هذا السند شهادة بذلك

في ١٣/٦/١٩٧٨

مدير التسجيل [illegible]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دفتر ٦٥٧٩٨

المملكة الأردنية الهاشمية
دائرة الأراضي والمساحة

صورة قيد تسجيل الأموال غير المنقولة

اسم الحوض المعاريض / المدينة / المحافظة / اللواء / القضاء

اسم الحي / القرية جديتا اربد الكورة

رقم الحوض	المشروحات	رقم اللوحة	
١٤	نوع الارض ميري سقي	مقياس الرسم	٢٥٠٠
رقم الحي	الشيوع	المساحة	
—	٢٠	متر مربع دونم	
رقم القطعة	بموجب جدول توزيع المياه	رقماً	١٨٢٦
٣		كتابة	—

اسم المتصرف	الحصص
زكية محمود الصبا الله السليمان	كاملة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ان الاموال غير المنقولة المبينة اوصافها اعلاه مسجلة باسماء المتصرفين المذكورين وقد اعطي هذا السند شهادة بذلك

في ١٣/٦/١٩٩٨

مدير التسجيل

تسوية الاراضي

جدول الحقوق

الاراضي المفروزة — والماء

— يطل هذا الجدول بمقتضى المادة [illegible] من قانون تسوية الاراضي [illegible]

— يتألف هذا الجدول من ٢٢ صحيفة

— ان قيمة الحصة في الماء هي عشرون دينار درجت القيمة ما بعد اسقاط الرسوم .

قضاء : مجدلون

قرية : مرجعيون

اسم الموضع ورقمه : الوادي التحتاني رقم (٦)

اسم القناة — قناة بين الميناء الشمالية

وادي اليابس : — في قرى مرجعيون ٢ بلعون ٢ جديتا

١ — يشير جدول الحقوق هذا الى كامل حقوق المياه الجارية في وادي — اليابس ابتداء من عين ماء البيضاء وعين ماء التنور الى الحد الفاصل بين قريتي جديتا وحلاوه فقط ، وما زاد من استحقاق اصحاب الحصص فهو ملك الى حينه المملكة الاردنية الهاشمية .

٢ — ان مجموع حصص المياه المدونة في هذا الجدول والمحاذية لاسماء الاراضي التي تسقى من المياه المذكوره اعلاه في قريه مرجعيون هو ٣١٥ حصه من اصل ١٠٤٩ والباقي ٦٣٤ حصه منها (١٠) حصص للاراضي السقي التي تسقى من مياه هذا الوادي في قريه بلعون و ٦٤٤ حصه للاراضي السقي في قريه جديتا اللتين تمت تسويه حقوق المياه فيها واصبحت نهائيه .

مدير الاراضي والمساحه

التاريخ ١٤ — ٢ — ١٩٦٥

رقم القطعة	مساحة كامل القطعة		مساحة السقي في القطعة		اسماء اصحاب الحقوق	مقدار الحصص في القطعة	مقدار حصص اثناء القطعة	ملاحظات او الحقوق الاخرى الملحقة بالقطعة	قيمة القطعة	رقم الاضافة
	عرض	طول	عرض	طول						
٢	٠٤٦	١	٢١٠	١	منيه السليم الناصيف	١٠				
					مصطفى السليمان الحسن	٣٥				
					علي الاحمد الكشكة المصطفى	٣				
					احمد الاحمد المصطفى	٢٢				
					فؤاد الاحمد المصطفى	٣				
					محمود الاحمد المصطفى	٣				
					نزيهه الاحمد المصطفى	٢				
					حسين المصطفى النبا	٢٠				
					نويزه الابراهيم الشير	١٠				
٤	٠٦٥	١	٠٦٥	١	علي الحسين الحلبي	٣	١			
					منلح السالم الاحمد	١				
					احمد السالم الاحمد	١				
					خليل السليمان الاحمد	١				
٦	٢٥٢	—	٢٥٢	—	علي العقله المصطفى	١	١			
					عبد الرؤوف الاحمد المصطفى	١				
					محمود الذياب المصطفى	١				

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المملكة الأردنية الهاشمية
وزارة العدل

محكمة بداية حقوق
/ /
رقم الاضبارة: ٨٩٠/٨٩
رقم القرار
اسم المدعي
اسم المدعى عليه

القرار

الصادر من قبل الرئيس/ القاضي نصوى صوالحه والعضو
المأذونين باجراء المحاكمة واعطاء القرار باسم جلالة ملك المملكة الاردنية الهاشمية
الحسين بن طلال المعظم

أقام المدعون : ـ

١ ـ [redacted] من جديتا
٢ ـ [redacted] من جديتا
٣ ـ [redacted] من جديتا
٤ ـ [redacted] من جديتا

وكيلهم المحامي [redacted] ، هذه الدعوى بمواجهة المدعي عليهم : ـ
١ ـ صبحه الحسن المرعي ٢ ـ فضيه الحسن السعبي من جديتا وكيلهن المحامي
مصطفى الخصاونه ، يتلاليون بها المدعي عليهن بمنع معارضتهن لهم
في حق المرور في الطريق العام الموصوف الى قلعة أرضهم رقم ١ من
حوض رقم ١٦ من اراضي جديتا مع لزام المدعى عليهن بازالة المعارضة
الموجوده في الطريق وتغريمهن الرسوم والمصاريف واتعاب المحاماه .

والمحاكمه الجاريه علنا بحضور وكيل المدعين وحضور وكيل المدعى
عليهن ، تليت لائحة الدعوى ووكيل المدعين كررها مضمونا ، وتقدم وكيل
المدعي عليهن لائحه جوابيه صحيحة رقم (٥) والتمس رد الدعوى وتضمين
المدعين الرسوم والمصاريف واتعاب المحاماه .

وقدم وكيل المدعيين بينة موكليه وابرز للمحكمه شهادة صادره من مدير تسجيل
اراضي اربد مؤرخه في ١/١١/٩٨٨ مبرزم/١ وتقرير كشف مؤرخ في ٢٤/١١
/٩٨٧ منظم من رئيس القسم ياسين السكران وسند التسجيل وسند
تسجيل ومخطط اراضي لقطعة الارض رقم ١ من حوض رقم ١٦ من اراضي جديتا
مبرزم/٢ ، م/٣ ، م/٤ وشهادة كل ياسين توفيق محمد السكران وموسى
عبد الرحمن العبد الله ومحمد صالح احمد سعيد فلاحه وواحمد محمد
عبد الحسن عبد الله وعبد الله عبد الرحمن عبد الله ، وصرف النظر

القاضي

قرار رقم ٨٣/٨٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عن دعوة الشاهد أحمد موسى ، ثم طلب اجراء الكشف على الطريق بمعرفة خبير تركن امر انتخابه للمحكمه وذكر وكيل المدعى عليهن بانه لا يتفق مع وكيل المدعيين على انتخاب الخبير وترك امر انتخابه للمحكمه وقررت المحكمه اجراء الكشف وورد تقرير الكشف صحيفة رقم ١٨ ، ١٩ ثم ورد تقرير الخبير والمخطط التوضيحي المرفق به وطلب وكيل المدعيين اعتماد تقرير الخبير ، واعترض وكيل المدعى عليهن على تقرير الخبير بحجة انه لم يجر الكشف تحت اشراف المحكمه وان الخبير لم يتقيد بالمهمه الموكوله اليه وان الخبير لم يعين طول الطريق وعرضها وما اذا كان الاعتداء على هذا الطريق كان بسبب السيل او بسبب آخر وان التقديرات باهظه وان الخبير لم يعين الطريق ما اذا كان عاما او خاصا وما اذا كان الطريق مرسوما على اللوحه الاصليه وما اذا كان هذا الطريق قد فتحت من قبل مديرية الاراضي وان الطريق قديم وطلب عدم اعتماد تقرير الخبير وقررت المحكمه رد طلب اعتراض وكيل المدعين عليهن وقررت المحكمه اعتماد تقرير الخبير المرفق به المخطط التوضيحي وتميزه بحرف م/٥ — م/٦ وختم وكيل المدعين بينة موكليه .

وقدم وكيل المدعي عليهن بينة موكليه وهي شهادة كل من علي صالح أحمد سلمان ومحمد سليمان احمد وحسن عبد الله محمد الزقباني ويوسف محمد عبد الله وأحمد عبد الرحمن سلم ، ثم ختم وكيل المدعي عليهن البينه الدفاعيه .

وقدم وكيل المدعيين مرافعته الخطيه صحيفة رقم ٣٧ ، ٣٨ وطلب الحكم لموكليه بالمرور في الطريق والزام المدعي عليهن بازالة العوائق من الطريق وتضمينهن الرسوم والمصاريف واتعاب المحاماه .

وقدم وكيل المدعي عليهن مرافعته الخطيه صحيفة رقم ٤٢ ، ٤٣ وطلب فيها رد الدعوى وتضمين المدعين الرسوم والمصاريف واتعاب المحاماه .

بالتدقيق في كافة البينات المقدمه والمستمعه ومرافعات وكيل المدعين والمدعى عليهن وتقرير الخبير والمخطط التوضيحي المرفق بتقرير الخبير ، تجد المحكمه ان وقائع هذه الدعوى تتلخص في ان المدعيين يملكون قطعة الارض رقم (١) من حوض رقم (١٦) من اراضي جديتا مصفاح الطاحونه وان المدعي عليهن يملكن قطعتي الارض ١٠٧ ، ١٠٨ من نفس الحوض ، وانه يقع الى الجهه الجنوبيه من ماتين القطعتين مسيل ماء يتراوح عرضه ماتين ثمانية امتار الى عشرة امتار وان هذا السيل يمر بقطعة الارض رقم ١ من حوض ١٦ العائده للمدعيين وان وفي عام ١٩٨٧ ثم فتح

القناة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الطريق في حرم مسيل المياه بموجب قرار مدير عام دائرة الاراضي رقم ٥٤ لسنة ١٩٨٧ من اجل تمكين المدعيين وغيرهم من المزارعين من الوصول الى ارضهم بواسطة هذا الطريق وان هذا الطريق وكما هو موضح من المخطط التوضيحي المرفق طي تقرير الخبير المؤرخ ٥/٦/٨٧ قد تم فتحه بعرض ثلاثة امتار من ضمن حرم مسيل المياه وانه يقع على الضفة الجنوبيه لمسيل المياه في مقابل قطعة الارض رقم ١٠٨ وحتى منتصفها بحيث يتغير موقع الطريق بحيث يمتنع على الحافه الشماليه لهذا المسيل وحتى يصل الى بداية القطعه رقم ١ من حوض رقم ١٦ من اراضي جديدا وهي المملوكه للمدعيين وقد تبين وكما ورد بتقرير الخبير انه يوجد في سعة الطريق المقابل لقطعة الارض رقم ١٠٨ ثماني شجرات زيتون عمر الواحده عشرين عاما وشجرة آجاص عمرها اربع سنوات وشجرة حور واحده عمرها ثلاث سنوات ، وان مساحة هذا الجزء المغروسه به هذه الاشجار هو مائتي وستة عشر مترا مربعا وكذلك توجد ساحة مزروعه بالقصيب مساحتها ستة عشر مترا مربعا وخمس شجرات عليق وان هذه المواشق تقع في سعة الطريق المقابل لقطعة الارض رقم ١٠٨ من حوض رقم ١٦ من اراضي جديدا وان قيمة منفعة مساحة هذا الجزء من الطريق والاشجار المغروسه بها كما قدرها الخبير تساوي سبعماية وخمسة واربعين دينارا .

واما فيما يتعلق بالطريق المواجه لقطعة الارض رقم ١٠٧ من حوض رقم ١٦ من اراضي جديدا فان مساحة هذا الجزء من الطريق المواجهه لقطعة الارض رقم ١٠٧ من حوض رقم ١٦ فقد بلغت ثلاثماية واثنى عشر مترا مربعا ويوجد في سعة هذا الجزء من الطريق خمس شجرات زيتون عمر الواحده منها عشرين عاما وسلسال حجري بطول خمسة وعشرين مترا مبني من الحجر الناشف وبارتفاع متر واحد وان قيمة منفعة هذا الجزء من الطريق المواجه لقطعة رقم ١٠٧ من حوض رقم ١٦ والاشجار المغروسه في سعة الطريق والسلسال المبني تساوي بما مجموعه سبعماية وثمانية وستين دينارا ، وقد ثبت من تقرير الخبره بان هذا الطريق هو طريق نافذ لانه يتصل بطريق نافذ ايضا هذا وقد ميز الخبير الجزء من الطريق المواجه لقطعة الارض رقم ١٠٨ باللون الاصفر والمواجهه لقطعة الارض رقم ١٠٧ باللون الاحمر وان الطريق قد تم فتحه في حرم مسيل المياه وليس من ارض المدعي عليهن حتى يقال بان هذا الطريق خاص وان اختصاص النظر في هذه الدعوى يعود الى محكمة الصلح وليه

الى القـــاضي

محكمة البدايه اذا ان من الرجوع الى المواد ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ من قانون السير رقم ٢٤ لسنة ١٩٨٦ تجد المحكمه ان الطريق الخاص وكما ورد في هذه المواد هو الطريق الذى يفتح من الارض المملوكه لاصحابها وتسجيل في دائرة الاراضي على اساس انه طريق خاص ، ويكون مخصصا لمنفعة اصحاب الاراضي التي تم فتح الطريق لمصلحتها فقط ولا يحق لعامة الناس المرور به واما فيما يتعلق بهذا الطريق ، فتجد المحكمه ان الطريق قد تم فتحه في حوض مسيل المياه وان مسيل المياه ليس ملكا لاحد وانما هو مخصص للمنفعه العامه وبما ان مسيل المياه مخصص للمنفعه العامه وان الطريق قد قد تم فتحه في حوض مسيل المياه فيكون هذا الطريق قد خصص ايضا للمنفعه العامه وان يحق لكل شخص المرور منه ولا يحق للمدعي عليهن معارضة اي انسان من حق المرور في هذا الطريق ، وعو بهذا الصفه هو طريق عام وليس طريقا خاصه وعليه فان دفع وكيل المدعي عليهن وارد وان هذه المحكمه هي المختصه اثار فيهما وعليه وحيث ثبت للمحكمه ان المدعي عليهن غرسن اشجارا في سعة هذا الطريق واقمن سلسال من الحجر النائف في سعة هذا الطريق وانهن يعارضن المدعين من ممارسة المرور في هذا الطريق تقرر المحكمه الحكم بمنع المدعي عليهن من معارضة المدعين في حق المرور في الطريق المرسوم في سعة حوض مسيل المياه بعرض ثلاثة امتار والحكم بازالة الاشجار والعوائق الموجوده في سعة هذا الطريق وتضمين المدعي عليهن الرسوم والمصاريف ومائة دينارا اتعاب محاماه .

وجاهيا اعتباريا قابلا للاستئناف صدر [illegible]

١٩٩٠/١/٢١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

THE HASHEMITE KINGDOM
OF JORDAN
MINISTRY OF INTERIOR
Irbid Governorate
Irbid

Ref.No. .....
Date .....

المملكة الأردنية الهاشمية
وزارة الداخلية
محافظة اربد
إربد

الرقم ق/١٠/١٣/١٨١/١٩٩٨ ٨٠٨٧
التاريخ .....
الموافق ١٩٩٨/٦/١٥م .....

السيد متصرف لواء الكـــــوره

تقدمت المدعوه [redacted] ومن بلدة جديتا اصلا" باستدعاء تذكر فيه قيام اشخاص مجهولين بتقطيع اشجار بستانها في بلدة جديتا .
ارجو الاطلاع والايعاز لمن يلزم لاجراء المقتضى والتحقيق اللازم في مضمون الشكوى وتحويل الاطراف للمحاكم المختصه واعلامنا بنتيجة التحقيق .

واقبلوا الاحترام """

قفطان المجالي
محافظ اربـــــــــد

ف /

© Arabic Digital Library-Yarmouk University